أوراق عملية فردان

بحث وإعداد خالد غنام أبو عدنان

حركة فتح – إقليم استراليا

2018

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى مفقودين
شهداء في سجلات الغياب
لا تعرف أين قبورهم
ولا متى ماتوا
ولا من قتلهم
هم يسكنون فلسطين السماوية
وأعطونا أسماؤهم لزرعها
في فلسطين المحررة

فلنشدد ضرباتنا

كلمة الأخ الشهيد ياسر عرفات تأبين شهداء عملية الفردان 1973/4/10

نشرت في افتتاحية مجلة شؤون فلسطينية العدد رقم 21 (أيار 1973)

كم هي حارة متفجرة دماؤكم لكي تفعل كل ذلك؟ كم هي سخية معطاء لتتوزع على تلك الجماهير من المحيط إلى الخليج، فتسري في شرايينها، فتجدد دماءها، فتعطيها نفحة الأمل والقوة، وتشدد من عزيمتها وإصرارها على مواصلة العطاء. هل يفعل الموت العظيم كل ذلك النصر العظيم. بلى أكثر. ففي الاستشهاد، تماماً كما في الحياة، كان أبو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان رموزاً لعظمة شعبنا، وعظمة تضحياته وعظمة انتصاراته. وبظل من هذه العظمة المزدوجة صنع القادة الأبطال النصر لثورتهم ولجماهيرها التي خرجت وهي تودعهم لتعلن تجديد بيعتها للثورة ومزيد التحامها بها والتفافها من حولها، دماءها، دماء هذه الجماهير، هي التي ستسدد الدين للقادة الذين استشهدوا، وأن أجسادها، أجساد هذه الجماهير، هي السقف الذي تستظل به الثورة وكل انجازاتها الرائعة.

ذلك هو المعنى الكبير لاستشهاد الأخوة رفاق الدرب الثلاثة: التضحية المنتصرة التي تكبت في القلب تفجرات الحزن وتبريح الألم. وهو المعنى الذي يرفعنا فوق الحزن وفوق الألم على جلال الحزن والألم. إن الانتصار حتى في الموت وهو أجلى الحقائق التي تمخضت عنها مسيرتنا التي شارك في إرساء أسسها الأولى الأخوة رفاق الدلاب. ومن وحي هذه الحقيقة كان تفجير الثورة في مطلع العام 1965 رداً على الضعف والاستخذاء، وكان استئنافها وتجديدها في آب 1967 رفضاً للسقوط والهزيمة. لقد أدركت ثورتنا منذ البداية أن قوتها تكمن في التحامها بالجماهير العربية التي احتضنتها بالفعل لأنها كانت في الحقيقة تعبيراً عن مشيئتها. فوحدت الثورة ذاتها مع الجماهير وجاهدت لأن تكون في الوقت نفسه بؤرة استقطاب لقواها بحيث تعبر الواحدة من خلال الأخرى عن طموحاتها وأهدافها.

وفي أثناء هذا التفاعل لم تكن القوى المعادية بغافلة عما يجري في الساحة العربية. فلأول مرة، منذ زمن طويل، تشهد هذه الساحة مثل هذا الالتقاء الوثيق العرى بين الطلائع المقاتلة والجماهير العريضة على أهداف واضحة وضمن استراتيجية معروفة الأبعاد محددة الخطى. وكان هذا الالتقاء الأمثل يعني تهديداً حقيقياً وجذرياً للقوى المعادية المثلثة الوجوه: الصهيونية وركيزتها إسرائيل، الاستعمار ومصالحه في المنطقة، القوى المحلية العميلة التي ربطت مصالحها بمصالح الاستعمار. وكانت هذه القوى مجتمعة تعي أن استمرار الثورة وتصاعدها وشمولها والتحام الجماهير بها وما يمثل ذلك كله من حالة ثورية شاملة ومتقدمة على امتداد الوطن العربي، يعني تصفية للمصالح الاستعمارية في الوطن العربي ووضع حد لنهب خيراته واستغلاله، كما يعني استحالة تمرير المشاريع الأيركية-الإسرائيلية العميلة الهادفة إلى

إعادة ترتيب الخارطة السياسية في المنطقة العربية بحيث تضمن هذه الخارطة العتيدة تركيع الأمة العربية واستسلامها وضرب قوى التحرر فيها لمصلحة العدو المثلث الوجوه وضمان سيطرته ونفوذه.

وفي سبيل المحافظة على المصالح الاستعمارية في المنطقة، من أجل أن يظل النفط يتدفق في شرايين مستغلي أمتنا ومضطهديها، ومن أجل أن تظل الأسواق العربية واجهة استهلاكية لمنتوجات السوق الرأسمالية الدولية، من أجل أن يظل عمالنا يبيعون جهدهم وعرقهم لتجار هذه السوق وصناعييها بأبخس الأثمان، من أجل تمرير الحلول التصفوية الاستسلامية ولكي تظل إسرائيل حامية لكل هذه المصالح كان لابد من أن يرافق ازدياد قوة الثورة تصعيد في شراسة الهجمة عليها وعلى جماهيرها العربية والفلسطينية على حد سواء بعد أن توحدت ذات الثورة مع ذات الجماهير. وتوزعت القوى المعادية الأدوار فيما بينها ضمن مخطط واسع يستهدف الوجود الثوري نفسه من جهة وإرادة الجماهير النضالية من جهة ثانية. وقد اندفعت القوى العميلة في هذا الشوط إلى أقصى ما تستطيع، وكانت الهجمة الشرسة التي قام بها النظام الهاشمي على قواتنا في الأردن حضيض ما انحطت إليه هذه القوى التي تآمرت على أنبل ظاهرة أنجبها تاريخ العرب المعاصر.

كما نهجت هذه القوى المعادية منهجاً راهنت طويلاً على نجاحه عندما سعت جاهدة إلى تفكيك عرى التلاحم بين الثورة وجماهيرها العربية. فقام النظام الهاشمي من جانبه بخلق النعرات الإقليمية وتغذيتها بين شعبنا العربي الفلسطيني الأردني الواحد، كما عمدت إسرائيل على جبهة أخرى وضمن المخطط نفسه إلى توجيه ضرباتها إلى قرى الجنوب اللبناني بهدف استعداء جماهيرنا هناك على الثورة ومن ثم حرمانها من قواعدها البشرية المتينة.

وعندما فشل هدف إسرائل في ذلك وظلت جماهيرنا في جنوبنا اللبناني درع الثورة وقاعدتها، صعدت القوى المعادية من شراسة هجمتها، فكانت العملية الأخيرة في قلب بيروت مزدوجة الهدف: تصفية بعض قادة الثورة ضمن تصفية الوجود الثوري نفسه مادياً، وضرب العمق اللبناني لخلق حالة من التناقض بين مصالح الشعب والثورة. غير أن مراهنة القوى المعادية على نجاح هذين الهدفين كانت مراهنة خاسرة. فدماء أبو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان ورفاقهم الشهداء الأبطال من فلسطينيين ولبنانيين انسكبت لتخصب تربة اللقاء والتلاحم بين الثورة وجماهيرها العربية، كما أن ضرب العمق اللبناني حفز كرامة جماهيرنا العربية في لبنان ووضعها بشكل حاسم في مواجهة صدامية مع العدو الذي وضحت من خلال العملية صورته المثلثة الوجوه بعد أن أشارت جميع الدلائل إلى أن تنفيذ العملية تم على أيدي القوات الإسرائيلية بمساعدة الامبريالية الأميركية وعملائها. وبوضع جماهيرنا

العربية في مثل هذه المواجهة الصدامية الحاسمة التي عمدت بالدم اللبناني في تلك الليلة حقق أبو يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر باستشهادهم انتصاراً آخر أضافوه بشرف ونبل إلى انتصارات مسيرتنا المظفرة التي أثبت تاريخها وواقعها أن موت الرجال فيها هو قوة لها وتأجيج لعنفوانها وشموخها.

إن الألم بفقد الأخوة الثلاثة كان فاجعاً. فأبو يوسف كان متميزاً بين الرجال، أبو يوسف الرجل الذي يخفي خلف مرونته تصلباً في الحق وتمسكاً بالمبدأ قل له نظير.

أبو يوسف سيظل بين الثوار بسلوكيته الصادقة وبتصلبه في الحق، بعفويته الثورية النقية التي هي تعبير عن عفوية شعبنا وصدقه، وسيظل الثوار من شعبنا يحملون أبو يوسف بقلوبهم ومع بنادقهم.

وكمال ناصر، ضميرالثورة، الرجل الذي أحب الجميع من ثوارنا وأحبه الجميع من ثوارنا، سيظل رمزاً كبيراً للنضال من أجل وحدة هؤلاء الثوار التي قاتل الضمير من أجل الوصول إليها، بأنبل دوافع الحب للثورة وأظهر الحوافز لتماسكها ووحدتها.

وكمال عدوان، رجل المهمات الدقيقة، الحاد بذهنية ذات رؤية واضحة تدرك أبعاد العنف ودلولاته ونتائجه، والذي كان وجوده في كل مهمة عهدت إليه كثيفاً ممتلئاً. كمال عدوان، مع استشهاده، سيظل معنا بكل الوجود الكثيف الممتلئ الحاضر دوماً، وبكل العنف الثوري الهادف الذي كان كمال أحد فرسانه.

الألم فاجع، غير أن عظمة الثورة، أي ثورة، وجدارتها في الحياة هي قدرتها على تجاوز آلامها والارتقاء فوق جراحها. وعلى الرغم من ثخانة الجرح الذي خلفه فقدان رفاق الدرب فلن نجهر بحزننا. فلقد أدركنا منذ الليلة التي التقت فيها بنادقنا لأول مرة وأطلقنا فيها الرصاصة الأولى أننا جيل الأضاحي، جيل الأجساد الممدودة جسوراً ليعبر من فوقها العائدون المحررون. غير أن عزاءنا هو في وعينا لحقيقة شعبنا المعطاء السخي برجاله. ذلك العزاء الحقيقي إلا أنه مع كل هذا فإن دماء رجالنا ليست رخيصة علينا. إن المسببين –كل المسببين- سيدفعون نزفاً في مواردهم البشرية، نزفاً في مصالحهم الاقتصادية، نزفاً في مؤسساتهم نفسها مهما كان شراسة هذه المؤسسات: احتلالاً استيطانياً في أرضنا المغتصبة أم مصالح استعمارية تنهب ثروات أمتنا في وطننا الكبير.

فلنشدد ضرباتنا في قلب فلسطين المحتلى وليبدأ نضال جماهيرنا العربية في كل مكان ضد ركائز الاستعمار في المنطقة. هذا هو الشعار، وهذا هو الرد. ووعداً منا للرجال الذين استشهدوا وهم واقفون: سنكمل المسيرة التي من أجلها استشهدوا، فالبندقية التي رفعت مرة لن تنخفض مطلقاً.

وثورة حتى النصر.

طوبي لشيء لم يصل

قصيدة رثاء لشهداء الفردان (نيسان 1973)

شاعر فلسطين محمود درويش

هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
في ليلة لا تنتهي
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيب إلى الحبيب
إلاّ شهيدا أو شريدا
دمهم أمامي ..
يسكن اليوم المجاور _
صار جسمي وردة في موتهم ..
و ذبلت في اليوم الذي سبق الرصاصة
و ازدهرت غداة أكملت الرصاصة جثّتي
و جمعت صوتي كلّه لأكون أهدأ من دم
غطّى دمي ..
دمهم أمامي
يسكن المدن التي اقتربت
كأنّ جراحهم سفن الرجوع
ووحدهم لا يرجعون
دمهم أمامي ..
لا أراه
كأنه وطني
أمامي.. لا أراه
كأنه طرقات يافا _
لا أراه

كأنه قرميد حيفا _
لا أراه
كأنّ كل نوافذ الوطن اختفت في اللحم
وحدهم يرون
وحاسة يرون
و حاسّة الدم أينعت فيهم
و قادتهم إلى عشرين عاما ضائعا
و الآن ،تأخذ شكلها الآتي
حبيبتهم ..
و ترجعهم إلى شريانها
دمهم أمامي ..
لا أراه
كأنّ كل شوارع الوطن اختفت في اللحم
وحدهم يرون
لأنهم يتحررون الآن من جلد الهزيمة
و المرايا
ها هم يتطايرون على سطوحهم القديمة
كالسنونو و الشظايا
ها هم يتحررون ..
طوبى لشيء غامض
طوبى لشيء لم يصل
فكّوا طلاسمه و مزقهم
فأرّخت البداية من خطاهم
)ها هي الأشجار تزهر
في قيودي (
و انتميت إلى رؤاهم
)ها هي الميناء تظهر
في حدودي (
و الحلم أصدق دائما، لا فرق بين الحلم
و الوطن المرابط خلفه ..
الحلم أصدق دائما. لا فرق بين الحلم
و الجسد المخبّأ في شظية
و الحلم أكثر واقعيّة
السفح أكبر من سواعدهم
و لكن ..
حاولوا أن يصعدوا
و البحر أبعد من مراحلهم
و لكن ..
حاولوا أن يعبروا

و النجم أقرب من منازلهم
و لكن
حاولوا أن يفرحوا
و الأرض أضيق من تصورهم
ولكن ..
حاولوا أن يحملوا
طوبى لشيء غامض
طوبى لشيء لم يصل
فكوا طلاسمه و مزقهم
فأرخت البداية من خطاهم
و انتميت إلى رؤاهم
آه.. يا أشياء! كوني مبهمه
لنكون أوضح منك
أفلست الحواس و أصبحت قيدا على أحلامنا
و على حدود القدس ،
أفلست الحواسّ ،و حاسّة الدم أينعت فيهم
و قادتهم إلى الوجه البعيد
هربت حبيبتهم إلى أسوارها و غزاتها
فتمرّدوا
و توحدوا
في رمشها المسروق من أجفانهم
و تسلّقوا جدران هذا العصر
دقوا حائط المنفى
أقاموا من سلاسلهم سلالم
ليقبّلوا أقدامها
فاكتظ شعب في أصابعهم خواتم
هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
هذا هو العرس الفلسطيني
لا يصل الحبيب إلى الحبيب
إلا شهيدا..أو شريدا
_من أي عام جاء هذا الحزن؟
_من سنة فلسطينية لا تنتهي
و تشابهت كل الشهور، تشابه الموتى
و ما حملوا خرائط أو رسوما أو أغاني للوطن
حملوا مقابرهم ..
و ساروا في مهمتهم
وسرنا في جنازتهم
و كان العالم العربي أضيف من توابيت الرجوع

أنراك يا وطني
لأن عيونهم رسمتك رؤيا.. لا قضيه !
أنراك يا وطني
لأن صدورهم مأوى عصافير الجليل و ماء وجه المجدليه !
أنراك يا وطني
لأن أصابع الشهداء تحملنا إلى صفد
صلاة ..أو هويّة
ماذا تريد الآن منّا
ماذا تريد ؟
خذهم بلا أجر
ووزّعهم على بيارة جاعت
لعل الخضرة انقرضت هناك ..
الشيء.. أم هم ؟
إن جثة حارس صمام هاوية التردي
)هكذا صار الشعار، و هكذا قالوا (
و مرحلة بأكملها أفاقت_ ذات حلم _
من تدحرجها على بطن الهزيمة ،(هكذا ماتوا)
و هذا الشيء.. هذا الشيء بين البحر
و المدن اللقيطة ساحل لم يتسع إلا لموتانا
و مروا فيه كالغرباء (ننساهم على مهل
و هذا الشيء.. هذا الشيء بين البحر
و المدن اللقيطة حارس تعبت يداه من الإشاره
لم يصل أحد ومروا من يديه الآن
فاتسعت يداه
كلّ شيء ينتهي من أجل هذا العرس
مرحلى بأكملها أفاقت_ ذات موت _
من تدحرجها على بطن الهزيمة ..
الشيء.. أم هم؟
يدخلون الآن في ذرات بعضهم،
يصير الشيء أجسادا،
و هم يتناثرون الآن بين البحر و المدن
اللقيطة
ساحلا
أو برتقالا _
كلّ شيء ينتهي من أجل هذا العرس ..
مرحلة بأكملها.. زمان ينتهي
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيب إلى الحبيب
إلاّ شهيدا أو شريدا

المقدمة:

في زمن حرب الأشباح بين منظمة أيلول الأسود والموساد لم يكن هناك خطوط حمراء فكل شيء ممكن وقابل لتجريب، وتعد عملية فردان - ربيع الشباب حسب تسميتها في سجلات الموساد الإسرائيلي- إحدى أهم حملة غضب الرب التي أعلنتها جولدا مائير للانتقام من منظمة أيلول الأسود وخاصة بعد عملية ميونخ. لكن ليس كل من تم اغتياله في هذه الحملة كان له صلة مباشرة بعملية ميونخ، فهناك العديد من الإعلاميين والدبلوماسيين الذين ليس لهم علاقة بالعمل العسكري والأمني تمت تصفيتهم. فلا يمكن رسم صورة شاملة للأهداف الحقيقية لحملة غضب الرب.

على الصعيد السياسي كانت منظمة التحرير الفلسطينية تسعى لدعم اقتراح البابا بولس السادس الداعي لتدويل القدس، لكن الإسرائيليين ضغطوا بكل الاتجاهات نحو تغيير رأي الفاتيكان واستطاعوا ذلك، إلا أن جولدا مائير أرادت أكثر من قبول إدارة إسرائيل لمدينة القدس فهي تسعى لاعتراف الفاتيكان بدولة إسرائيل، وتغيير الكهنوت الكاثوليكي الداعي لاعتبار اليهود هم من قتلوا السيد المسيح عليه السلام، وفعلاً أصدر البابا تبرأة لليهود من هذه التهمة، وكذلك إزال أي فقرات دينية رسمية تدعو للا سامية ضد اليهود. وعلى صعيد آخر نشط الفلسطينيون في الدعوة إلى المؤتمرات الكنيسية العالمية وحث الكنائس على رفض قرارات البابا واعتبار القدس مدينة محتلة، وكان فارس هذه الحملة من الجانب الدبلوماسي الأخ الشهيد القائد أبو يوسف النجار، ومن الجانب الإعلامي سطع نجم القائد الشهيد كمال ناصر الذي أصبح يتكرر اسمه في الإعلام الناطق بالانجليزية والفرنسية. واسمه مذكور في أكثر من أربعمائة مقابلة صحافية وأكثر من خمسين كتاباً بحثياً.

أما الوضع العربي فكان التفسخ العربي بعد رحيل القائد القومي جمال عبد الناصر، سبباً في ارتفاع النعرات القطرية في المنطقة العربية، مما جعل العمل الفلسطيني مقتصراً على التنظمات الفلسطينية وبعد الأحزاب العربية التقدمية، وجاء طرح الأردن لسياسة المملكة المتحدة واعتبار القدس والضفة الغربية جزء من المملكة الأردنية والتي وُوجهت برفض عربي رسمي وشعبي، ومهد الطريق سريعاً نحو قرار جامعة الدول العربية باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

فقد كان إعدام وصفي التل رئيس الوزراء الأردني هو الإعلان الرسمي لبدء عمليات أيلول الأسود، والتي كادت تُحدث انشقاق داخل حركة فتح، بل أن المؤتمر الثالث أخرج كتلتين لا يمكن أن يبقيا ضمن تنظيم واحد إلا بحل عبقري ابتكره الشهيد القائد صلاح خلف. وكان اختيار وصفي التل أمر غاية في الأهمية لأن الكتلة الحمائمية بالحركة كانت تسعى لكسب الأردن وإعادة العلاقات معها رغم أن وصفي التل رفض كل الصيغ إلا أن يكون الفدائيين جزء من الجيش الملكي الأردني ويأتمر بقرار هيئة أركانه. وهذا يعتبر قمة الإذلال الذي رفضه حتى حمائم الحركة. من جانب آخر أُعتبرت كلمة الشهيد القائد أبو علي إياد: نموت واقفين ولن نركع عنواناً فدائياً: بأن الفدائي لن يُصبح تابع لأي جيش عربي، وإن غدر الجيش بأبو علي إياد أجج قواعد الفدائيين التي كانت تطالب بالانتقام له، وتلى ذلك جرائم وصفي التل ضد المدنيين في مخيمات عمان والزرقاء، حيث تمّ حرق العديد من البيوت لمجرد أن ابنهم مفقود، وكذلك تمّ اعتقال أكثر من عشرة آلاف لاجئ بتهم الاشتباه بتعاونهم مع المخربين، فقد تساوت تسمية الفدائيين بالمخربيين في كل من عمان وتل أبيب، وتبع ذلك خطوة نازية من وصفي التل، حيث أمر بجرف قبور شهداء الثورة في حرب أيلول ونقل القبور إلى مناطق مجهولة، وهي مازالت مجهولة، فلا أحد يعلم أين قبر قريبه أو قائده، بل لا أحد يعلم من قتل ومن هو بالحبس أو تم إبعاده مما سبب نكبة النكبات في زمن المفقودين، وهذه الأسباب التي جعلت إعدام وصفي التل بداية الانتقام.

أغلب الكتب الأجنبية تؤكد أن الموساد هو الذي نقل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلى أوروبا، وبدأ ذلك بعمليات إسقاط واسعة لطلاب الفلسطينيين الدارسين في الجامعات الأوروبية، ومحاولة خلق طابور خامس قادر على التجسس على الكوادر الثورة في لبنان تحديداً، فرغم أن نشاط الموساد كان واسع في العديد من الدول العربية وخاصة في مصر وسوريا، إلا أنهم في تلك الدول كانوا يبحثوا عم معلومات عسكرية تخص الجيوش واستعدادتهم إلى الحرب.

أما لبنان فهو لم يكن يشكل خطراً على إسرائيل في حالة الحرب، ويؤكد أكثر من قائد عسكري إسرائيلي أن جنوب لبنان لم يكن ضمن مخطط العمليات في أي حرب من الحروب الكبرى ضد مصر وسوريان بل أن التواجد العسكري فيه اقتصر على قواعد الجيش الثابتة دون أي تعزيزات إضافية. أما بخصوص المنظمات الفلسطينية فقد كانت تضرب المواقع الإسرائيلية بشكل يومي إنطلاقاً من الأراضي الأردنية، ولكن بعد انتقال القيادة الفلسطينية إلى لبنان خفتت نيران المقاومة، بل أن الاختلاف أصبح كبيراً بين قوات التنظيمات وقوات جيش التحرير مما شكل عقبة بسبب ضعف التعاون بينهما، ومن جانب آخر حدثت انشقاقات وتراشات داخل التنظيمات اليسارية وتصاعد الخلاف بين كتلتي حركة فتح الرئيستين.

وتلى ذلك سعي جهاز الكي جي بي المخابرات السوفياتية لتشكيل جهاز دولي يقاوم السي آي إيه المخابرات الأميركية، إلا أن الكي جي بي حاول الاعتماد على مفهوم المناضل الأممي وأن النضال الشيوعي لا يؤمن بالحدود، وأن المناضل الشيوعي يخدم قضايا الأحرار بالعالم، وتم تسويق صورة تشي جيفارا ذلك الأرجنتيني الذي حرر كوبا وسقط شهيداً في الغابات دافعاً عن المعذبيين في كل أمريكا اللاتينية، وأن الكي جي بي يبحث عن ألف جيفارا.

الرفيق القائد وديع حداد صاحب الريادة الفلسطينية في مفهوم المناضل الأممي، فقد قام باستقدام العديد من مقاتلين الاشتراكيين الغربيين والآسيويين لقواعد المقاومة في الأغوار الأردنية، بينما حركة فتح كانت تركز أكثر على المقاتلين العرب، حتى أنها فتحت معسكرات للبعثيين وكذلك للإسلاميين تحت مسمى معسكر الزرقاء للمشايخ. أما الأجانب فقد تم استخدامهم في مؤسسات الحرب الشعبية وخاصة في الإعلام عند الشهيد القائد كمال عدوان، كما تم استخدامهم بالخدمات الطبية والهندسة العسكرية، لكن لا يوجد ذكر لهم كمقاتلين أو عناصر بدوريات الاستطلاع على الحدود مع العدو.

أما بداية التعاون مع الكي جي بي فهي بخلية قبرص وهي خلية لتزوير جوازات السفر وهي تعاون مشترك بين أبو إياد ووديع حداد، ولم يكن هناك أزمة بالتعاون مع الكي جي بي لولا إصراره بضرورة تشكيل شبكة تبادل معلومات بين حركة فتح في ألمانيا الغربية والاتحاد السوفيتي، وكان هذا الأمر غير مقبول داخل حركة فتح، لكنه مقبول عند منظمة أيول الأسود، التي بدأت بالتعاون

المعلوماتي مع الأجهزة الأمنية الأوروبية وكذلك التعامل مع تجار الأسلحة والعملات المزورة، وأخطر ما فعله الشهيد أبو يوسف النجار هو رشوة الضباط بالمطارات والموانئ، أما الشهيد على حسن سلامة فقد تعاون مع المافيا وخاصة في تهريب الأسلحة والأفراد، وكان المال لا يشكل عائق لدى منظمة أيلول الأسود وهذا جعلها لا تكون تابعة لإي جهاز مخابراتي أوروبي.

الشهيد القائد وائل زعيتر

ومن جانب آخر كان وضع الكفاح المسلح في أسوأ أحواله، فرغم النشاط الإعلامي الفلسطيني وتشكيل أجهزة ناطقة باللغات الأوروبية وبداية تحرك الأممية الاشتراكية في مظاهرات داعمة للحق الفلسطيني بالمدن الأوروبية، إلا أن صفة الإرهابي كانت ملتصقة بالفدائي الفلسطيني. ورغم أن مذكرات جولدا مائير لا تحوي أي معلومات عن حملة غضب الرب ولا حتى عن الفدائيين، إلا أن كلمة فدائيين أصبحت كلمة مفهومة في العديد من اللغات الأوروبية، فقد رفض ترجمتها الشهيد وائل زعيتر إلى مقاتلين من أجل الحرية (Freedom Fighter)، وأعتبر أن ثوار فلسطين لم يصلوا لمرحلة الثورة وأن ما يقوم به الفدائيين مجرد مرحلة تسبق مرحلة الثورة وهذا جعل العديد من الكتاب يستخدم لفظ فدائيين وهو لفظ يخص المرحلة النضالية الفلسطينية بين عامي (1967-1973). أما وضع إتفاقية القاهرة التي تسمح باستخدام الأراضي اللبنانية للكفاح المسلح الفلسطيني وكذلك وجود سلاح في المخيمات الفلسطينية، لم يكن يرض الرئاسة اللبنانية، التي كانت تطالب بتعديل إتفاقية القاهرة خاصة بعد إقفال كل الجبهات أمام الكفاح المسلح الفلسطيني واقتصاره على الساحة اللبنانية، ومن جانب آخر فإن الخروقات الإسرائيلية للأراضي اللبنانية، قصفها لمواقع الثورة واغتيال كوادرها كان يضع علامة استفهام كبيرة على أهلية الجيش اللبناني في توفير الحماية للفلسطينيين إن كان فعلاً يريد أن يحميهم.

أما الحل السحري الذي ابتكره الشهيد القائد كمال عدوان فكان نقل قواعد الارتكاز إلى داخل الأراضي المحتلة، فأرسل كوادر مؤهلة لتدريب العناصر على حمل السلاح، فكانت فكرته أن تتحول كل منطقة في فلسطين المحتلة إلى منظمة مستقلة عن الأخرى، فلا يوجد ترابط بين التنظيم في نابلس والخليل على سبيل المثال، كما أن أجزاء التنظيم في المنطقة الواحدة مكونة من خمسة أركان لا تترابط إلا في اجتماع الهيئة القيادية، أما الأركان الخمسة فهي: التدريب العسكري ومقرها في جبال ومناطق الخلاء، وقد تمّ إعادة تركيب هذا الركن مع الفهد الأسود بالانتفاضة الأولى تحت نفس الاسم الذي بتكره كمال عدوان وهو مطارد، أما باقي الأجزاء فهي التنظيم السياسي، الإعلام والمناشير، المالية والإمداد، الأسرى والجرحى.

إن قلة عدد العمليات الخارجية في تلك الفترة مع ارتفاع عدد العمليات التي كانت تنطلق من جبال نابلس وشاطئ غزة كان يشكّل منهج معقد من صنع المهندس كمال عدوان، وهذا الأسلوب لم يتمكن الأخ الشهيد القائد أبو جهاد من إعادة تشكيله بعدما تم تفكيكه واعتقال عناصره الفاعلة بعد عملية فردان.

سنجد أسباب كثيرة لنقول أن الهدف من العملية قتل ذلك القائد لا جميع من القادة، وأن المستهدف كان قائد بعينه، إلا أن سجلات الموساد كانت تطرح الأسماء الثلاثة إضافة إلى الشهيدين علي حسن سلامة وصلاح خلف، هذا الأمر كأهداف كبرى دون أن نقلل مما حدث في شارع الخرطوم ومنطقة الفاكهاني

وحتى إنزال شمالي صيدا، كان الهدف إنهاء منظمة أيلول الأسود قيادة وكوادر وعناصر، وأكثر من هذا محاولة عقد هدنة مع الجيش اللبنانية خصوصاً أن إسرائيل كانت تعلم أن جهازية مصر القتالية اقتربت من بدء حربها لاستعادة سيناء، وإسرئيل لا تريد أن تُقاتل على الجبهات الشمالية، بل أنها غير مستعدة لخسارة جزء من الحاجز الجبلي الحامي لشمالها.

وفي أسئلة الثورة الفلسطينية وخاصة حركة فتح، مشروع تدوين تجربة الرعيل الأول وآلية عملهم خاصة في مرحلة بدايات الثورة وكذلك انتقال القيادة إلى لبنان، ولعلنا نرى تناقض كبير بالروايات التي طرحها الأخ صلاح خلف بما قاله محمد عودة أو سليم الزعنون، وأكثر من هذا أسرار لا نعرف متى سيحين لنا أن نعرفها. فمسألة تسجيل الراوية للحدث لا تعني تسجيل الحدث نفسه، فلا أحد يملك المعلومة كاملة، وكتب المذكرات تتحدث عن تجربة شخصية ضمن فريق عمل، بل أن الكثير من الأسرار ممنوع ذكرها، فلا يوجد ذكر لحملة غضب الرب في مذكرات موشي دايان او جولدا مائير! إن المطلوب كتابة تاريخ الثورة لا كتابة تجربة كوادر الثورة في مرحلة العمل السري.

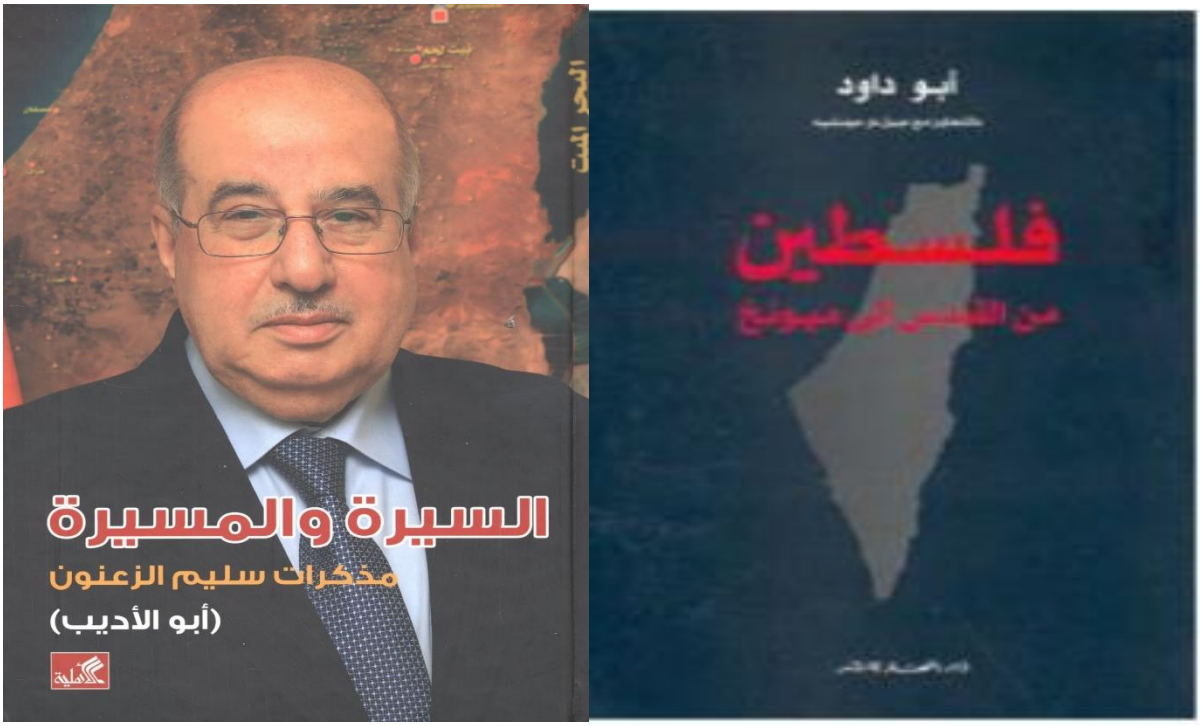

كشفت الموساد بالعديد من الكتب أن تعجيل عملية الهجوم على لبنان كانت بسبب إصرار أبو يوسف النجار على إغتيال رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير بعمليتين تمّ إحباطهما إلا أن هذا لا يعني أنه سييأس. ومن جانب آخر جاء مقتل كوهين المسؤول عن عناصر الموساد في أوروبا قبل أن يقوم بتسليم أسماء شبكته، جعل إسم القائد علي حسن سلامة على رأس قائمة المطلوب قتلهم.

الشهيد القائد الرمز كمال عدوان

يروي لنا اللواء الركن عرابي أبو كلوب: أن "أحمد كمال" عدوان من مواليد قرية بربرة قضاء عسقلان، عام 1935م، وكان والده مقاولاً ومن وجهاء القرية حيث لجأت العائلة إلى قطاع غزة أثناء نكبة عام 1948م، وهناك أكمل دراسته الإعدادية والثانوية في مدارسها، ومن ثم التحق كمال عدوان بجامعة القاهرة عام 1954م في كلية الهندسة تخصص (بترول ومعادن). لقد نشأت فكرة الكفاح المسلح عند كمال عدوان منذ ذلك الوقت، حيث تعرف في تلك الفترة على كل من خليل الوزير وحمد العايدي وعبدالله صيام.

شارك كمال عدوان في المؤتمر التحضيري الأول لمؤسسي فتح في آذار عام 1956م بالقاهرة، والذي تقرر فيه تأجيل الإعلان عن التنظيم إلى عام قادم، وبعد عودة الإدارة المصرية إلى قطاع غزة عام 1957م وجلاء الاحتلال الإسرائيلي عنها، التقت نواة فتح في مؤتمر تحضيري ثاني بغزة، وفي نفس العام سافر إلى قطر قبل أن ينهي دراسته الجامعية، حيث تعرف هناك على كل من محمود عباس، عبدالله الرنان، محمد يوسف النجار. في عام 1958م عمل في حقل البترول مع شركة أرامكو كمتدرب، وأثناء ذلك شارك بوضع ميثاق فتح في أيلول/سبتمبر عام 1958م مع كل من عبد الفتاح حمود، وياسر عرفات، وخليل الوزير، وسعيد المسحال وعادل ياسين ومحمود عباس وكان له دور طليعي في إرساء مبادئ حركة فتح. في العام 1961م، انتقل إلى قطر للعمل كمهندس بترول بعد أن كان قد تخرج من الجامعة وشارك في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الأولى التي عقدت في القدس بتاريخ(28/2-5/6/1964م).

في شهر أيلول عام 1968م ترك عمله في قطر وتفرغ للعمل في حركة فتح كمسؤولاً للإعلام، واتخذ من مدينة عمان مقراً له واستطاع أن يقيم جهازاً إعلامياً متطوراً، له صحيفته، وعلاقاته على الصعيدين الإعلامي العربي والدولي، كما شارك في تأسيس وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا).

انتخب عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح في مؤتمرها الثالث الذي عقد في سوريا في شهر أيلول/ سبتمبر عام 1971م، وأوكلت إليه مسئولية قطاع الأرض المحتلة (القطاع الغربي) والإشراف على النضال والعمل العسكري في الداخل. (المسؤول عن المهمات والأنشطة السياسية والعسكرية في الأرض المحتلة) إلى جانب مهمته الإعلامية، واستمر في قيادة تلك المهمة.

اختير عضواً في اللجنة التحضيرية لاختيار أعضاء المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة في شهر مارس عام 1972م. استشهد بتاريخ 1973/4/10م في منزله الكائن في منطقة فردان في بيروت حيث تم اغتياله على يد قوة إسرائيلية واستشهد كذلك كل من أبو يوسف النجار، وكمال ناصر.

حركة فتح وقرشيف الثورة الفلسطينية
www.facebook.com/fateh1982
الدوحة ١٩٦٤. ياسر عرفات ، أبو يوسف النجار وكمال عدوان

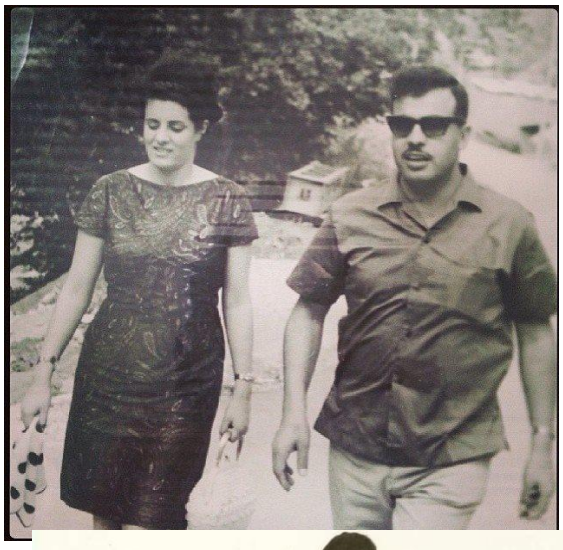

نواة فتح والعمل الفدائي (1954-1956)
بقلم د. عصام عدوان

تواردت أفكار مؤسسي فتح في غزة وبخاصة كمال عدوان وخليل الوزير باتجاه العمل الفدائي كامتداد لما قامت به حركة الإخوان المسلمين من أعمال فدائية انطلاقاً من قطاع غزة أوائل الخمسينات، فقد آمن كمال بأهمية القوة كلغة وحيدة يمكن التفاهم بها مع اليهود ويفرض بها احترامه على هيئة الأمم المتحدة ولجانها، ولذلك أخذ يتثقف ثقافة عسكرية ويتصل بالشباب العسكريين في قطاع غزة (الفدائيين) وتعرف على ضابط مخابرات مصري برتبة يوزباشي، عرّفه على المزيد من الشباب الفدائيين وأعطاه ما طلبه من كتب وخرائط عسكرية وأشركه في عدة عمليات استطلاعية داخل الأراضي المحتلة، أدرك من خلالها سهولة إقلاق إسرائيل بعشرة من الشباب، وهنا بدأ يتساءل عن سبب جمود الحكومات العربية والأحزاب، حتى أصبح يؤمن بضرورة قيام قوة عسكرية شعبية في فلسطين تكون بعيدة عن تأثير السياسة الدولية.

لم يكن كمال الوحيد في تفكيره الجديد، فقد نشط خليل الوزير في مدرسة فلسطين الثانوية واشترك في كتائب التدريب العسكري التي أقامتها الإخوان المسلمون في العريش، وقد استفاد خليل من مكتبة زميله كمال عدوان التي جمع فيها أغلب ما كتب بالعربية عن الحرب العالمية الثانية وعن تاريخها العسكري بشكل خاص.

وهكذا بدأت مجموعة طليعية بين عامي 1953-1954 بالتجمع وتكوين حلقات النقاش ومن ثم الانتظام ضمن أطر وخلايا، كان من أنشطتها فضح فساد الإدارة المصرية في القطاع، والتدريب من خلال

المواجهات المسلحة داخل الأرض المحتلة. تقوم بزرع الألغام المضادة للدبابات في النقب أو نسف أنابيب المياه في المستعمرات، وقد ضمت الحلقة الأولى التي بدأت الكفاح المسلح في غزة عام 1954 كلاً من كمال عدوان وخليل الوزير وحمد العايدي وعبد الله صيام. وفي تصريح لأحد قادة فتح عام 1968 أشار الوزير أنه بين عام 1954 و1955 بدأ الشباب يجمع ما لديهم من مال وراحوا يُعدون ألغاماً ويفجرونها داخل الأرض المحتلة. وذكر صلاح خلف أن أول فاتحه في موضوع الكفاح المسلح كان كمال عدوان وعبد الفتاح عيسى حمود، وأن الفكرة تبين لاحقاً أنها موجودة في وعاء تنظيمي آخر لدى مجموعة محمود عباس ومحمد يوسف النجار.

وكان كمال عدوان وخليل الوزير قد مارسا العمل الفدائي انطلاقاً من غزة في عام 1954 وبشكل مستقل عن الأحزاب القائمة، خلافاً لما ذكره عبد الله عزة من أن خليل الوزير كان (الدينمو) المحرك للنشاط الإخواني العسكري وربما جاء هذا الخلط من كون خليل الوزير قد انتدبه الإخوان للتدريب في دورة عسكرية في العريش وأنه شارك في بعض عمليات الإخوان، وعندما قام هو وكمال عدوان وحمد العايدي وغيرهم من نواة فتح في غزة ببعض العمليات الفدائية فإنهم لم يكونوا قد انسحبوا من الإخوان بعد مما جعل الإخوان ينسبون تلك العمليات لتنظيمهم بينما يؤكد سليم الزعنون أن عمليات خليل الوزير ومجموعته الأولى كانت مستقلة عن الإخوان المسلمين وهو ما ألمح إليه كمال عدوان عندما ذكر في مخطوطته أن اجتماعى الإثنى عشر شاباً من الإخوان المسلمين لوضع أسس التشكيل الشعبي العريض (نواة فتح) عام 1954، قرر أن تكون العملية الفدائية الأولى في اليوم التالي للاجتماع، بمعنى أنها ستكون العملية الأولى ليس للإخوان المسلمين وإنما لنواة فتح في غزة.

وذكرت بعض المصادر أن تمويل عمليات نواة فتح كان ذاتياً وهو أمر غير وارد حيث كانت المجموعة الفاعلة تتألف من شباب غير عاملين لا يتعدون سن الثامنة عشر والتاسعة عشرة من اللاجئين ولا يمكنهم تمويل مجموعة عمليات زادت عن الأربعة، ولذلك، فهناك مصدرين للتمويل:

الأول: ارتباط بعض أفراد هذه المجموعة بالعمل العسكري للإخوان المسلمين مما يعني أنهم وظفوا بعض معداتهم المملوكة للإخوان لتنفيذ عملياتهم الخاصة بهم.

والثاني: أن الشيخ هاشم الخزندار وهو من مسئولي الإخوان المسلمين في قطاع غزة آنذاك، كان يقدم من ماله دعماً لهؤلاء الشباب على عملهم الوطني، وأنه عندما نشب الخلاف داخل الإخوان بين نواة فتح وقيادة حركة الإخوان حول استمرار العمل الفدائي بعد قرار عبد الناصر حل الحركة، حيث قررت القيادة تقديم الصراع مع عبد الناصر على قضية فلسطين، التزم الشيخ هاشم الخزندار مع الشباب –نواة فتح- وسلمهم ما كان يخبئه من سلاح في معمل البلاط الذي يملكه، كما سلمهم 18 جنيهاً كانت بعهدته.

هدفت عمليات نواة فتح إلى لفت الأنظار إلى ضرورة مقاومة الاحتلال وسلبه راحته واستقراره مهما كانت النتائج، كما هدفت إلى خلق ظروف تستدعي من المسؤولين المصريين أن يرتبوا أمورهم على أساس مجابهو الخطر الإسرائيلي. كما هدفت إلى توليد حالة انفجار جماهيرية ينشأ من ردة الفعل الإسرائيلية التي سترد على تلك العمليات بضرب مناطق داخل قطاع غزة.

ونفذت نواة فتح عملياتها الأولى في اليوم التالي لاجتماعهم المذكور في خريف 1954، وكانوا خمسة أشخاص توجهوا نحو مستعمر "الو ايرلس" شمال شرق قطاع غزة بحيث انفجرت بعد عبورهم حدود

قطاع غزة، وقد أعلن راديو إسرائيل عن العملية ناسباً إياها إلى فدائيين مصريين.

اعتبر منفذو العملية أنها ناجحة وقرروا بعد أسبوع منها تنفيذ عملية أخرى في مكان آخر. كان مقياس النجاح لديهم هو ما أثارته العملية من لفت انتباه العسكريين المسؤولين والصدى الذي خلّفته في البلد ونجاخهم في الكتمان، وهكذا تتالعت الضربات، ثانية وثالثة حتى كانت العملية الرابعة التي اعتقل أحد منفذيها، بينما هرب آخر –هو حمد العايدي- إلى أريحا، ووجهت التهمة لهما بتنفيذ كل العمليات السابقة حيث لم تتمكن المخابرات المصرية من العثور على فاعليها. كانت هذه هي عملية خزان زوهر وهو جزء من مشروع المياه القطري الإسرائيلي والذي تم تفجيره بتنكات من مادة(T.N.T) في أوائل 1955، وقد ردت القوات الإسرائيلية على ذلك بعملية كبيرة في قطاع غزة راح ضحيتها عشرات الشهداء العرب في 1955/2/28.

وقد حاول خليل الوزير –وكان طالباً في الثانوية- أن يُعد لغماً لتفجير عبّارة مياه في شرق غزة، ولكن تم ضبط اللغم واعتقل خليل لأسبوع وأُفرج عنه بكفالة، حيث كلفه أحد الإخوان المسلمين وكان سودانياً يعمل في مكتب الحاكم المصري بغزة، اسمه عبد الغفار عبد الرحمن. وهكذا حققت نواة فتح ما هدفت إليه من هذه العمليات، حيث: نبّهت المسؤولين العسكريين المصريين في قطاع غزة إلى أهمية العمليات الفدائية في إقلاق إسرائيل وإرهاقها نفسياً ومادياً، مما كان سبباً في إنشاء كتائب الفدائيين التي يقودها ضابط المخابرات المصري مصطفى حافظ. وأثارت الفلسطينيين بحيث أصبحوا يطالبون بالتجنيد والتسليح ليتمكنوا من حماية أنفسهم من الهجمات الإسرائيلية المتكررة على قطاع غزة. ودفعت مصر إبى طلب السلاح وبخاصة صفقة السلاح التشيكي. كان آخر عملية تنفذها مجموعة نواة فتح مساء 1956/11/1 وقد اشترك فيها ثمانية من المجموعة وكانت عمليتهم قريبة من حدود قطاع غزة. لكنهم عادوا إلى غزة وقد استسلمت للاحتلال الإسرائيلي في 1956/11/2. وأثناء الاحتلال الذي استمر أربعة أشهر ونيف لم تقم المجموعة بأية أعمال فدائية لكنها اشتركت في حركة المقاومة الشعبية بفعالية. وهكذا أُسدل الستار عن العمل الفدائي الفلسطيني حتى أعادته فتح بانطلاقتها في أول عام 1965.

رواية الأخ المنتصر بالله:

في سجل الأبطال الكبار الشهيد(كمال عدوان) من النواة الصلبة: حمل فكراً تعبوياً قولاً وفعلاً بالعنف الثوري أمام عدو شرس ودموي، فاتخذ نهج قوة الردع، كان ينظر إليه زعماء العدو بأنه يقود جهاز فتّاك بتفعيل العمليات والتنظيم بالأرض المحتلة، كان مخطط ومفكر استراتيجي شعاره: "نغزوا ولا نُغْزى". كان من أقرب المقربين لأبو جهاد الوزير ربطتهم صداقة منذ أيام الدراسة (بغزة)، شارك بتأسيس نواة الكفاح المسلح عام 1954 مع مجموعات قليلة شرعت في التدرب على السلاح سراً. وكتب كثيراً في أدبيات حركة فتح قبل انطلاق العاصفة وما كتبة نسب بالتوثيق إلى كل حركة فتح دون وضع اسمه ولمساته.

في بداية تأسيس الخميرة الثورية في هذه المجموعات كان الأخوة أبو جهاد الوزير وكمال عدوان ومحمد الافرنجي وعبد الله صيام ومحمد النجار ونصرعبد الجليل وحمدان عاشور وعبد أبومراحيل وسعيد المسحال وحمد العايدي ثم سليمان الشرفا (أبو طارق) ومعاذ عابد (أبو سامي) وسعيد المزين ومحمود الوزير....

الرجل الصلب كمال ابو رامي كان قيادي من الوزن الثقيل ذوي (الرؤوس الحاميه).. وليس من الذين يديرون ظهورهم للجدار، استشهد وهو يطلق نيران رشاشه على على جنود الموساد؟ وجها لوجهة.. ففي عملية فردان كتب المجرم (إيهودا براك) في سياق عملية الاغتيال، كان الضابط بالموساد نحماني ضمن بمجموعة الاقتحام، تسلق الدرج إلى الطابق الثاني حيث منزل كمال عدوان، وحطما باب المنزل بعبوات 250 كغم .. واقتحموا المنزل، واكتشف الضابط نحماني بأن كمال عدوان كان بالانتظار، حيث وقف كامناً بكل شجاعة خلف إحدى الستائر، وما إن دخل أفراد المجموعة باغتهم بأن أطلق النار بصليات باتجاه المقتحمين من بندقية رشاشة الكلاشكوف، مما أدى إلى إصابة عدد من الجنود .. حسب اعتراف إيهودا براك وجاء ذالك بمذكراته .. كانت دماء جنود الموساد شاهد على أدراج البناية. بعد العملية شنت أجهزة الأمن الفلسطينية والقوى الأمنية اللبنانية حملة أمنية تمكن خلالها الجانبان من توقيف بعض أعضاء شبكة الموساد في (طرابلس) وبيروت وهي من التي ساعدت في تسهيل عملية اغتيال القادة الثلاثة. وكانت إحدى تلك الشبكات في طرابلس تضع القائد (سعيد السبع) من ضمن الأهداف للتصفية وهو من مؤسسي المنظمة وحركة فتح وقد ساهم سعيد السبع بكشف أحد خيوط تلك الشبكات ...

في السيرة والمسيرة للقائد كمال عدوان كان من المعرقلين العصاة تجاة العدوالاسرائيلي ... في المؤتمر الحركي الثالث عام 1971 انتخب عضوا باللجنة المركزية، تسلم عدوان مسؤولية القطاع الغربي وللتاريخ في عام 1972 تم تقسيم العمل الى لجان بالقطاع الغربي والفكرة الأساسية كانت من هندسة الشهيد كمال عدون ... وبمشاركة الشهيد أبوجهاد خليل الوزير كان القائد عدوان له اليد الطولى في مقارعة العدو بالداخل وعمل على تأسيس تنظيم الجامعات في الأرض المحتلة، كما نجح في إدخال عدة مجموعات للعمل داخل الأراضي المحتلة وساعد في تصعيد العمليات العسكرية ضد القوات الإسرائيلية.

و من إنجازات الشهيد كمال عدوان التركيز على التخصص بالعمل الميداني بداخل الوطن المحتل فكان التنشيط للحركة الطلابية والمؤسسات الوطنية لكي تقوم بالعمل السياسي المنتج، وكل ما قام به من خطوات في الأرض المحتلة تسبب في إزعاج كبير للإسرائيليين ليس فقط لأنه استمر في عمليات الكفاح المسلح بل أبدع في تطوير وتقسيم هياكل القطاع الغربي.

حيث كان يكره الفوضى ويميّز(بين القرار والقدرة) وكان يؤمن بقوة بأن: الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين، ولذلك كان يتجنب الدخول في الجدل والتنظير بما لا يجدي ليذهب إلى الهدف مباشرة، فقام بتشكيل قيادة أذرع العمل بالأرض المحتلة مثل لجنة - الشمال ومناطقها تحت مسمى (نابلس) ولجنة - الوسط (القدس) ولجنة- الجنوب (الخليل وجبالها) ولجنة غزة ومناطقها ولجنة أمن الغربي - ولجنة الجليل - ولجنة التنظيم - ولجنة الأقاليم .. إضافة للعمل اللوجستي التسليح والتدريب والإدارة .. وكان كمال من أصحاب نظرية التنظيم الطلابي.. لأبناء الأرض المحتلة الذين يدرسون بالخارج.

نجح العمل بلجانه في تصعيد العمليات العسكرية ضد القوات الإسرائيلية، حتى في إدخال عدة مجموعات للعمل داخل الأراضي المحتلة. وهنا لابد من قول الحقيقة كان الشهيد كمال متواضع تواضع الرجال لم ينسب العمل الى نفسة بل كان ينسبة إلى لجان القطاع الغربي كل على حدا مع قادة نوعيين مجربين وهم شركاء بكل الجهود نذكرهنا (الشهداء القادة) إحسان سمارة أبو القاسم كان من المقربين لأبو رامي و حمد العايدي "وابراهيم ابريغيث أبو صفوت "وناهض الريس" و أبو حلمي الصباريني " وعمر الخطيب أبو شامخ - وأبو المنذر صبحي أبو كرش – وأبو حسن قاسم - وعبد اللة صيام وهندي الشوبكي ...ويبقى للأحياء المناضلين سيرتهم .... بالمسيرة.
ساهم في البدايات عام 1958 بوضع ميثاق حركة فتح قبل إعلان العاصفة، شارك بالمجلس الوطني عام 1964 بالقدس، وتفرغ للعمل الفدائي نهاية عام 1968. في إحدى المحطات كان أحد مؤسسي الإعلام بحركة فتح بالأردن عام 1969 فأعطى انجازات الكبيرة وكان بجانبة الشهيد ماجد أبو شرار. وهو صاحب أول فكرة لتأسيس جهاز مركزي للاسلكي... حيث تدول هذا الحديث (بمكتب امبكس) وهو أول مكتب سري لحركة فتح في وسط عمان القديمة وكنت أنا من ذالك المكتب ...في هذا المكتب كان يتردد علية أحيانا الأخوة أبو عمار، وأبو صبري، وأبو اللطف، وقدري أبو كويك، وصخر حبش وعباس زكي.

<u>يقول المقاتل فؤاد البلبيسي – موريس</u>
من واقع المعايشة والتجربة الميدانية، كنت مرافقا لأبو جهاد وتعايشت معه في عدة مراحل .. كان أبو جهاد يعتز بصداقتة بكمال عدوان كانوا دوما يلتقون ويتحادثون حيث بينهم كيمياء شخصية واحترام متبادل. في عام 1971 كان كمال شريك أبو جهاد في الجولات التفقدية لأحراش جرش بالأردن.. وكنت أحيانا أرافقه أثناء التحراك نحو القواعد الفدائية بالأغوار..

وبعد الخروج من الأردن كنت أحمل له رسائل مكتوبة خاصة من أبو جهاد أثناء إقامتنا في دمشق... كنت أذهب لمنزله ببيروت ولم يكن يتعامل بشؤون الحركة في منزله ..

في إحدى المرات اتصلت به وأنا أحمل رسالة مستعجلة من أبو جهاد قال لي: إذهب للمنزل وسآتيك، وكان ذلك في رمضان، استقبلتني زوجته الأخت المناضلة (مها الجيوسي) أم رامي مرحبة بي كمناضل وحضر الأخ المهندس كمال، وقرأ الرسالة وهممت بالذهاب، وإذا بالأخت أم رامي وكمال يصرون أن أفطر معهم وأن أبقى للصباح .. كان أبى رامي شهم دمث الأخلاق ومثله أختنا الفاضلة الأستاذة أم رامي ابنة جيوس – طولكرم.

وهنا أتذكر رواية في جرش -أحراش دبين- وعلى سبيل الدعابة تم افتتاح أول فرن للخبز.. في إحدى المرات ذهبت بالصباح الباكر واستحممت تحت شلال صغير، وقررت أن أجلب معي فطور للأخوة أبو جهاد وكمال حيث كانوا يقيمون في مغارة.

كان الخباز من المقاتلين طلبت منه أن يعمل مناقيش بالطريقة النابلسية زيت وزعتر وخبز مع بيض مشوي وجبن .. فرح كمال حين رأى هذة الوجبة الساخنة وبعد يومين أخذني جانبا وكان يودني .. وقال لي بهمس يعني بصراحة بدنا ناكل الأكلة تلك.

في إحدى المرات ونحن خارجين من أحراش جرش باتجاة الأغوار وكنت لوحدي مع القائد عدوان بسيارة فولكسواجن الصغيرة توقفنا عند أحد الحواجز وشاهد أحد الجنود وهو يعتدي على أحد الفدائين فهمّ من السيارة بسرعة وتعارك مع الجندي ومن تكوّم حوله.. وتم حجز كمال وشاهدته وهو يجابه الضابط المسؤول عن تلك المفرزة وعدت واتصلت فورا وأبلغت أبو جهاد واتصل بدوره بالأخ عبد الرزاق اليحيى فتم إطلاق سراحه.. وتعانق هو والضابط معا..

بعد الخروج من الأردن وضع عدوان أمامه بوصلة محددة وهي توجيه كل البوصلة نحو الأرض المحتلة، كنت أرى ذلك الرجل صاحب الهمة والكتفين العرضين، من الرجال الصارمين المشهود لهم كرجل موقف صلب وعنيد، وفي حديثه لا ترى ابتسامات ومجاملات ولا يدمج الأمور الشخصية بأمور العمل، كان يملك مخزون معلوماتي عن من يعمل ومن لا يعمل حيث كوّن طرف معادلة، طرفها عسكري وسياسي وأمني وهذا حتما في السجل النضالي في قاصات الأسرار.

كان بالاجتماعات الحركية للجنة المركزية واضحا وصريحا لا يحب التأجيل، بل كان يهابة ذوي الياقات السياسية المستكبرين،لأنه كان حازما وصارما في ميزان للانضباط السياسي والأمني.

الإعلام الخارجي لحركة فتح
بقلم القائد الأخ نبيل شعث

في اليوم التالي لزيارتي الأولى للجامعة الأمريكية في 17 أيلول (سبتمبر) 1969 توجهت مع زهير العلمي لزيارة مكتب الإعلام الخارجي لحركة فتح في آخر شارع السادات، في منطقة الحمراء أو ما يسمى بطلعة الحمام العسكري. أبلغني زهير أن مفوض الإعلام هو كمال عدوان الذي يوجد في عمان وسألني عن علاقتي به. قلت له: "كان لقاؤنا الأول صعباً لم يخفف منه إلا وجود شاب رائع يعمل معه اسمه الحركي أبو عمر، وعرفت فيما بعد أن اسمه الحقيقي حنّا ميخائيل، وآخر مصري ظريف وفيهم اسمه أحمد الأزهري، ولكني في اللقاء الثاني أحببته، وأعتقد أننا سنعمل بكل فاعلية وانسجام". قال زهير: "أوافقك تماماً، الانطباع الأول عن كمال يتغير تماماً بعد أن تعرفه". عرفني زهير العلمي على حمدان "يحيى عاشور" معتمد إقليم لبنان لحركة فتح، ونائبه المتحرك والمبتسم دائما الحاج طلال "سمير أبو غزالة"، وعلى مسئول الإعلام في لبنان لمعي قمبرجي، وعلى مسئول صحيفة فتح الإنجليزية فواز نجية ومساعدته ليلى شهيد.

كان أغلب معاونيه من طلاب وطالبات الجامعة الأمريكية. تسلمت الإعلام الخارجي للحركة، وقدت مجموعة الاتصال بالصحفيين والمراسلين الأجانب، وهي مجموعة لامعة من أبناء فتح من شباب الجامعة أيضاً، ومن بينهم فؤاد بوراشي وفيكتور قشقوش وحسنا رضا وهدى زريق وإيدي زنانيري وهالة صايغ وليزا البوري. شرحوا لي طبيعة عملهم ومهامهم في الإعلام الخارجي وتعرفت على مشاكلهم واحتياجاتهم. كانوا في حاجة للعمل كفريق تصله المعلومات الدقيقة وفي وقتها، فهم يتعاملون مع إعلاميين أجانب خبراء وأذكياء ويمكنهم اكتشاف الثغرات والتناقضات واستغلالها. كان من بين هؤلاء الإعلاميين بيتر جنغز(Peter Jennings from ABC)، الذي اشتهر بتغطيته المباشرة لعملية ميونخ وأصبح بعدها أهم معلق تلفزيوني أمريكي، وديفيد هيرست الصحفي البريطاني المخضرم مراسل الجارديان اليومية، ومؤلف الكتاب الشهير "البندقية وغصن الزيتون"، وجون كولي الأمريكي ممثل الكريستيان ساينس مونيتور جريدة بوسطون اليومية المهمة، ومايكل آدامز الكاتب السياسي البريطاني الشهير. وكان هناك عبد الله شليفر مراسل النيويورك تايمز، وأرنو دي بورجراف مراسل النيوزويك. وكانت هناك محطة كبيرة لوكالات الأنباء الرئيسية: رويتر والفرنسية والأسوشييتد برس والإذاعة البريطانيةBBC.

كانت بيروت في الواقع مركزاً للإعلام الدولي في الشرق الأوسط، وكنت أدرك أن ذلك يعطينا فرصة مهمة للتأثير في الرأي العام العالمي. لم نكن نملك محطة تلفزيونية ولا وكالة أنباء ذات ثقل دولي ولا صحفاً باللغات الأوروبية الرئيسية يمكنها أن تصل للرأي العام أو لمتخذي القرار. ولم يكن لدينا قدرة مالية للحصول عليها. لذلك كان هدفنا هو توصيل ما نريده من أخبار ومواقف وأفكار من خلال

زيارة القيادة الفلسطينية الرسمية لجمهورية ألمانيا الشرقية عام 1971

الإعلاميين الأجانب لإحداث التأثير الذي نريد. كنّا نصاحبهم وزورناهم قواعدنا في الجنوب، وأخذناهم إلى مخيمات اللاجئين، ورتبنا لهم مقابلات مع القادة الفلسطينيين عند حضورهم من عمان، ونفعل ذلك بلغة إنجليزية وفرنسية عالية الإتقان، وبأسلوب عصري ذكي وجذاب وبمصداقية عالية، وبقدر من الالتزام والتصميم الثوريين. وقد أحدثنا التأثير الذي نريد. كسبت فريقي اللامع سريعاً وكنت لهم قائداً وأخاً كبيراً ومعلماً، وكانوا لي إلهاماً، وقدموا لحركتهم إنجازاً مستمراً.

وفي شباط (فبراير) 1970 طلب مني الأخ أبو السعيد خالد الحسن أن أكون نائبه في مفوضية العلاقات الدولية للحركة، ولم يكن في المفوضية سوى الأخ عبد الله عبد الله. كان هناك خلاف بين خالد الحسن وكمال عدوان حول العلاقات الخارجية والإعلام الخارجي. كان كمال يرى أننا لسنا مؤهلين بعد لإنشاء "علاقات خارجية" مع قوى وأحزاب دولية خارج إطار الوطن العربي، ولكننا في حاجة إلى إعلام دولي للتأثير على الرأي العام الخارجي ولخلق صورة جديدة للشعب الفلسطيني وثورته يمكن أن يترتب عليها في المستقبل البدء في تأسيس علاقات خارجية. حاول الأخ أبو السعيد، الذي منت أكن له كل المحبة والاحترام لقله وخلقه، أن يقنعني بوجهة نظره في أن إعلاماً بدون علاقات لا ينتج شيئاً ملموساً يمكن البناء عليه. كانت علاقتنا الدولية وقتها قاصرة على اليسار الثوري المنتمي لفكر ماو تسي تونج أو تروتسكس وببعض أصحاب الفكر اليساري الفوضوي، إضافة لعلاقات مع بعض المثقفين وبعض البرلمانيين الأوربيين. وقد عمل الأخ خالد الحسن على بناء هذه العلاقات البرلمانية. قلت أبو السعيد إنني جاهز للتعاون معه ولكنني لن أترك عملي في الإعلام الخارجي، ولم يكرر أبو السعيد محاولته، وسافر عبد الله عبد الله إلى الجزائر وبعدها إلى كندا، وحل الأخ أبو اللطف مكان الأخ أبو السعيد كمفوض للعلاقات الخارجية لحركة فتح بعد المؤتمر العام لحركة فتح عام 1971.

كتبت الأخت الماجدة الأستاذة (مها الجيوسي أم رامي) زوجة الشهيد القائد كمال عدوان وهي ابنة عائلة عريقة معروفة في فلسطين والأردن.. كتبت بعنوان (قصة الذكرى تشدني) برواية انسانية نضالية .. ملخصها ما يلي:

كنت قد ارتبطت بزوجي الشهيد كمال عدوان يوم ١٩٦٥/٩/١٣ ميلادية وكعادة العرسان ذهبنا في شهر العسل إلى فينا وإيطاليا وعدنا أواخر الشهر ذاته أيلول إلى بيتنا في قطر حيث يعمل الشهيد كمال مهندسا للبترول في حكومة قطر هبطنا في مطار الدوحة حوالي الواحدة والنصف ظهرا وكان في استقبالنا في المطار بعض رفاق كمال ومنهم الأخ أبو مازن.

وأوصلنا المرحوم معاذ عابد إلى بيتنا دخلت البيت لأول مرة كنت وبدأت أفرغت شنط السفر وأرتب ما بها وفي حوالي الساعة الرابعة والنصف، وقف كمال أمامي يقول لي: أرجو أن لا تنزعجي وأعذريني لموقفي، سيكون بعد قليل في ضيفاتنا صديق عزيز سيحضر من الكويت وسوف يشغل غرفة النوم الثانية في البيت، وسيمكث بيننا بضعة أيام سأتدبر ورفاقي هنا أمر طعامنا وشرابنا فكلهم يعرفون أنك العروس ولن يكون بمقدورك الاستضافة.

في الخامسة مساء وصل الصديق ودخل المنزل بعد أن أحضره كمال من المطار ووقف بيننا يعرفنا على بَعضُنَا البعض ويقول له هذه مها زوجتي لها في البيت سويعات وهذا صديقي (اسمه ياسر عرفات).. يعمل مهندسا في الكويت نظر إلي نظرة فيها إشفاق وسط دوامة من تضحيات كبيرة تنتظرني ولا بد أن تنالني وهما يعرفان ما يخططان له ورفاقهما.

مضت خمسة أيام كان فيها (الشهيد ياسر عرفات) ضيفا رائعا يستيقظ مبكرا ويرتب سريره وشبشبه بطريقة متقنة جدا ويقدم اعتذاره لهذه الضيافة التي جاءت في غير وقتها، سررت بوجوده لم أشعر بالغربة تماما، وكان البرنامج أنه منذ السابعة صباحا يبدأ جرس البيت بالرنين ويبدأ الإخوان بالحضور واحدا تلو الآخر، هم الرعيل الأول من مهندسي حركة فتح، وتعارفنا يجلسون على طاولة الفطور دقائق ثم ينصرفون إلى غرفة الجلوس يتحادثون ساعات يخططون ويضعون الخطوط العريضة لفتح، وواجباتهم إلى ساعات الليل يتخللها فترة الظهيرة وما بعدها يعودون إلى بيوتهم، ليبقى ضيفنا وكمال ولم يعد خافيا على أحد في الوقت الحاضر، أن خلايا تنظيم فتح الأولى انطلقت من قطر والكويت ومن أوائل هم الشهداء القادة المؤسسين زوجي كمال عدوان ورفيقه في الحياة والشهادة أبو يوسف النجار... (والشهيد القائد عبد الفتاح حمود) وقد سبقهم الى الشهادة ١٩٦٨... كان رفاق الدرب لكمال الاخوة أبو مازن ورفيق النتشة والأخ سعيد المسحال والمرحومين معاذ عابد وفتحي البلعاوي .... ومعهم تنظيم موحد كلمته واحده وهدفه واحد.

غادرنا الأخ ياسر عرفات يحمل معه كل ما استطاعوا جمعه من مرتباتهم الخاصة، يدفعونها عن طيب

خاطر وأمل في مستقبل واعد وأنا أشهد بما أعرفه حق المعرفة كم كان المؤسسين القادة في قطر يقدمون الجزء الأكبر من رواتبهم لبناء هيكل فتح وتنظيم فتح ....

كتبت أم رامي ..كنت أحمل بعض هذه الصور في حقيبة يدي يوما ما في تونس... رآها الرئيس الشهيد ياسر عرفات فقال... ياه يا ام رامي .....كم سنة عدت بي الى الماضي الله على تلك الأيام.. ولا تنسي انني كنت دوما بجانبك واخاف عليك مما ينتظرنا...

بعد عملية استشهاد كمال عدوان وأبو يوسف النجار وكمال ناصر.. قرر(أبو جهاد) تنفيذ أهم عمليات فتح العسكريه خلف الخطوط .. انتقاما للقادة والتي خاضتها مجموعة دلال المغربي و إخوانها وعملية سافوي وعملية نهاريا ... تلك العمليات حصرا نُفذت بطريقة مشابهة لعملية اغتيال القادة الثلاثة حيث نزل الفدائيين البحريين الكوماندوز من قوات العاصفة إلى الساحل الفلسطيني في قواربهم المطاطية من نوع زودياك ووصلوا إلى الشاطئ الفلسطيني، ونفذوا عملياتهم الردعية بكل أنواع الأسلحة، وكانت النتائج مخرز بعيون هيئة أركان العدو وموساده ووحدة سيرت متكال .. حيث قتل مجموعة كبيرة من الصهاينة من كبار الضباط والجنود والمستوطنين، وفي إحداها أعلنت العملية باسم شهداء فردان (مجموعة الشهيد القائد كمال عدوان).

وهنا نورد بالمختصر العمليات الاربعة الردعية التي ابهرت العالم وهزت اركان صناع القرار بالكيان الصهيوني ... وكانت العمليات تحت نظرية شريعة حمورابي .. الرأس بالرؤوس ...

(في عملية نهاريا عام 1974) تم الإنزال البحري في عملية نوعية قام بها ثلاثة من الكوماندوز بقوات العاصفة –القطاع الغربي تلك العملية استمرت 7 ساعات قتل وجرح عشرات الضباط والجنود باعتراف العدو نفسه.
(في عملية سافوي الفدائية) عام 1975 قتل (العقيد عوزي يئيري) أحد كبار ضباط الاستخبارات العسكرية بوحدة سييرت متكال، والذي كان وراء تنفيذ عملية الفردان في بيروت 1973/4/10 حيث نزلت على ساحل تل أبيب مجموعة من كوماندز قوات العاصفة بعد أن عبرت البحر بواسطة قوارب مطاطية لتقتحم فندق "سافوي" الواقع في شارع "غؤولا " وسط مدينة تل أبيب وحسب اعترافات العدو قتل 11 شخصا وجرح عشرين آخرين.

(في عملية الشهيد كمال عدوان) البحرية التي قادتها دلال المغربي ومجموعة الكوماندوز من قوات العاصفة التي نزلت إلى الساحل الفلسطيني في 11-3-1978 في عمق المنطقة بين حيفا وتل أبيب قرب هرتسيليا وقد اشبكت بعدة مناطق وحسب اعترافات العدو قتل اثنى عشر من أفراد الشرطة، كما أصيب تسعة وعشرون اخرون، بعضهم كانت إصابته خطيرة. وفي مكان آخر للخبر بالعبري أصيب 82 مابين جريح وقتيل ، وتكتمت المصادر الاسرائيلية عن القتلى والجرحى من الجنود الاسرائيلين.

وهنا يجب المرور أيضا على عملية الرد الحاسم (بقبرص) التي قامت بها المجموعات الخاصة (ب قوات 17) الذراع الضارب والتي اخترقت جهاز الموساد بعملية معقدة .. كانت ردا على(عملية فردان وعلى استشهاد القائد ابو حسن سلامة في بيروت) بعد تلك العملية تم استدراج مجموعة من الموساد مكونة من أربعة ضباط بالإضافة إلى إستر أو سيلفيا والتي كانت تعد من أكبر ضباط الموساد تمت العملية على ظهر يخت يرسو على في لارنكا وفعلا تم اقتحام اليخت (فيرست) فجر يوم 1985/9/25م

وتم احتجاز طاقم الموساد وطالبت المجموعة المنفذة بتسليم المقاتلين الفلسطينيين الذي سبق لإسرائيل أن اصطادتهم في الفخ البحري وانتهت العملية بتصفية مجموعة الموساد ومنهم

1. سيلفيا رفائيل (قائدة المجموعة، كانت تستخدم اسم استير بالزيو وباتريشيا ريكسبورغ، شاركت في محاولة اغتيال أبو حسن سلامة).
.2. زيفين بالزيو، من كبار ضباط جهاز الموساد، عمل لسنوات ضمن مجموعات الجهاز في أوروبا.
3. أبراهام افنيري، من كبار ضباط جهاز الموساد، سبق وأن شارك في عدة عمليات لاغتيال اغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة .....في شارع فردان ببيروت عام 1973

في عملية قبرص قتل أيضا السوري البحار مصطفى صبرا وهو عميل ومرشد للمخابرات الإسرائيلية الذي حاول الهرب من منطقة الميناء لكن الضابط الفدائي المكلف بالمهمة لحق به في أحد شوارع ليماسول قبالة فندق انتر كونتنتال وأطلق عليه الرصاص وأرداه قتيلا.

في سياق العملية يذكر أن (سلفيا رؤفئيل) فى عام 1973بعد عملية فردان مباشرة انتقلت سلفيا إلى مدينة طرابلس (لبنان) لتسكن مع شخصين يحملون جوازات سفر بريطانية مزورة فوق شقة المسوؤل الفدائي سعيد السبع فى تلك الفترة وبحسة الأمني اكتشف السبع شخص ألماني اسمه أورلخ لوسبرخ و الذي تبين فيما بعد أنه ضابط الموساد (حجاي هداس) فكلف عدد من الفدائيين بمراقبته وقام سعيد السبع بإبلاغ الأمن العام اللبناني عن المجموعة.

بعد مقتل ضابطة الموساد (سيلفيا رفائيل) في لارنكا ووصول جثمانها إلى إسرائيل أقيمت لها جنازة عسكرية بحضور قادة جهاز الموساد والقيادات العسكرية والسياسية الإسرائيلية، وكانت جثتها تتقدم جثتي رجلي الموساد اللذين قتلا معها مما يدل على رتبتها الأعلى منهما.

<u>كتب الأخ رامي كمال عدوان في 9 نيسان 2016</u>:
في مثل هذا اليوم، قدمت يا والدي أنت ورفاقك الثمن الأكبر لفلسطين. وبعد 43 عاما من استشهادك، لا تزال فلسطين تذكرك قائداً صادقاً جاداً، جمع بين صلابة الرؤية الواضحة، وبراغماتية العمل على الأرض. لربما تُختصر سيرتك في كلمات عشتها عكست إيمانك الحتمي بالنصر عندما قلت "نعيش بأملنا فنحوله إلى حقائق...ويعيشون بيأسهم فيستسلمون". لم تكن مفكراً وإعلامياً فقط، وإنما فدائياً قائداً أرسى أسس العمل المقاوم في الأرض المحتلة، حيث عملت في الضوء بمصداقية وابتكار، مترفعاً عن صغائر من يأسوا مبّكراً، فكنت مُلهِماً محفزاً ما جعل اغتيالك مطلباً إسرائيلياً مُلحاً.
كمال عدوان، أبو يوسف النجار وكمال ناصر....
العاشر من نيسان وذكرى فردان، يوم وفاء لكم وللشهداء. فلتبقى ذكراكم خالدة ومجيدة في قلب فلسطين

الموت على الطريقة الفلسطينية
بقلم : الشهيد ماجد أبو شرار الى الشهيد كمال عدوان

تقوى بالرصاصات على طحن عظم الرأس الفلسطيني ..
وتقوى على استنزاف آخر قطرة دم من القلب الفلسطيني ..
و تقوى على امتصاص آخر نبضة من العرق الفلسطيني ..
ولكنها تظل رصاصات عاجزة ..
تعجز أن تطحن العقل في الرأس الفلسطيني ..
فهو عقل مخزون بالعلم و بالمعرفة وبالنظام ..
بالتراث ..
وهو عقل حضاري ..
تعجز أن تستنزف، ولو للحظة واحدة ..
الإيمان والإصرار والحسم والحب والثقة من القلب الفلسطيني..
فهو قلب لا يسع فقط ... مها ... ودانا ورامي ..
بل يسع كل أطفال شعبنا وكل أطفال أمتنا ..
بكل إشراقات المستقبل الذي أردت وتريد لشعبنا وأمتنا ..
تعجز أن تمتص النبض الحضاري من العرق الفلسطيني ..
فهو العرق الممتد في قلب تراثنا و حضارتنا..
المندى بعرق الخندق الفلسطيني المقاتل ..
المتصل بالخندق العربي المقاتل ..
المشرق إلى فيتنام و المغرب إلى افريقيا وأمريكا اللاتينية ...
والقلب، قلبك يا كمال ..
والعقل، عقلك يا كمال ..
والعرق، عرقك يا كمال ..
كمال الفلسطيني، كحد السيف ..

قصة العدد رقم 17 من مجلة شؤون فلسطينية
بقلم أنيس الصايغ

حرصت منذ أن أصدرت مجلة "شؤون فلسطينية" (آذار/مارس 1971) على أن تكون رسالة عرفات السنوية في اليوم الأول من العام، ذكرى انطلاقة حركة فتح، افتتاحية لذلك العدد. واتفقت معه على أن يسلمني الكلمة قبل أيام من نشرها لأتمكن من إصدار عدد رأس السنة في موعده المحدد. وفي الخامس والعشرين من كانون الأول/ديسمبر 1972 بدأت ألاحقه بتسليم الرسالة/الافتتاحية، خاصة أني كنت مضطراً للسفر إلى القاهرة بعد أيام وأردت إنجاز العدد قبل سفري. وأخذ، كعادته، يماطل، وفي موعد سفري 12/28 قال: اترك لي الصفحتين الأوليين من المجلة وسأسلم الرسالة غداً في غيابك ولن أكون سبباً في تأخير صدورها. وصدقت وعده وسافرت في أول رحلة لي خارج لبنان بعد الاعتداء عليّ في تموز/يوليو. وما إن وصلت الفندق في القاهرة حتى اتصل بي مساعدي في المركز، ابراهيم العابد، يشكو من ورطة أوقعتنا بها الافتتاحية. فهي أطول من الحجم المتفق عليه. والعدد مطبوع كله. وكان علينا إمّا أن نختصر من الافتتاحية أو أن نضعها بالصفحات الأخيرة بدل الأولى. وأدرك ابراهيم وأنا أن عرفات سيفقد صوابه إن لجأنا إلى أي من الحلين. فرأيت أن نلجأ إلى حل أقل أذى: أن نطبع الافتتاحية بحرف أصغر قليلاً عن الحرف المألوف في المجلة (وكان يُسمى في لغة المطابع آنذاك حرف نبط 9 بينما الحرف المستعمل عادة هو نبط 12). وهكذا كان. وصدر العدد بدون تأخير ورسالة عرفات في صدره، وإن بحرف أصغر قليلاً.

وصدف أن صورة الغلاف في ذلك العدد كانت لمدينة صفد – كنّا نختار كلّ شهر صورة إحدى مدن فلسطين غرفاً للعدد. وبدأنا بصورة القدس. وكرّت المسبحة، لكل مدينة نصيبها. وجاء دور صفد في 73/1/1. ولم أكن أدري، ولا كان مخرج المجلة الفنان زاهي الخوري يدري أن هناك مشاحنات داخل صفوف منظمة التحرير، وخاصة في جيش التحرير، بين أبناء غزة وأبناء صفد، وأن عرفات وأغلب القريبين منه إنما يقفون إلى جانب الغزاويون بينما يقف بعض معارضيه إلى جانب الصفديين. ولم نكن ندري أن في الثورة الفلسطينية صراعات داحس والغبراء من نوع جديد، سخيف وقرف.

نمتُ تلك الليلة مرتاحاً لأن استعمال النبط 9 حل المشكلة. لكنني استيقظت في الصباح التالي على صوت ابراهيم العابد صارخاً ومناشداً أن أنقذه من الورطة. إن مقاتلين من فتح، بقيادة كمال العدوان (أحد العناصر النظيفة في حلقة عرفات، الذي استشهد مع رفيقيه النجار وناصر بعد ذلك التاريخ بمئة يوم) يحاصرون مستودع المركز ويطالبون بإتلاف العدد بناء على أوامر من رئيس المنظمة، لأن المجلة تعمّدت إهانته بطبتعة افتتاحيته بحرف أصغر من الحرف العادي، ولأنها اختارت صفد مدينة لغلاف ذلك العدد بالذات بدل أن تختار القدس أو إحدى المدن الكبرى.

وتكلمت مع العدوان. وكان متفهماً. وأدرك أني لن آمر بسحب العدد ولا إتلافه ولا الاستعاضة عنه بطبعة جديدة مصححة حسب طلبات السيد عرفات مهما كانت الظروف. وذكّرته بأني المسؤول أولاً وآخراً عن المجلة. بما فيه اختيار حجم أحرف المواد وصورة الغلاف، وليفعل عرفات بي ما يشاء. وانتهى الإشكال مع كمال العدوان عند هذا الحد. ووزع العدد ونشر كالمعتاد وفي الموعد المحدد. وأبلغت عرفات لاحقاً أن أي رسالة/افتتاحية لا تصلني منه في موعد أقصاه 12/28 سيصدر العدد الجديد بدونها.

كمال عدوان مسؤوليات متعددة

بقلم الأخ القائد محمد عودة أبو داود

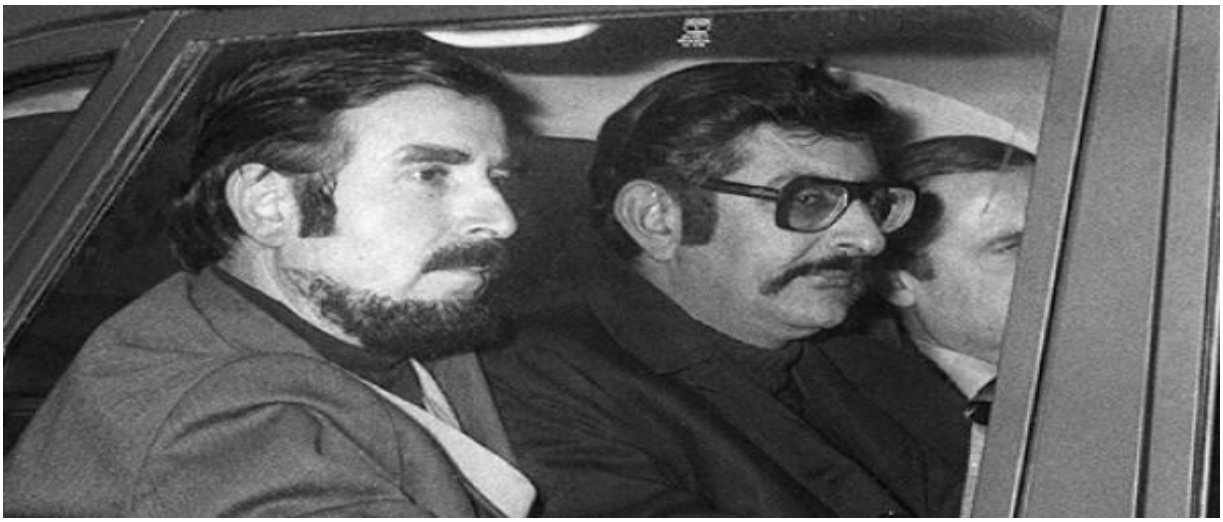

إن اغتيال وصفي التل أحدث تغيرات كثيرة. فقد أُعيد خلط الأوراق في قيادة فتح. إن "إعدام" رئيس الوزراء الأردني كرّس النفوذ المتزايد، منذ مؤتمرنا الأخير(المؤتمر الثالث)، لرجال مثل أبو يوسف النجار، ولكن أيضاً مثل كمال عدوان، وهو أحد القريبين منه كما نعلم، وليس من باب المصادفة أن تنتزع في كانون الأول/ديسمبر قيادة المقاومة الداخلية من أبو جهاد –الذي بقي نائب قائد شعبتنا العسكرية، "العاصفة"- وتُعطى لكمال عدوان. وقد جُمعت الشعبتان المعنيتان –الشعبة 48، المولجة العمليات داخل إسرائيل نفسها وشعبة "أراضي 1967 المحتلة" التي تنسق عملياتنا في اتجاه الضفة الغربية وغزة- في قسم واحد وتحت قيادته. ولكن لابد من القول، إنصافاً، أن عنصراً آخر دخل المعادلة إذ لم يتلكأ الإسرائيليون عن استيعاب كيفية الاستفادة من ضعف نضالنا منذ خسارتنا الأردن، ومن انعدام ثقة مواطنينا في الداخل بالنظام الملكي الأردني. فخططوا لتنظيم إجراء انتخابات بلدية في الربيع المقبل في كل الضفة الغربية. ونُشر مرسوم في 19 كانون الأول/ديسمبر يحدد تاريخها في 28 آذار/مارس و2أيار/مايو. وكان هدف الإسرائيليين واضحاً تماماً: تعزيز سلطة الوجهاء وتسهيل ظهور محاورين فلسطينيين "لهم صفة تمثيلية" ومستقلين عن منظمة التحرير وسيتمكنون من إملاء شروطهم عليها، أي الضم النهائي لقسم من الضفة الغربية، وخلق "بنتوستان" فلسطينية، يتحكمون بها فوق القسم الآخر. وإذا أخذنا في الاعتبار أساليب الضغط التي ستمارسها السلطات المحتلة أثناء الانتخابات-إذ يكفي الختم الذي سيُختم به هوية المنتخبين لإجبار كل مواطن متمرد في بلد محتل على التفكير ملياً! لم يكن هناك ما هو أشد خطراً على المقاومة: فإذا تمكن الإسرائيليون من تحقيق أهدافهم، لاستطاعوا الإعلان في وجه العالم كله أن الشعب الفلسطيني قبل بتقرير المصير حسب مفهومهم هم. فبدأ سباق ارتكز كل شيء فيه، كما رأينا، على امكاناتنا في إعادة إطلاق حرب العصابات، مهما يكن الثمن، من الحدود اللبنانية، ولكن أيضاً على إقناع مواطنينا في الضفة الغربية بمقاطعة الانتخابات الآتية.

لم أشك أبداً في كفاءة كمال عدوان في إعطائه دفعاً جديداً لمقاومتنا الداخلية. إذ أنه رجل نشيط ومتمكن فكرياً، لكنني لا أنسى أنه، في تشرين الأول/أكتوبر 1970، كان من بين هؤلاء الذين أيّدوا قبول "المتكأ" الذي لوّح لنا به الأميركيون من خلال "كيان فلسطيني" محتمل، يُقام في الضفة الغربية. بالطبع، لقد تطور منذ ذلك الحين، ولكن نظراً إلى الخلاف الحاد الذي حصل بيننا في ذلك الوقت، لم أعد أتصوّر نفسي أعمل بجانبه كما لو أن شيئاً لم يحدث. وقد فهم هذا فاروق القدومي في اللجنة المركزية، وتمكنت بفضله أخيراً من العودة إلى مهمات أعرفها جيداً: فعيّنت في 27 كانون الأول/ ديسمبر، قائداً لميليشياتنا في لبنان، لكنني ما إن استقريت في كانون الثاني/يناير في بيروت حتى عرفت كم هي مظلمة الحقبة التي دخلت فيها المقاومة.

كمال عدوان فيلسوف وروائي الثورة
بقلم رشا عبد الله سلامة (جريدة الدستور الأردنية)

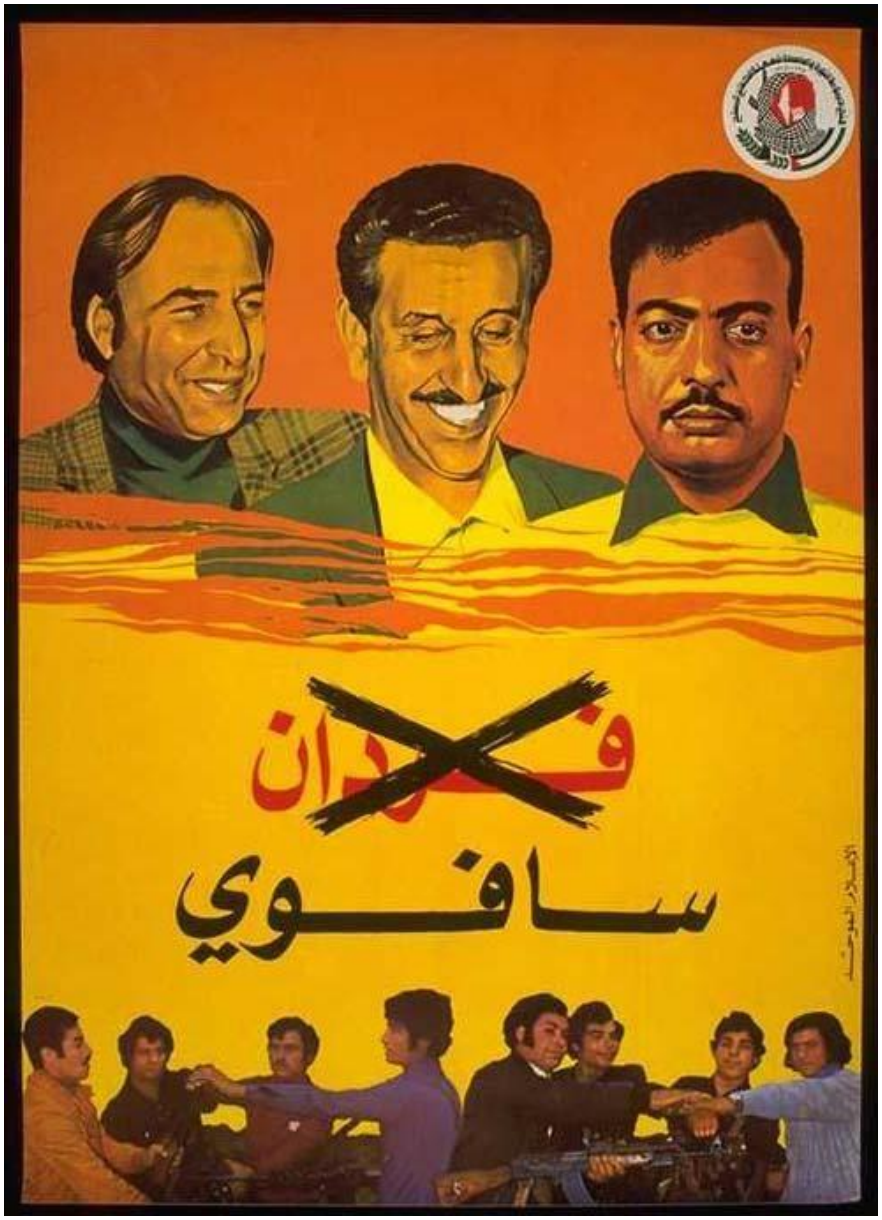

لربما لم يدر في خلد الصبية العشرينية مها الجيوسي أن ذلك الغداء التكريمي، الذي دُعيَت إليه إبان دراستها الجامعية في القاهرة، سيصحبها نحو رحلة عمر طويلة تستعصي على الخيال في مواضع عدة.

كانت مها وكان ذلك الشاب، الأسمر الطويل القامة الكث الشعر القادم من قطاع غزة، كمال عدوان.. عدوان الذي سيصير بعد مضي أعوام من ذلك اللقاء خبرا عاجلا تبثه وكالات الأنباء العربية والعالمية، بعد أن كان هو من يقوم على البيانات الإعلامية والتصريحات الصحافية لفصيل فتح الذي ينتمي إليه.

«كان كما القنبلة الموقوتة التي تود أن تنفجر لتُحدث تغييرها المنشود في المنطقة. منذ عرفته وطاقة داخلية مسعورة ودوافع رهيبة تعتمل لديه. كان يترجمها جميعها في عمله السياسي كمفوّض للأرض المحتلة، إلى جانب دوره الإعلامي البارز في بيروت لكونه مفوضا للإعلام الثوري آنذاك»، تقول مها، مردفة «لو كانت الأمور تقاس بعدد السنين لما كان كمال قد أنجز شيئا بعد؛ إذ رحل وهو لمّا يكمل الثامنة والثلاثين من عمره، لكن الكثير الكثير من الإنجازات كانت ممهورة بتوقيع كمال عدوان».

ذلك الحماس المحموم حيال الإنجاز، وذلك التوق العارم لتكثيف الأحلام وحيثيات تحقيقها في مدة زمنية مختزلة، دفع كمال سريعا لتتويج ميله نحو مها، بالزواج منها في صيف العام 1965. ذلك الزواج الذي أثمر دانة في أيلول عام 1968 ورامي في نيسان عام 1970.

بقدر ما اتسمت تلك المرحلة بزخم عالٍ ومتسارع، كانت ثمة تفاصيل رقيقة أيضاً، بحسب مها. تقول «اتصل بي ذات مرة على هاتف بيت الطالبات، داعياً إياي للتمشي. يومها، أهداني مخطوط روايته التي

عنونها بـ (إرهاب وراء الحدود)»، مكملة «مضت الأيام، وإذ بكمال يرسل لي من غربته في قطر رسالة يقول في مطلعها (عزيزي محمد) يشرح في متنها خطه النضالي ورؤيته لسيرورة الثورات ونمطية الأحزاب وديكتاتوريتها. طلب مني أن أقرأها بتمعن، وأن أحسم أمري بناء على ما ورد فيها».

سياج الأمان، الذي طوّق به كمال عائلته، لم يحمه ويحمهم من سيناريو دموي كان يُدبّر لهم في ليلة ظلماء. تقول مها «لم يُشعرني يوما بأي قلق أو ممارسات استخباراتية. كان بارعا في التفكير عن نفسه وعن غيره، وكان محترفا في إشعاري بالأمان؛ لذا ما كان يتبادر لذهني بأن شيئا مما حصل سيكون، لا سيما وأن بيروت هي معقل فتح في ذلك الحين».

حين تعود مها لذكريات الليالي التي سبقت العاشر من نيسان من العام 1973 تجد أن أمارات كثيرة كانت ترمز للاغتيال، بيد أن كمال، بجثته الضخمة ومحبته الهادرة لزوجته وطفليه، كان يبدد أي عارض قلق. تقول «كنت أرقب من شرفتي ساحة مدرسة الروضة الثانوية قُبيل اغتياله بساعات. أذكر أني ناديته مرارا كي يأتي لينظر لطفلة تشبه ابنتنا دانة حين تكبر. لا يمكن لي نسيان ثورة غضبه يومها وكيف صرخ بي أنه يريد رؤية دانة حين تكبر في الواقع، لا من خلال أطفال الغير».

ليست تلك الحادثة فحسب، وفقا لمها. تقول «كانت هنالك حقيبة أوراق مهمة، بقي كمال يلحّ عليّ طوال الأيام التي سبقت الحادثة أن أسلمها لمدير مكتبه أبي المنذر في حال حدوث أي شيء؛ مخافة أن تصل إليها الأيدي. وكان له ما أراد»، مضيفة بأن كمال، الذي لم يحدث أن أعار الأحلام اهتماما يُذكر، جاء طالبا منها أن تُفسر له حلما أزعجه. تقول «أخبرني بأنه شاهد ذاته عاريا على قمة جبل وبأن ثلاثة يتقدمون نحوه لقتله. أحدهم كان اسمه داوود. وكان يدفع بي بعيدا عنه في الحلم كي لا أتضرر».

التفاصيل الآنفة تلك غدت وقائع، بحسب الجيوسي، التي تقول «حين باغَتَ القتلة كمال، كنت أنادي عليه من الغرفة كي يأتي ليتحقق مما أراه. كانت شظايا زجاج النافذة متناثرة فوق أغطيتنا. وَقَف قبالتي في الممر الضيق وبقي يومئ لي كي أبقى صامتة وألاّ أذرَ طفلينا لوحدهما في الفراش. كان يتمتم (الله يستر)، حتى اخترقت جسده ثمان وخمسون رصاصة أردته شهيدا أمامي».

تقول مها بأنها كانت تعاني في تلك الأيام من آلام في الأضراس واللثة، وبأن موعد إحدى حبّات المضاد الحيوي كان في الواحدة ليلا. ذهبت هي تحت وطأة الحمى والألم لسرير طفليها، فيما بقي كمال في غرفة الطعام ليكتب محاضرة للكوادر التنظيمية. نادته، بحسبها، لتسأله إن كان موعد الدواء قد جاء، فأجابها بأنه يتابع الوقت بالثانية. حين حانت ساعة الدواء، كانت ساعة كمال قد حانت هي الأخرى.

«ماجت الأرض بي حين رأيت جثة كمال تهوي تدريجيا أمامي، وهو يتمنطق الكلاشنكوف. وقوعه أحدث صوتا. رأسه كان عند الحمام فيما قدماه عند غرفة النوم. حتى اللحظة ظننت أن ما أراه محض هلوسات بفعل الحرارة المرتفعة»، تقول مها. تضيف «تقدّم مني رجلان ما زلت أذكر هيئة أحدهما جيدا. كان معتدل القوام بشعر أملس وجاكيت بني وبلوزة صفراء بياقة مرتفعة. سلّطوا الضوء على وجهي وطفليّ، وكنت أخبّئ رأسي بالغطاء وأقول بأني سيدة دعوني وشأني، وكنت أستنجد بأهلي الذين لم يكونوا حولي؛ إذ كانوا موزعين بين الأردن والبحرين».

فهمت مها من فحوى التخابر الذي أجراه القتلة فوق رأسها، باللغة العبرية، أن هنالك تساؤلا يدور بينهم حول ما إذا كان عليهم قتل المرأة والطفلين أيضا. تقول «يبدو أنهم عدلوا عن الفكرة حين تأكدوا أن

كمال جثة هامدة، وبأننا بلا حول ولا قوة. لم يكتفوا بقتله بل بقوا يركلون جسده المسجّى على الأرض، وكانوا يغنون أناشيد تشي بالنصر وهم خارجون من البيت».

وكأنما كان كمال، الذائع الصيت فيما يتعلق بحاسته السادسة واستشرافه لما سيأتي، يرسم بقلمه مشهد اغتياله. يقول في صفحات روايته عن اغتيال بطلها رياض «لم يعد يحس بهؤلاء أمامه حينما هوى على أصوات الرشاشات ويده تضغط على صدره من الألم لتستمع للدم المتدافع. وأحس بأحشائه تحترق وهو يضغط على نفسه».

لم يكن دم كمال عدوان الدم الوحيد المُراق ليلتها في منطقة الفردان في بيروت. كان إلى جانبه اثنان من قادة فتح: كمال ناصر وأبو يوسف النجار. النجار، الذي بقيت مها تستنجد به طوال ليلة الاغتيال، والذي لم يهرع لصديقه كمال كما توقعت. تقول «جاءت خادمة مصرية تعمل لدينا إلى الغرفة التي ننام فيها وكانت قد قفزت عن جثة كمال. كانت تبكي وتولول (عمي على الأرض). بين الصحو والهذيان كنت. بدّلت ملابسي وملابس أطفالي وقمت لأستنجد بالنجار الذي يسكن قبالتنا». تكمل «لم يأتِ. ولم أستوعب أنه اغتيل حتى حين كرّر تلامذة كمال، الذين هرعوا للبيت برغم محاولة الجيش اللبناني منعهم، قولهم بأن أبا يوسف النجار ينتظر كمال في سيارة الإسعاف. لشدة ما ناديت عليه ولمت عليه تأخره عن نجدة صديقه، صرخ أحد الفدائيين: يا إم رامي أبو يوسف استشهد».

تلتقط مها أنفاسها المتسارعة، وتشعر بشيء من الراحة حين تذكر كيف «لقي كمال وجه ربه طاهرا وبهندامه الكامل؛ إذ كان يحرص على الاستحمام عند بدء الكتابة أو العصف الذهني ليلا، كما أنه كان في انتظار رفاقه الأخوة هايل عبد الحميد وهاني الحسن ويحيى عاشور ليلتها». توضح «في العادة كانت اجتماعات الكوادر في القيادة المركزية تجري بعد منتصف الليل، وحين اتصلت بالأخ هايل لأخبره بما حدث لصديقه بقي يقول أن هنالك ضيوفا ثقلاء الظل حلوا عليه وبأنه قادم في الطريق. لم يلتقط عبارتي التي كررتها مرارا بأن كمال قد استشهد». ردة الفعل ذاتها كانت لدى أبي المنذر وعائلة مها. عقدت الصدمة ألسنة الجميع. الشبيبة الذين أمّوا البيت كانوا يضربون رؤوسهم في الحائط، تقول مها، مكملة «حاولوا المستحيل لأسمح لهم بإخراج جثة كمال. كنت أسألهم: إلى أين تخرجونه؟».. حاول أحد أقرباء مها، الذين قدموا عقب الاغتيال مباشرة، ثنيها عن الوقوف على شرفة البيت الذي يقع في الطابق الثاني. عاندته، وخرجت لترى ما تدعو الله حتى الآن ألا يراه أي إنسان غيرها على وجه البسيطة. تقول «كانت الدنيا كميدان حرب. سيارات الإسعاف تملأ المكان. الشرطة والجيش في كل ركن، وجثث الشهداء تمضي لطريقها نحو الكارنتينا الواحدة تلو الأخرى. قتل الإسرائيليون ليلتها ستة عشر شهيدا دفعة واحدة».

تسربلت بيروت بالسواد حداداً على كمال ورفيقيه، لثلاثة أيام متواصلة، بل لأشهر بقي فيها الناس والصحافيون يأمّون مكان الحادثة.

ملصقات صورهم وشعاراتهم كانت في كل مكان، كما رقصت نعوشهم على الأكفّ في الثاني عشر من نيسان

1973. تقول مها «من شدة ذهولي في ذلك الحين كنت أسأل من حولي عن هوية صاحب الصورة والقول. كنت أنظر لكمال في كل مكان وأتساءل أين رأيته وقرأت عبارته من قبل؟».

مكبرات الصوت زلزلت سماء بيروت يومها، تقول مها، مكملة بأن أبرز النعوت التي قيلت عن كمال كانت «فيلسوف الثورة ومنظّرها وأستاذها». تضيف «أمّت وفود حركات التحرر العالمية بيروت للتعزية بكمال ورفيقيه. كانوا يُفجعون حين يرون عمري وعمر طفليّ اللذين بقيا طوال تلك الأيام ينظران بعين ملؤها الدهشة من كل ما يحصل، واللذين كانا يأتيان بحركات جسدية غاضبة ومتشنجة طوال الوقت، كما لو أن وعيهما الغضّ يبكي على ما حصل».

مقاضاة الجُناة ما تزال فكرة مجمدة حتى اللحظة، كما يقول رامي. يوضح «لم يملك العالم مقاضاة إسرائيل لاقترافها مجازر حصدت أرواح الآلاف كصبرا وشاتيلا ودير ياسين وغيرها كثر، كما أن مسألة كهذه لا بد أن تتم في بلد أجنبي وأن ترصَد لها مبالغ طائلة».

تقول مها «انشغلت طوال العقود الماضية بتدبّر أمور طفليّ. منذ ذلك الحين وأنا أنظر لقضية اغتيال كمال كقضية جماعية ستتولاها فتح، لا سيما وأن رفيقيه معه أيضا. الشأن في قضيتنا عام»، مردفة «كما أن ثقافة المقاضاة كانت غير دارجة في ذلك الوقت. ولم تكن هنالك أدوات ووسائل اتصال وتسجيل كالموجودة الآن».

يرى رامي بأن استهداف والده يتجاوز حدود كونه مفوض الأرض المحتلة. يقول «والدي صاحب فكر مستنير وكان منظّرا ومثقفا إلى جانب نشاطه الإعلامي والبحثي. لوالدي رواية طويلة وإثنا عشرة رواية قصيرة لم تساعدنا الظروف على نشرها لوجودها حتى الآن في بيت عائلته في غزة ولتمزق صفحات منها»، مضيفا «آتت سياسة الاغتيال أُكلها إذا ما قيست الأمور بالقضاء على جيل فذ من القياديين الفلسطينيين. ترمز هذه السياسة لحالة الإفلاس التي يعاني منها العدو، وفي الوقت ذاته تشي بحجم الاختراق الذي يمكن له تحقيقه في أي بلاد وليس في فلسطين فقط».

في صورتين متباعدتين، يجسّد كمال حلمه ومخاوفه؛ إذ ثمة حقل ما يزال ينتظره في قرية «بربرة» التي أبصر النور فيها. قال عنه ذات بوح «كل ما يهمني بعد انتصار ثورتنا أن أعود إلى رابية عالية، تعلو سهول بلدي، لأستريح في أحضان قرية بدأت منها وإليها سأنتهي.. كل الذي أريده يومها زوجتي وولدي وبيتي وحقل يمتد أمامي أشاغل به نفسي.. من يدري هل أستطيع أن أنتظر في هدوء إلى تلك اللحظة؟ من يدري لو انتظرت إلى يومها قد أستطيع أن أكمل بعض دوري وتكون الثورة بدأت وانتهت بي. رفعت أول شعار لها وقد أرفع آخر صوت للعقل فيها».. وثمة خوف مما ستؤول إليه الثورة، التي قال عنها بقلق «كل الثورات في لحظاتها الاخيرة تفقد عقلها بشكل ينحر انتصارتها وينحر شعبا لها قدم فيها ليستريح بعدها»..

كمال عدوان هدف إسرائيل
قناة الجزيرة برنامج جرائم سياسية 2005/6/28

تشكيله نواة فتح الأولى وإنجازاته الإعلامية

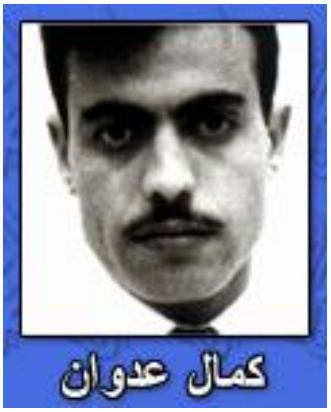

وُلد كمال عدوان في قرية بربرة القريبة من مدينة عسقلان عام 1935، لجأت عائلته إلى قطاع غزة أثناء نكبة عام 1948. درس عدوان في مدارس القطاع قبل الانتقال إلى مصر ليتخرج منها مهندسا للبترول. عقب الخلاف بين عبد الناصر والإخوان المسلمين عام 1954 ترك تنظيم الإخوان ليسلك سبيلا آخر بعد أن نشأت لديه فكرة العمل المسلح الفدائي، أسس عدوان خلية مستقلة ضمت اثني عشرة شابا معظمهم كانوا في تنظيم الإخوان وشَكلت هذه المجموعة فيما بعد النواة الأولى لحركة فتح.

عبد الإله الأتيري- قيادي في القطاع الغربي: عندما خرج كمال عدوان من غزة إلى مصر كان قد أسس قبل ذلك مجموعة نشطة مقاومة لعدوان 1956 وهذه فتحت له آفاق معرفة بأشخاص آخرين أبو جهاد، خليل الوزير وأبو يوسف النجار وأبو عمار أيضا وآخرين جدا، كمال نتيجة الظرف الاجتماعي ونتيجة الظرف المالي له ترك الدراسة في مصر بعد سنتين من دراسته كمهندس بترول وغادر إلى السعودية لمتابعة وبدأ إنشاء تنظيم حركة فتح بالسعودية، إذاً هو كان من أول المؤسسين للتنظيم في السعودية وانتقل بعدها إلى قطر حيث قاد التنظيم في قطر وكان مع زملائه

في قطر والسعودية والكويت وسوريا.

عززت معركة الكرامة في الأراضي الأردنية عام 1968 مكانة حركة فتح في الشارعين الفلسطيني والعربي واكتسبت أبعادا أسطورية عقب تأكيده على تفوق قوات الفدائيين. حركت معركة الكرامة آلاف الشبيبة الفلسطينية والعربية للالتحاق بقوات العاصفة وشكلت هذه المعركة تحولا حاسما في العمل الفلسطيني لسنوات عدة.

صخر حبش- عضو في اللجنة المركزية لحركة فتح: واللي ثبت في معركة الكرامة أن الجندي الفلسطيني والجندي الفدائي الفلسطيني والجندي الأردني قاتلوا ببسالة وألحقوا أول هزيمة بالكيان الصهيوني.

أبو رائد الأعرج- قيادي في القطاع الغربي: بعد معركة الكرامة يعني حدث نوع من أنواع التغيير الجذري في سلوكية الحركة في بُنيتها، في عملها، فكان لابد وخاصة أن الإعلام بدأ يأخذ منحاه ويأخذ دوره الكبير جدا فوُوفِق على تفرغ كمال لأن يستلم الإعلام وينظمه ويرتبه وجاء وكان خير من اشتغل في هذا الموضوع وأعطى الإنجازات الكبيرة جدا.

عاد كمال عدوان إلى عمّان في الثاني عشر من شهر نيسان/أبريل عام 1968 اختارته القيادة الفلسطينية لتسلم مكتب الإعلام في منظمة التحرير. بحث عدوان عن كل طاقة ثورية ليُجسدها في هذا المكتب واستقطب أبرز الصحفيين ورواد الكلمة من العرب والأجانب من أجل خدمة القضية الفلسطينية.

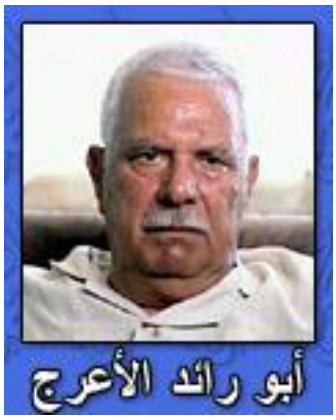

"عدوان حقق إنجازات كبيرة للإعلام وخاصة إعلام حركة فتح عبر تطويره عمل الإذاعة الفلسطينية التي كانت تبث من القاهرة، وتطويره للاتصالات والعلاقات الخارجية"منير شفيق

منير شفيق- مفكر وسياسي: كان كمال عدوان باعتقادي حقق إنجازات كبيرة للإعلام إعلام حركة فتح بصورة خاصة في ذلك الوقت، سواء من خلال تطويره لعمل الإذاعة الفلسطينية التي كانت تبث من القاهرة أو تطويره للنشريات أو تطويره للاتصالات الخارجية وللعلاقات الخارجية، أعتقد أن كمال عدوان منذ تلك اللحظة كان قائدا فذا حقيقة .

حدث في المنطقة عام 1970 تطوران هامان ومتلازمان تمثل الأول بقبول جمال عبد الناصر بمشروع رودجرز والثاني بازدياد حدة التوتر بين السلطات الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية خاض كمال عدوان الذي كان مسؤولا للإعلام في المنظمة معركة شرسة ضد مشروع رودجرز ولم يترك وسيلة إعلامية فلسطينية أو عربية أو دولية إلا واستخدمها لمقاومة هذا المشروع.

صخر حبش: لما إحنا استطعنا في 6/7 سنة الـ 1970 سبعة حزيران عندما قرر كمال عدوان إنه يطلع نشرة فتح، جريدة فتح يلغي نشرة فتح ويطلع جريدة فتح اليومية واللي كان فيها حديث عن الدور الأميركي أساسا كان كيسنغر مُصرّح تصريحه الشهير إنه كل نظام عربي تتواجد فيه الثورة الفلسطينية المسلحة عليه أن يقوم بتصفيتها وكل نظام يرفض أو يعجز سنقوم نحن بتصفيته، واضح إنه هذا موجه للأردن أولا ثم إلى لبنان ثانيا ثم إلى سوريا ثالثا.

كما قاتل عدوان مشروع التسوية الأميركية قاتل ضد الجيش الأردني خلال الصدامات الدموية التي جرت مع قوات الثورة الفلسطينية في أيلول/سبتمبر عام 1970 وأصر عدوان على البقاء في عمّان متخفيا مع بعض رفاق دربه وانتقل بعدها إلى أحراش الجرش يعمل وينظم ويقود في إيمان وثقة. انتقل عدوان إلى بيروت بعد انتقال قوات الثورة إليها ليعيد بناء الإعلام من جديد بعد الحملة التي شنتها بعض الصحف العربية ضد قادة الثورة الفلسطينية.

صخر حبش: في عام 1971 بعد أن خرجنا من عمّان نتيجة الظروف واللجنة العربية إلى آخره حتى نهدي وما بدناش اشتباك كان التوجه أن يكون هنالك تواجد للثورة في الأحراش ضمن شرعية المقاومة باتجاه الكيان الصهيوني بعبر النهر إلى آخره ولكن واضح جدا إنه مشروع رودجرز إجا وعملنا مشاكل

والمشاريع اللي صارت بعد ذلك كان واضح جدا إنه كمال عدوان أصبح يبدأ في العودة إلى القديم تبعه اللي هو العمل العسكري فلم يذهب إلى الشام أو إلى بيروت وإنما قرر أن يبقى في الأحراش كما فعلت أنا أيضا.

اضطلاعه بالقطاع الغرب وتأثيره في العمق النضالي

انعقد المؤتمر الثالث لحركة فتح في كانون الأول/يناير عام 1971 وانتُخب كمال عدوان في اللجنة المركزية لحركة فتح التي كلفته بالإشراف على القطاع الغربي إلى جانب مهمته الإعلامية.

منير شفيق: في الحقيقة كمال عدوان عندما تسلم هذا القطاع تسلمه في ظروف صعبة كانت هنالك انتكاسة بسبب خروج الثورة الفلسطينية من أحداث أيلول ومن الأردن، كان هنالك انتكاسة في داخل الأرض المحتلة نتيجة ذلك وكانت هنالك أيضا مشاكل كثيرة داخل الثورة الفلسطينية حول تقييم أو تقويم تجربة الثورة في داخل لبنان.. في داخل الأردن قصدي والموقف في داخل لبنان إلى آخره وما العمل. وفي ذلك الوقت أصبح يعني أصبحت الساحة مهرجان من البرامج والاقتراحات والتفكير للتغيير إلى أخره، كمال عدون الحقيقة رحمه الله في ذلك الوقت وضع نصب عينيه قضية تحقيق إنجازات فعالة وملموسة داخل الأرض المحتلة من أجل إخراج الوضع من أزمته، من أجل استنهاض الوضع الفلسطيني كانت هذه أولوياته.

عبد الإله الأتيري: كانت أهداف عديدة منها أولا أنه يجب أن يشعر العالم بثقل واستمرار الصبرة الفلسطينية واستمرار حركة فتح، يجب أن يشعر الجميع الأرض المحتلة أن الثورة الفلسطينية موجودة وبالأخص يجب أن يشعر العدو الإسرائيلي في تلك الفترة أن اليد، الذراع العسكري للثورة الفلسطينية، قادرة إلى الوصول إلى أي مكان في الضفة الغربية أو قطاع غزة.

منير شفيق: كمال عدوان لعب دورا أساسيا في تأسيس الجامعات في الأرض المحتلة حتى في ذلك الوقت كان التفكير في أن تؤسس جامعات في الأرض المحتلة، كان تفكيرا يحتاج إلى إبداع وإلى خطوة جريئة لأنه في ذلك الوقت كان يمكن أن يُتهم أي خطوة من هذه الخطوات كأنما هي نوع من التعاون مع الاحتلال ولكن كمال عدوان كان بعيد النظر جدا وكان يرى أن تشكيل الجامعات سيشكل مراكز ومجمعات للنضال السياسي وللنضال الوطني وسينشط العمل السياسي في الأرض المحتلة ضد الاحتلال.

أسس عدوان مجلس القطاع الغربي الذي ضم مجموعة لجان تعمل بانفصال تام عن بعضها البعض ومنع أي تداخل أو تنسيق بينها إلا عند الضرورة، كانت كل لجنة في القطاع الغربي تشرف على عدة مجموعات ناشطة في الداخل الفلسطيني وترتبط بالقيادة بالخارج عبر رسول.

"المرحلة الزمنية التي قضاها عدوان أسست العمق النضالي لحركة فتح داخل الوطن، وكان يهتم بالمجموعات المطاردة ويدعمها"صخر حبش

صخر حبش: المرحلة الزمنية اللي قضاها كمال عدوان هي التي أسست لما يمكن أن يسمى العمق النضالي لحركة فتح في داخل الوطن وبالتحديد كان هو اهتم اهتمام كبير بالمجموعات التي كانت مطارَدة وكان يدعمها لدرجة إنه أحد الأيام جاءني ويقول أنا بدي أرجع أروح على الخليل بدي أروح عند باجس كان بالنهاية في الأساس يحلم إنه كيف بده يدخل الأرض المحتلة.

عبد الإله الأتيري: نجح هو وإخوانه بمجموعة.. بإدخال مجموعات أقامت في الأرض المحتلة فدخلت مجموعة أقامت في منطقة نابلس وبالتحديد في منطقة طوباس ومجموعة من المقاتلين دخلت منطقة الخليل من الخارج إلى الداخل واستقرت وبدأت بعملها التنظيمي وكذلك مجموعة دخلت مجموعات دخلت إلى قطاع غزة أي أنه بدأ بتنفيذ فكرته وهذه من القضايا التي أدت إلى أن الإسرائيليين شعروا بالضوء الأحمر من أجل قتل كمال عدوان، كان كمال يُفكر بدخوله هو شخصيا ليقود العمل في داخل الأرض المحتلة، كان برنامجه أن يُدخل عدد كبير من الضباط والمقاتلين والسلاح ومن ثم نتبعهم إلى داخل الأرض المحتلة هذه كانت أفكار كمال عدوان.

هذا البناء التنظيمي ساعد في تصعيد العمليات العسكرية ضد القوات الإسرائيلية، اعتمدت خلايا الداخل في حربها على العبوات والتفجيرات كأسلوب رئيس بدلا من حرب العصابات مما أوقع في صفوف القوات الإسرائيلية خسائر فادحة وقللت الخسائر في الجانب الفلسطيني، كما ساهم تنظيمه لخلايا الداخل بشكل متوازن بالتخفيف من الاعتقالات في صفوف المقاومين.

أبو رائد الأعرج: قضية العبوات موجودة في كل أدوار الحرب، يعني حرب العصابات تستعمل العبوات، حرب المواقع تستعمل العبوات، الجيش النظامي يستعمل العبوات، لكن التطور الذي حدث في حركة فتح إنه قبل معركة الكرامة كنا نعتمد بالمطلق حرب العصابات، أي بمعنى يعني آسف لاستعمال التعبير بس حتى أسهل على الفهم اللي ممكن أن تسمى نظرية الكلب اهبش وفِل تقدر تقطع رجل العدو وتقتل لك واحد وبتجرح واحد قدر الإمكان يعني بتقود معركتك وبتحاول إنك عملية الهرب، هذه هي حرب العصابات ودائما لا تتجاوز الخمسة، بعد تلك المعركة انتقلنا إحنا إلى نوع من أنواع حرب المواقع مثلا الحزام الأخضر، الحزام الأخضر هاجمنا أربع مستوطنات بأربعين مناضل وكانت معركة موفقة وناجحة بشكل كبير جدا ورائعة جدا ولم نقدم فيها ولا أي خسارة.

صخر حبش: بعد أن تسلم مسؤولية مفوض الأرض المحتلة أصبح 90% من عمله هو عمل تنظيمي أكثر ما هو عمل عسكري وانقطع علينا العمل العسكري عمليا عبر الأردن اللي هي بطريق.. وبالتالي صار التوجه لعمل من نوع آخر وبالتالي حطينا استراتيجية لها علاقة بتربية كادر في الداخل يستطيع أن يعمل تنظيم بالداخل واعتمدنا أساسا على الطلاب الذين يخرجون من الدراسة بالجامعات في الخارج ومعهم الحق للعودة بالوطن.

محمد عنتباوي– كادر في القطاع الغربي: في بداية العمل الثوري لغاية الـ 1970 كان يُعتمد في إطار الثورة الفلسطينية عند تنظيم المجموعات معتمد الشكل الهرمي بالتنظيم فأدى الغايات لحدود عام 1970 إلى إنه إذا اعترف أحد الكوادر على غيره فبتؤدي إلى سقوط الهرم كله واستفادة العدو الصهيوني من هذه التشكيلة، اللي أنجزه الشهيد كمال عدوان إنه عمل نوع جديد من عمليات تنظيم خلينا نسميها التنظيم المتوازي بحيث تكون كل مجموعة مقطوعة وما بتعرف عن المجموعات الثانية واتصالها المباشر مع الأخ كمال مباشرة بدون الكشف عن بقية المجموعات أو معرفتها حتى هذا بنسميه إحنا العمل المتوازي السري المتقطع بحيث لا تعلم أي مجموعة عن أي مجموعة تناولها لا يكون لها أي صلة فيها.

اغتيال عدوان ورفيقيه واتهام لبنان بالتواطؤ

أخفقت إسرائيل في الحد من العمليات التي تستهدف الجيش الإسرائيلي والمستوطنين، رأت القيادة الأمنية الإسرائيلية أن السبيل الوحيد المتاح أمامها لوضع حد للهجوم الفلسطيني أن تغتال المسؤول

الأول عن القطاع الغربي وأن تستولي على وثائق تساعدها لتحطيم البنية التنظيمية الجديدة والمعقدة الذي عمل على تأسيسها كمال عدوان في الأراضي المحتلة.

"عدوان استمر في عملية الكفاح المسلح وطورها وركز على العمل السياسي وتنشيط الحركة الطلابية للقيام بالمظاهرات، ما أزعج الإسرائيليين وأشعرهم أنهم أمام قائد يجب أن يتخلصوا منه"منير شفيق

منير شفيق: كمال عدوان الحقيقة في الأرض المحتلة أزعج الإسرائيليين جدا ليس فقط أنه استمر في عملية الكفاح المسلح وطوره أو حاول أن يُبدع فيه وإنما تركيزه على العمل السياسي وتنشيطه بالحركة الطلابية وتنشيطه للجان الطلابية لأن تقوم بالمظاهرات وأن تقوم بالعمل السياسي وما قام به يعني من خطوات في الأرض المحتلة بتقديري أزعج الإسرائيليين وأشعرهم أنهم أمام قائد يجب أن يتخلصوا منه.

صخر حبش: بعد عملية ميونخ الإسرائيليين كانوا منجنّين وبالتالي بدهم ينتقموا ولكن ما كانوش قادرين يختاروا ويستهدفوا قيادات فلسطينية إلا في ذلك الحين في داخل لبنان إلا من خلال موافقة أميركا متى جاءت موافقة أميركا؟ بعد أن تم اعتقال الأخ أبو داود الذي كان معروف أنه هو الذي نظم وظبّط عملية ميونخ اعتقل في..

مها الجيوسي- زوجة الشهيد كمال عدوان: خليكِ ما تيجي عندي خليكِ عند الولاد وبقى يتمتم بكلمة الله يستر.. الله يستر، يعني إذا ظل واحد من الوالدين نعمة بالنسبة له، فما فيش ثواني وإلا البيت انقلب لساحة حرب وسمعت صوت الرصاص بالبيت ورصاص متواصل كثيف جدا وكل هذا الرصاص باتجاه كمال، إلى إني سمعت كمال بيصرخ بصوت عالي كثير وصوت حاد كثير بكلمة آه وعلى أثرها هذه الصرخة سمعت صوته بيسقط على الأرض هلا الممر اللي كان واقف فيه قدام أوضة النوم ضيق مش عريض وكان كمال جثة طول وعرض وحامل الكلاشينكوف فلما سقط على الأرض كان صوت السقوط واضح جدا، رأسه خبط في الحيط اليمين ورجليه خبطت بالحيطة الشمال وأجا المسدس تحت صدره، الكلاشينكوف تحت صدره وهو أجا فوقه نايم عليه ونصف وجهه يعني باين على فوق كأنه بيتطلع على حدا ويديه مفتوحة على الأرض يعني أنت بتعيش ثواني ولحظات ذهول مش عارف إيش اللي صار، مش قادر تحصر إيش اللي بتفكر فيه، إيش كيف ممكن تتصرف، الدنيا حطتك وين؟ ما بتعرف فأنا بأقول بيني وبين نفسي خليني أقول أشوف كمال ليش صرخ.

موريس يزبك- عضو سابق في قوى الأمن الداخلي اللبناني وشاهد على الجريمة: كنا مركزين هون بجنينة الصنايع الكل فتح للدوريات للانتقال إلى شارع فردان لأنه إجا مخابرة إنه في إطلاق نار هونيك، بقى كلفوا دورية انطلقت لهونيك وإثبات الدورية بس توصل في غرفة عملية بيروت ما بلغتها، تنادي غرفة عمليات بيروت ما يجاوب حدا، تنادي ما يجاوب حدا، كلفونا نحن من هون من جنينة الصنايع بالانطلاق وانطلاقنا على شارع فردان. نحن هون ما سمعنا إطلاق نار ما شيء أبدا ماشيين.. فرقنا من هون نتفاجأ بالـ (Jeep) تحت واقف هون قلت له يا زهير أنزل لهذا الـ (Jeep) واقف تحت وصلنا قربنا للـ (Jeep) لقيت في عسكر على الأرض صرخت بزهير قلت له زهير وقف الدورية، فنزلت وراء الـ (Jeep) وسلاحي بأيدي وقطعت لهون، بقطعتي إلى هون تفاجأت اثنين نازلين من هون اشتبكت أنا وياهم هون، نزلوا من هون ما فيهم المدخل سكرت لهم المدخل أنا اتطلعت لقيت جوه رفيقي معهن في ثلاثة ورفيقي معهن وقفت ثواني وأطلقت النار عليهن أطلقت النار عليهن لتحت وقع إصابات منهم، رفيقي شو عملوا فيه؟ رفيقي مراد بقي واحد ضربوه بالفرد على رأسه وغاب عن الوعي ضيعوه للساعة تسعة تحت بهيدا ووقع اشتباك هون بالجنينة أنا وياهن، انسحبت على السطح أنا على السطح

طلعت لقيت رفقاتي هون هن انسحبوا ما عرفت كيف انسحبوا، كيف راحوا ما عدت عرفت لأن ما عاد إطلاق نار لا مني ولا منهن.

مها الجيوسي: باراك يبدو إنه كان بيسيّر العملية من تحت البيت، ما طلعش للشقق فبيسيرها من تحت البيت، لما انتهت ونزلوا هم وأنا قمت وكانوا عطلوا الأسانسير بالنسف طلعت على الدرج كان الدرج كله دم، دم يعني إنسان مذبوح والشهداء لسه في بيوتهم فكان هذا الدم بيعطيك انطباع إنه في كان ناس منهم مصوبين.

ترك الكوماندوز الإسرائيلي السيارات التي استخدموها في عدوانهم في أماكن متفرقة على الشاطئ اللبناني وغادروا بالطريقة التي دخلوها، تبادلت المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية الاتهامات بعد العملية وأكد الفلسطينيون أن حواجز لقوى الأمن الداخلي اللبناني منعت مجموعات فلسطينية مسلحة من الوصول إلى شارع فردان للتصدي للإسرائيليين

محمد عنتباوي: لا شك إنه في بدايتها وأصابع الاتهام وجهت بشكل مباشر إلى جهة محددة فكان نوع من الـ (Bowing) في العلاقات بين الفلسطينيين وأشقائهم اللبنانيين في تلك الأثناء حتى تتضح الصورة إنه من دعم الكيان الصهيوني؟ هل كان يجرؤ الكيان الصهيوني أن يدخل إلى بيروت لولا مؤازرة بعض الجهات اللبنانية؟

عبد الإله الأتيري: جرى بعض الاتهامات الداخلية ما بين بعض الأحزاب والحكومة واتهمت بعض الجهات أن قوات الستة عشر أيامها بلبنان قد أعاقت وصول إمدادات إلى بيت الشهيد كمال عدوان، أتذكر أنه حتى بالصحف كانت هناك اتهامات ولكن مستورة كانت لم تكن اتهامات مفضوحة علنية كانت ما بين السطور تُتهم بعض الجهات.

صخر حبش: في ذلك الحين عملوا عملية رئيسية وعمليات تمويهية، عملوا هجوم باتجاه الفكهاني على مقر الديمقراطية ونسفوه وعملوا حول الساحل عند الأوزاعي في بيت لآل ناصر هناك برضه ضربوه وقبل بيومين كانت افتُعلت مشاكل فلسطينية، فلسطينية في ضبيّه وبالتالي حتى عندما كانوا الناس مش عارفين أنه الطخطخة إيش هو سببها داخلية ولا خارجية، في ظل هذا الموضوع استطاعوا إنهم يقوموا بعملهم واللي كانت المحرك الأساسي واللي ساعدهم على الوصول والدخول وإخلاء جراحهم لأنه كان عندهم جرحى ودماء كانت واضحة جدا بالتحديد في الفكهاني هو السفارة الأميركية وإمكانياتها واللي استطاعوا إنهم يحققوا هدفهم الأساسي واللي معروف بعد ذلك أن الذي كان يقود هذه العملية هو باراك.

في اليوم الثاني للعدوان الإسرائيلي اجتاحت العاصمة بيروت ومعظم المدن اللبنانية مظاهرات حاشدة وغاضبة احتجاجا على اغتيال القادة الثلاثة وشنت القوى الأمنية اللبنانية وأجهزة الأمن الفلسطينية حملة أمنية تمكن خلالها الجانبان من توقيف بعض أعضاء شبكة الموساد التي ساعدت في تسهيل عملية اغتيال القادة الثلاثة.

عبد الإله الأتيري: كان واضح جدا إنه بعد ما قاموا بالمهمة وانسحبوا انسحاب عادي جدا كانت تنتظرهم بعض القطع البحرية الإسرائيلية قريبة من الشاطئ اللبناني تركوا سياراتهم وانتقلوا الجزء الأكبر حسب الروايات التي استطاع الأمن أن يجمعها عبر البحر إلى إسرائيل مرة ثانية. ولكن هناك معلومة أيضا أن إحدى الطائرات الأميركية بعد يومين كانت تنقل بشكل أسبوعي حرس السفارة الأميركية وكل أسبوع

كانت تُحضر خمسة عشر جندي من البحرية الأميركية وتأخذ خمسة عشر لكن الخلاف الوحيد كان بتلك الفترة أنها حملت من بيروت خمسة وأربعين شخص.

صخر حبش: بأقول أنا ربطت بين قضيتين أساسيتين، قضية التوجه الإسرائيلي للانتقام من قيادات تعمل بالعمل العسكري ولو كانوا بيستطيعوا يوصلوا للمقر اللي فيه ياسر عرفات وكان مستهدف الفكهاني لكن المنطقة كانت مدججة بالسلاح. وأول اشتباك لهم مع مقاتلين من الديمقراطية وصعب عليهم وهذا اللي حمى أبو أياد من أن يذهب لكي ينام عند كمال ناصر في تلك الليلة، يعني هاي الصدفة اللي خلته يظل هناك وإلا كان ممكن يكون أيضا نفس النتيجة.

لم تساعد عملية اعتقال شبكة الموساد الإسرائيلي في بيروت في احتواء التوتر بين الفلسطينيين والسلطة اللبنانية التي دعت الفصائل الفلسطينية إلى العودة إلى العمل السري واحترام سيادة لبنان. شيع الفلسطينيون الشهداء الثلاثة في مظاهرة مليونية شارك فيها اليسار اللبناني والأحزاب اليمينية، حمّل المتظاهرون السلطة اللبنانية مسؤولية التعاون مع القوة الإسرائيلية المعتدية، بل ذهبت الحركة الوطنية إلى أبعد من ذلك باتهام السلطة اللبنانية بالتواطؤ والتقصير في كشف المتسللين وعملائهم في الداخل.

محسن دلول- وزير لبناني سابق: كمان يعني ندفع الأمور مش بالإهمال أكثر من التورط مرات كثير التورط ما بيكون خطير عند الإهمال، الإهمال مرات بيعطيك كل شيء التورط بيعطيك جزء من الشيء، يومها صار في إنه لازم ينعمل تحقيق إنه هل معقول هذه الشبكات تصول وتجول أثناء الليل دون أن تلتقي أو دون تتصدى لها دورية عسكرية أو أن يتحرك أحد من أفراد الأجهزة الأمنية؟ يعني نزلوا على البحر تحركوا وراحوا وإجو عملوا ثلاث اغتيالات لكبار المسؤولين ويرجعوا بيلتقوا وبيروحوا ما بيصير في إطلاق نار معهم، ما بيصير في مواجهة معهم، فطالب الكثيرون بالتحقيق الأمر الذي رفضته السلطة أو بالأحرى القرار السياسي منع التحقيق فأقيمت معادلة إنه مين من يقدم ضحية قائد الجيش أو رئيس الوزارة أو رأس قائد الجيش أو رأس رئيس الوزارة؟ فارتأى النظام أن يُقدم رئيس الوزراء وهذا ما دفع بالقوى الوطنية إلى التكتل أكثر فأكثر فاعتبروا أن النظام لا يُقيم وزنا لهم إنما يريد أن يكون.. يعني أن تكون السلطة العسكرية الأجهزة العسكرية كلها على مقاس النظام السياسي فقط لا غير ولا يريدون إشراك أحد في القرار العام.

مواصلة نهج عدوان واستنفار حركة فتح

اندلعت عقب استقالة الحكومة اللبنانية اشتباكات واسعة بين الجيش اللبناني والفدائيين لم تتوقف إلا بعد توقيع اتفاقية ملكارد في الخامس من أيار من عام 1973 التي سمحت للفلسطينيين بالانتشار في الأراضي اللبنانية لحماية أمنها.

"بعد تشييع الشهيد كمال عدوان أعلن اجتماع طارئ عُيّن فيه أبو جهاد قائدا للقطاع الغربي بالوكالة"عبد الإله الأتيري

عبد الإله الأتيري: أتذكر أن بعد تشييع جثمان الشهيد كمال عدوان طلبنا خليل الوزير أبو جهاد إلى اجتماع طارئ خلال الأربعة والعشرين ساعة أعلن في هذا الاجتماع الأخ أبو عمار أن الأخ أبو جهاد سيكون قائدا لقطاع للقطاع الغربي أي جهاز الأرض المحتلة بالوكالة، الأخ خليل الوزير كان يعرف تماما أننا نعشق كمال عدوان كشخص ونعشق نهج كمال عدوان وأفكار كمال عدوان، ما كان من أبو جهاد إلا أن أعطانا أن نستمر في نفس النهج ونفس العمل استمرارا لما خطط سابقا.

محمد عنتباوي: اغتيال الشهداء الثلاثة وعلى رأسهم كمال عدوان كان بيعني للشعب الفلسطيني في الداخل الشيء الكثير فكمال عدوان رمز له، سقوط رمز يعني الشيء الكثير للمناضلين في الداخل تأجج العمل الفدائي الفلسطيني في تلك الأثناء وتضاعف عن سابقه.

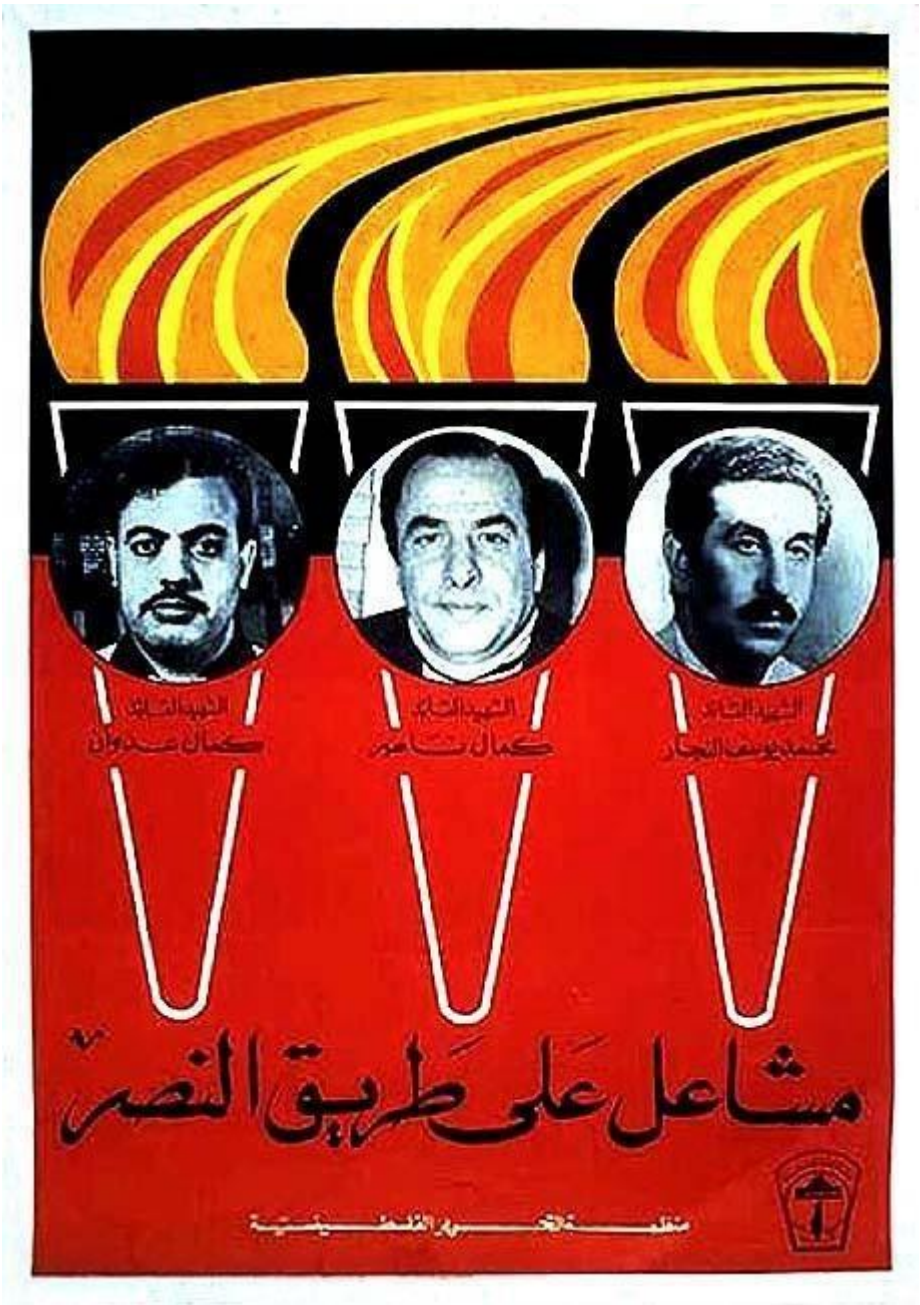

أبو رائد الأعرج: حدثت مجموعة عمليات لكن ليست بالعمليات اللي أتمناها أنا أو يتمناها أبو جهاد أو يتمناها أبو عمار أو يعني لا نستطيع أن نُحمّل الثورة الفلسطينية أكثر من طاقتها أو أكثر من إمكانياتها، إحنا نبحث عن تراكمات نقطة فوق نقطة فوق نقطة تشكل بالنسبة لنا بحرا حاولنا الرد ردوا مدى فاعلية هذا الرد

هل يرضيني؟ بكل تأكيد لا يرضيني لأنه بدل كمال عدوان لازم تكون غولدا مائير إذا الأمور عم.. لكن هل تمكنا من غولدا مائير؟ لا لم نتمكن.

في فلسطين المحتلة استنفرت حركة فتح معظم خلاياها العاملة وطلبت من كوادر الغربي تغيير مواقعها هذا الاستنفار لم يدم طويلا بعد أن تأكدت قيادة فتح أن القوة الإسرائيلية المعتدية لم تستولِ إلا على بعض رسائل الشهيد كمال عدوان، قبل أن تحل الذكرى الخامسة لاستشهاد كمال عدوان ورفاقه نفذت حركة فتح عمليةً كبيرة حملت اسمه في الحادي عشر من آذار/مارس عام 1978، أشرف على تنفيذها خلفه في القطاع الغربي خليل الوزير أبو جهاد. وكانت الشهيدة دلال المغربي على رأس المجموعة التي جمعت عشرة فدائيين، نُفذت العملية بطريقة مشابهة لعملية اغتيال القادة الثلاثة حيث نزل الفدائيون من مركب في عُرض البحر في قوارب مطاطية أوصلتهم إلى الشاطئ الفلسطيني .

عبد الإله الأتيري: عملية دلال المغربي سبقها مئات العمليات العسكرية داخل فلسطين ولكن عملية دلال هي عملية نوعية أن استطاعوا أنه 13 فرد يصلوا إلى منطقة تل أبيب عبر البحر ولكن سبقها عمليات

شبابنا وقواتنا داخل الوطن، عملية تفجير محنيوده وعملية تفجير السيارة في منطقة القدس وعمليات كبيرة جدا جرت وسميت مجموعات باسم كمال عدوان ولكن هذه العملية النوعية والتي سميت باسم كمال عدوان استمر التحضير لها فترات شهور.

محمد عنتباوي: نحن عندنا لما نقوم بأي عمل نحاول ندرس إمكانيات النجاح أن تكون الغلبة أكثر من 95%، 96%، 98% لما بدك تقوم بأي عمل مو من السهولة بمكان أن تقارع الاحتلال من الخارج إلا بالتنسيق الجيد والسرية والكتمان فلذلك تأخرت خمس سنوات ولكنها آتت أُكلها في النهاية كانت عملية بطولية هزت العالم.

منير شفيق: لا هو من أول يوم صار في محاولات للرد لكن أنا برأيي في هذه القضايا تحدث أحيانا ظروف الرد هي ظروف لها علاقة بصراع بينك وبين العدو ووضع القوى النشطة التي يجب أن ترد، لكن أنا برأيي الرد جاء فوريا أنت لا تفكر فقط في عمل عسكري صغير، أنت انظر عندما تحشد الملايين وراء استشهاد مناضل أنا أعتقد هذا رد كبير يعني حتى أنا لا أظن أن هنالك ردا يمكن أن يعادل مثل هذا الفقدان للشهداء سواء كان أمثال الأخ كمال عدوان، الأخ أبو يوسف النجار، كمال ناصر، الأخ أبو جهاد الأخ أبو إياد كل هذا يعني والآن في المرحلة الحالية استشهاد الكبار من قادة المقاومة أعتقد أن رد الفعل الشعبي هو الرد ولا يجب أن نُقزم المسألة فقط بعملية عسكرية هنا وعملية عسكرية هناك. أعتقد أن كمال عدوان كان يمكن لو أمد الله من عمره أن يلعب دورا كبيرا في المستقبل ليس فتح وإنما في مستقبل الشعب الفلسطيني.

صخر حبش: ذلك البناء الذي بدأ في عام 1972 لزراعة التنظيم في داخل الوطن هو الذي جعل الخروج من لبنان 1982 يرتكز إلى قاعدة جديدة اشتغل عليها الأخ أبو جهاد واللجنة المركزية لإحياء التنظيم الثوري الشعبي باتحادات ونقابات وإلى آخره الذي كان في عام 1984 الانتفاضة.

حول كتابات الشهيد كمال عدوان

بقلم منير شفيق

لقد كتب الكثير عن مزايا الشهيد كمال عدوان: الثائر والقائد، ولكنني في هذه الدراسة سأستعرض فكره من خلال كتاباته. إن دراسة ما كتب مسألة هامة يجب أن تولى كل عناية. فالأطروحات التي تناولتها كتاباته، هي في الجوهر فكر حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، معادة صياغته كموضوعات نظرية، ولهذا فان كتابات كمال عدوان جزء رئيسي في تراث فتح الفكري، ولا يمكن لأحد أن يدرس فكر فتح إن لم يدرس كتابات كمال عدوان .

كان كمال عدوان مقلا في الكتابة. ولكن كان حين يكتب يقدم بحثاً مكثفاً غنياً بالموضوعات، مطروحاً بإيجاز، وبتعبيرات واضحة عليها بصماته الخاصة. فهو ذو عقل رياضي يحول دراسته للواقع والظروف إلى موضوعات تأخذ شكل معادلات رياضية يبلغ فيها التجريد حدا قريبا من التجريد في الرياضيات ولكنه تجريد يمس مماثل عينية ملموسة على صورة شعارات سياسية .

اعتمد كمال عدوان في منهجه على رصد الواقع المعطى مباشرة، ثم الدخول مع من حوله بنقاشات طويلة، قبل أن يحدد رأياً نهائياً. وكان في أثناء ذلك يقلب، بصدق، كل الفِكَر، وكل المواقف، مصمماً على ألا يحمل أفكاراً مسبقة ضد أي موقف أو رأي، حتى ولو بدا، في نقاشه، عكس ذلك. فقد كان يحرص على أن يكون فكره متوقداً جديداً طازجاً عند بحث أي موضوع. ومن هنا فان رجلاً يحمل مثل هذا النهج في البحث والتفكير يجب ألا يسجل عليه ما كان يطرح من آراء في أثناء مناقشاته وهو في مرحلة استقصاء حالة مستجدة، وإنما يجب أن يسجل عليه ما كتب فقط. لأنه كان يفكر ويناقش، في مجالسه الخاصة، بصوت عال فعلاً. ولكنه ما كان يكتب، أو يطرح في ندوة معدة للنشر، إلا قناعاته الحقيقية التي تكون قد استقرت وتبلورت في ذهنه. ولهذا فإنني اعتبر أن فكر كمال عدوان هو ما طرح في كتاباته، فهي تراثه الفكري. وهي مواقفه وآراؤه .

قبل تناول الموضوعات التي طرقها الشهيد كمال عدوان لا بد من لفت انتباه إلى إن ما بين أيدينا من أعماله لا يغطيها جميعاً، وربما لا يغطي إلا بعضاً متواضعاً منها. لأن معظم ما كتب نشر خلوا من توقيعه، وباسم حركة فتح، فضلاً عن مقالات لم تنشر، لسبب أو لآخر. كما أن هنالك مجموعة كبيرة من رسائله لم تنشر ولم تجمع، فضلاً عن قصة طويلة (600 صفحة بخط يده) لم تنشر أيضاً. ولكن من ناحية أخرى، إن ما بين أيدينا من نتاجه الفكري يشكل نماذج يمكن أن يسحب عليها ما بقي من نتاجه غير المعروف، ولا المنشور .

تاريخ مرحلة 1948 – 1970

صورة تجمع الشهيدين عبد الفتاح حمود وكمال عدوان

كتب كمال عدوان بمناسبة الذكرى الخامسة لانطلاقة الثورة الفلسطينية، مقالة في مجلة "الثورة الفلسطينية" عدد 22 - كانون الثاني (يناير) 1970، أرخ فيما للفترة التاريخية الممتدة بين 1948-1970. واتجه تأريخه لتلك الفترة إلى تناول الأوضاع من زاوية ارتباطها بالوعي الفلسطيني ومراحل تطور النضال الفلسطيني. لأن ما كان يهم كمال من دراسة التاريخ ليس حشد المعلومات وتسلسل الأحداث من ناحية تغطيتها تغطية شاملة، وإنما كان همه تعميم تجارب مرحلة تاريخية تعميماً يصل إلى حد التجريد النظري المكثف جداً. وهو بهذا يعطي نموذجاً لمنهجه، ويعطي من جهة أخرى صورة دقيقة لرؤية رجال حركة فتح الأوائل للوضع العربي والفلسطيني خلال الفترة التاريخية المذكورة. كما يؤرخ فيها لمولد حركة فتح ومسيرتها محدداً الأهداف العامة والشعارات والإجراءات العملية التي طرحت في كل مرحلة من مراحل تطور الوضع. ولهذا فإن هذه الوثيقة تعتبر من الوثائق الهامة في أدبيات الثورة الفلسطينية ستظل مرجعاً ومادة للتثقيف لأعضاء حركة فتح وأبناء الشعب الفلسطيني الذين يريدون الاستمرار في الكفاح المسلح حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني .

قسم كمال عدوان، في مقالته آنفة الذكر، تلك الفترة التاريخية إلى ثلاث مراحل رئيسية: (1) مرحلة 1948-1956، وقد رآها تتميز بادئ الأمر بشيوع "الذهول والحيرة" بين صفوف الجماهير، ثم بانخراط الشباب العربي الفلسطيني في العمل السياسي والحزبي والعقائدي. ويصف وعي الشباب الفلسطيني في تلك المرحلة قائلاً: "ولو أن وعيها السياسي لم يصل إلى مستوى تتحمل فيه مسؤولية تخطيط واف ومكتمل يشكل الكفاح الفلسطيني في سبيل معركة التحرير، إلا أنها تفاعلت مع كل الأحداث والتطورات في الأرض العربية على طول الوطن العربي، وشاركت في كثير منها باندفاع على اعتقاد منها أنها جزء من معركتنا في فلسطين إلى درجة جعل التزامها العربي الواسع يشغلها عن التزامها الفلسطيني المحدد. حتى أصبح كل تطور أو تغيير تصنعه العناصر النشطة في الوطن العربي محطة

انتظار تقف عليها تتطلع إلى الأمل القادم بعدها". ولكن الشباب العربي الفلسطيني عاد فاكتشف أن ذلك الطريق لم يحقق أغراضه فبدأت ترتسم علامات استفهام كبيرة تتساءل... إلى أين؟ وهنا وقعت حرب العدوان الثلاثي وبسقوط غزة في أيدي الاحتلال في أكتوبر 1956 بدأت المرحلة الثانية (2) حيث خيَّم الاحتلال، وتوجه رصاص العدو إلى صدور الشباب السياسي العقائدي بلا تمييز "فولدت من خلال وحدة الرصاص المرحلة الجديدة في التفكر الفلسطيني وارتفعت شعاراتها تنادي بلقاء فلسطيني عريض... في وحدة وطنية قوية... من أجل ثورة مسلحة تحرر الأرض ."
ويعتبر كمال عدوان هذه المرحلة بداية مسيرة حركة فتح حيث شاهد عام 1958 ولادتها من أجل تحقيق الأهداف التالية:

-1تحريك الوجود الفلسطيني.. وبعث الشخصية الفلسطينية محلياً ودولياً من خلال المقاتل الفلسطيني الصلب العنيد القادر على تحطيم أسطورة المناعة الإسرائيلية.
-2استقطاب الجماهير الفلسطينية ومن خلفها كل الجماهير العربية في طريق الثورة المسلحة وحشدها فيها لتكون قادرة على: (أ) تجميد حركة نمو الوجود الإسرائيلي الصهيوني (ب) تقطيع هذا الوجود (ج) تصفية الدولة رمز الوجود الصهيوني.
-3إعادة بناء الدولة الفلسطينية على الأرض الفلسطينية (حرة وديمقراطية).
بيد أن كمال عدوان يرى أن ثمة حدثين تاليين هما انفصال الوحدة بين مصر وسوريا وانتصار ثوره الجزائر أديا إلى تكوين إجماع فلسطيني على سلامة الخط الذي طرحته حركة فتح. وهنا تعددت المنظمات بهذا الاتجاه. ورأت فتح في ذلك اتجاهاً ايجابياً، غير أن التعدد سرعان ما أصبح إغراقا للساحة بالتنظيمات. الأمر الذي دفع حركة فتح أجل الخروج من هذا المأزق إلى العمل باتجاهين:

(أ) أن تركز جهداً اكبر في تكثيف قواعدها العسكرية لبدء العمليات بأقرب وقت ممكن.
(ب) أن تحاول تجميع الجهد الفلسطيني في إطار واحد. (ولهذا ذهبت حركة فتح إلى مؤتمر القدس على أمل أن يؤدي ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية إلى تحقيق الوحدة المريضة).

ويتابع كمال عدوان تقييمه التاريخي فيرى أن المنظمة كان مقرراً لها إن تنحرف عن أهدافها. الأمر الذي أبرز خطورة أشد من إغراق الساحة بالتنظيمات. فقررت فتح الإسراع في انطلاقة الكفاح المسلح من أجل الخروج من هذا المأزق الجديد. "أي أن تتصدى لمسؤوليتها باستعادة زمام الموقف وأن تقفز من مرحلة التنظيم من أجل الثورة إلى مرحلة التنظيم من خلال الثورة، رغم كل الظروف القاسية والصعبة التي تعيشها الحركة". وبهذا دخلت المرحلة الثالثة: (3) مرحلة انطلاقة الكفاح المسلح في الأول من كانون الثاني (يناير) 1965. وقوبل ذلك من أطراف عديدة بحملات تشكيك واتهام ضد المقاتلين من رجال العاصفة، وبحملات مطاردة وملاحقة واعتقالات لأبناء حركة فتح، اشتركت فيها عدة دول عربية. ويقول كمال عدوان "استطاعت فتح من خلال قتالها اليومي أن تحطم كل التساؤلات

الشهيد كمال عدوان في مطار الدوحة

الحائرة والعاجزة والمشككة.. وتقفز عنها.. وتثبت أن العمل داخل الأرض المحتلة ممكن.. وأن أسطورة المناعة الإسرائيلية ما هي إلا خرافة تحطمت تحت ضربات العزم الفلسطيني، وأصبح التمرد المسلح واقعاً أكبر من أن يحجز عليه."

وعندئذ بدأت الساحة تشهد إغراقا شديداً بالتنظيمات التي ترفع شعارات القتال وتصدر البلاغات العسكرية، وتهدد الوضع من جديد بالتشوش والبلبلة. الأمر الذي حدا بفتح إلى رفع شعار "اللقاء فوق أرض المعركة". وانتهى الفصل الأول من هذه المرحلة باندلاعة حرب حزيران واحتلال العدو بقية أجزاء الأرض الفلسطينية وسيناء والمرتفعات السورية (الجولان).

ويتابع كمال عدوان في تحديد سمات المرحلة التي تلت حرب حزيران لما 1967 فيرى الثورة تدخل مرحلة بناء القواعد المقاتلة تحت الاحتلال لإعلان المقاومة المسلحة وتأجيج المقاومة الشعبية. وبعد أن أرسيت الدعائم الأولى لهذا الاتجاه أصبح من الضروري للثورة أن تعمل باتجاه مواز خارج الأرض المحتلة لتنتقل "من قاعدة الحماية في سوريا إلى قاعدة الارتكاز في الضفة الشرقية حيث المناعة الطبيعية والجماهير المؤيدة لنا، وقوانا المسلحة الكافية للدفاع والمواجهة". ولكن ذلك أدى. إلى اتساع تحرك القوى المضادة للثورة في الأردن حيث شنت أول هجوم لها على قواعد الارتكاز. في مخيم الكرامة في شباط 1968. أما في المقابل فقد أخذ التأييد الجماهيري يتعاظم، وتتوطد قواعد الارتكاز. الأمر الذي دفع العدو الصهيوني إن يقرر تصفية قواعد الارتكاز بنفسه فشن هجوماً على مخيم الكرامة في آذار 1968، حيث باء بالفشل، خاصة من ناحية تحقيق الهدف السياسي من الهجوم. وكانت النتيجة نصر الكرامة، ويؤرخ لها كمال عدوان قائلاً: "فكانت معركة الكرامة التي هزم فيها العدو بداية مرحلة من مراحل حربنا الثورية أي انتقلنا من مرحلة اضرب واهرب إلى حرب المواجهة المحدودة."

يمكن إكمال هذا التحليل التاريخي من وجهة نظر كمال عدوان من خلال مقابلة جرت معه عنوان: "فتح: الميلاد والمسيرة". حديث مع كمال عدوان منشورة في مجلة شؤون فلسطينية -عدد 17- يناير 1973 – ص45 - 75، حيث يحدد فترة 1968-1970 في الأردن كما يلي: "في عام 1968 واجهنا أول هجوم أردني علينا في الكرامة وفي 4 تشرين الثاني 1968 واجهنا هجوماً أردنياً ثانياً في عمان. كان النظام الأردني يرى في الثورة تناقضه الرئيسي... وإن لم يكن هو تناقض الثورة الرئيسي. لهذا كان تحليلنا أن الصدام حتمي ولكن متى ومن يبدأه؟ وما هي العوامل التي تحدد متى. وكان رأينا أن كون الصدام حتمياً لا يبيح أن يتم الآن. ولا بد من تأجيله بأي ثمن. من أجل هذا أصبح الهدف المرحلي في الأردن هو إقامة حالة توازن بيننا وبين النظام المعادي لنا، أو وضع النظام في موضع المتردد بحيث لا يستطيع أن يتخذ قرار الصدام. وقد نجح هذا التكتيك حتى صدام يونيو 1970 الذي عكس حالة التوازن بوضوح. الدليل أنه في 1968 فرض علينا النظام شروطه، 14 شرطاً، وقبلناها، في70/2/10 لم يستطع النظام أن يملي علينا شروطه، ولم نستطع نحن أن نملي عليه شروطنا، وفى يونيو 1970 أملينا نحن شروطنا". أما بعد يونيو 1970 فيحدد كمال عدوان الصورة قائلاً: بعد يونيو ومشروع روجرز حدث إرباك كبير للمسيرة، إذ دخلت عوامل جديدة: فقد انشقت الساحة الأردنية الفلسطينية... انشقت الساحة الوطنية من حول عبد الناصر وليس من حول حسين، لأن الخلاف لم يكن حول موقف الملك حسين من مشروع روجرز، ولكن الخلاف كان حول موقف عبد الناصر. فهل تستطيع أن تقول أننا نستطيع تغيير النظام وقد اختلت معادلة القوة بحيث لم نعد نضمن أن التنظيم الناصري في الجيش سيقف معنا؟ موازين القوة التي أعدت سلفاً لتشكل حالة التوازن، والتي هي بدورها مرحلة للقفز إلى مرحلة جديدة، قد اختلت. كان لا بد إذن من مراجعة للحسابات ولا بد من وضع أي تخطيط مقبل ضمن هذا الإطار. بعد تغيير معادلة القوة كنا في حاجة إلى وقت لإعادة ترتيب الأمور. ولكن اندفاع النظام المهووس لتفجير الموقف بأي شكل، وضغط المنظمات الأخرى لمواجهة هذا التنجير بالتحدي والمبارزة، أو الحرج من المنظمات الأخرى، جعل حجم القرار اكبر من حجم القدرة، وحال دون استثمار أي عامل زمني وجمل المبارزة تتم ضمن ظروف ومعادلة قوى ما بعد مشروع روجرز."

قد تكون هنالك ملحوظات على هذا التحليل التاريخي للفترة 1948 - 1970، وقد تكون هذه الفترة التاريخية، وهي كذلك، بحاجة إلى دراسة تفصيلية مدققة. ولكن موضوعات كمال عدوان حولها تحظى على أهمية كبيرة، ولا بد من أن تكون في جوهرها دعامة رئيسية لتلك الدراسة التفصيلية المدققة. فكمال عدوان لم يهدف إلى أن يكون مؤرخاً وإنما كان يريد أن يطرح تأريخ تلك المرحلة باتجاه تكوين وعي ثوري للمقاتلين من أجل تحرير فلسطين مدعوماً بتنظير تجربة تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها سواء بالنسبة للوعي أو بالنسبة للثورة الفلسطينية والعربية.

حتمية الثورة

كان كمال عدوان في حياته العملية، وكتاباته، يعطي أهمية عظيمة لدور العامل الذاتي في الثورة، للقرار السياسي، للمبادرة، إلى حد قد يتوهم المرء معه أنه ينظر إلى الثورة كفعل إرادي فقط، ولا يعطي أهمية للعوامل الموضوعية.

ولكن هذه المسألة كانت واضحة له، وقد عبر عنها، بشكل لا يقود إلى مثل ذلك الوهم. ففي المقالة المنشورة في مجلة الثورة الفلسطينية (العدد22، يناير 1970)، كتب يقول: "نحن نعرف أن البعض كان يرى في الثورة نوعاً من المغامرة ولا يستطيع أن يتصور دور هذه الثورة في معركة التحرير...

صورة الشهيد كمال عدوان في جامعة القاهرة

وما هي إمكاناتها". ويتابع قائلاً في الرد على الذين يرون في الثورة نوعاً من المغامرة، قائلاً: "نقطة البداية كما نراها نحن... أن موضوع الثورة، بشكل مطلق، لا خيار لنا فيه، فهي طريق يفرضها منطق الحوادث والتاريخ.. الذي يسير جيوش الاحتلال والغزو في الماضي ويسير خلفها انتفاضات الثوار المتكررة يؤكد أنه لا بد أن يكون في بلدنا ثورة... تأتي لتصحح هذا الوضع الشاذ مهما تأخرت عن موعدها. هذا أمر طبيعي يفرض نفسه كحقيقة تاريخية مصيرية لا تقبل حتى أن تناقش... ولا تبرر لنا أن نستسلم مزيداً من الوقت بعد هذه الفترة من الاستسلام.. بقدر ما تملي علينا أن نتحمل مسؤولياتنا بين الشعوب التي تتطلع إلى حياة أفضل.. وكما كانت ثورات الأحرار في آسيا وإفريقيا ستكون ثورتنا قوية ثابتة تفرض وجودها علينا وعلى العالم معنا كما هو التطور الطبيعي للتاريخ... ولا نملك بعد هذا إلا أن نستجيب لإرادة الإله، التي يعبر عنها هذا التاريخ". ثم يعود إلى النظر للثورة من هذه الزاوية أيضاً في "فتح: الميلاد والمسيرة. حديث مع كمال عدوان"- (شؤون فلسطينية، عدد 17، يناير 1973، فيستنتج قائلاً: "الثورة إذن حتمية تاريخية، وليست مجرد إرادة، فرد أو مجموعة من الأفراد... إرادة الأفراد هنا هي الاستجابة لهذه الحتمية التاريخية". أما من ناحية تقييمه لدور إرادة الأفراد فقد وضعها هي الأخرى ضمن فهم علمي للظروف التي يمكن التحرك من خلالها، وكان لديه مقياس يسميه "إقامة التوازن بين القرار والقدرة" لأنه كان يرى أن القرار إذا انفصل عن القدرة المتاحة عند اتخاذ القرار يصبح مغامرة وخطأ لهذا كان يصر على التوازن بين القرار والقدرة. ويصر على مراعاة أربعة شروط: "1- إدراك شامل للظروف وعناصر القوى الفاعلة فيها على جانبي الصورة. 2- وضوح الرؤيا والتصور لما تريده وسط الظروف 3- تخطيط سليم للوسيلة من واقع هذا التصور 4- ضمانات لوفاء الوسيلة باحتياجات الغرض" (فتح في عيدها الخامس - الثورة الفلسطينية عدد 22 ص11). ويقول في "آخر حديث للشهيد كمال عدوان"، المنشور في شؤون فلسطينية – عدد 21، تحكم الصراع الخصائص، الأساسية التي تتمايز بها أطرافه من هو الذي يريد أن يقود الصراع، ويحاول أن ينتشر إمكانياته. ففي المجال الإسرائيلي يحاولون أن يستثمروا خصائصهم ومميزاتهم. ونحن أيضاً مطلوب منا أن نستثمروا خصائصنا ومميزاتنا، ولهذا فالطرف الذي يستطيع أن يفرض على الآخر شكل الصراع، بالتأكيد، سوف يضمن نتائج الصراع" (ص30،29). ويلاحظ هنا فوراً أن كمال عدوان وهو يرى الثورة حتمية تاريخية وليست إرادة أفراد أو مغامرة، يعطي أهمية خاصة لإرادة الأفراد في إدارة الصراع وفى التعبير عن الحتمية التاريخية. فهو لا يفهم الحتمية التاريخية فهماً ميكانيكياً جامداً بمعنى أن لا دور

لإرادة الأفراد فيها، أو بالأحرى، للعامل الذاتي. كما أنه لا يرى العامل الذاتي منفلتاً من الظروف المعطاة. ولكنه يرفض الاستسلام للظروف المعطاة. لأن هنالك الدور الذي يجب أن يلعبه العامل الذاتي في أحداث التغيير في الظروف المعطاة. يقول: "بالنسبة لنا ليس هناك شيء اسمه التسليم بالأمر الواقع وإلا لما وجدت فتح. فتح في البداية كانت مائة أو مائة وخمسين مناضلاً، ماذا كان يمكننا أن نفعل. ما كنا نسلم بالأمر الواقع، كنا نراهن على ما يجب إحداثه لا على ما يمكن إحداثه. ما يمكن إحداثه ضمن أمر واقع شيء، وما يجب أحداثه شيء آخر. (شؤون فلسطينية، يناير، 1973- عدد 17، ص49). إن كمال عدوان هنا يطرح قضية نظرية ترد على أولئك الذين يستسلمون لتوازن القوى القائم كما يرد على الذين يفكرون في الواقع من وجهة نظر ما يمكن إحداثه فبمن المعطيات القائمة لا ما يجب إحداثه ضمن المعطيات القائمة. أي أنه يرد على منهج التفكير الإصلاحي. وقد أوضح كمال عدوان هذه المسألة الهامة في مقالته "لا بد من إسقاط عقل التسوية"، المنشور في مجلة "فتح" الداخلية (-العدد الأول – العام التاسع- أول كانون الثاني 1973- ص14)، بقوله: "إن العمل الثوري لا بد وأن يكون مستنداً إلى تحليل علمي للواقع الملموس. والثائر يحلل الواقع ليس بقصد ترتيب الأوضاع على أساس معادلة القوى السائدة بل من أجل تغيير هذه المعادلة عن طريق فهمه لحركة التاريخ وموازنات القوى الحقيقية الفاعلة فيه وبناء الأداة التنظيمية الممتلكة لإرادة القتال القادرة على الفعل في الواقع وتغييره". وعندما ووجه كمال بالذين يتهمون مثل هذا التفكير باللاواقعية رد قائلاً: "إن الكثيرين يتحدثون عن الواقع والواقعية، ويطالبوننا بها. ولهؤلاء نقول أننا واقعيون، ولكن واقعيتنا غير واقعيتهم. هم يرون الواقع مصدراً للتفكير ومنطلقاً له فيقعون في إطار العجز، ويتخاذلون، نح نرى في الواقع موضوعاً للتفكير، نفهمه، ونحلله، لنفعل فيه، لنغيره، بخلق حقائق جديدة. والفرق بين العقليتين هو الفرق بين الحركة والجمود. بين التمرد والاستسلام. فرق بين ما يجب أن يكون، وما يمكن يكون". (شؤون فلسطينية، يناير 1073 –ص56.(

نظرية الثورة

صورة الشهيد كمال عدوان في قطاع غزة 1952

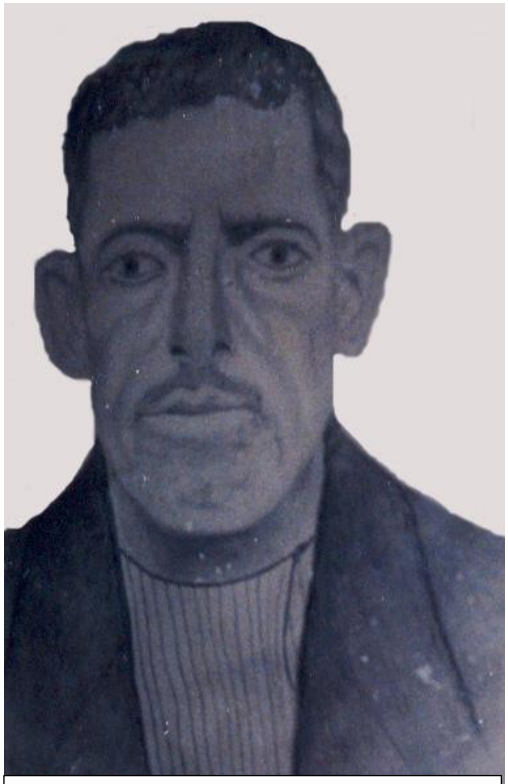

صورة المرحوم عبد الحفيظ عدوان أبو كمال

إذا كان القائد الشهيد كمال عدوان ينظر إلى الثورة كحتمية تاريخية، ويعتبر دور العامل الذاتي مهماً جداً باعتباره الاستجابة لهذه الحتمية التاريخية، فإن هذه المسألة بالنسبة له لا تنتهي عند هذا التحديد، وإنما يندفع بها إلى أما بحيث يعتبر قيام العامل الذاتي بدوره يشترط اكتشاف نظرية الثورة. ولهذا فهو يطرح السؤال: كيف نعرف نظرية ثورة ما؟ ويجيب: "نظرية أي ثورة هي رؤيتها لواقعها وللقوانين الخاصة التي تحكم حركة هذا الواقع، ولمجموع التأثيرات المتبادلة بين هذا الواقع والواقع المحيط به، ثم أسلوبها للعمل على ضوء ذلك من أجل التأثير في هذا الواقع لتغييره إلى واقع أرقى، وتصور عام لصورة ذلك الواقع الأرقى الذي تريده الثورة". ثم يطرح تطبيقاً محدداً على هذا المنهج فيقول: "لقد طرحنا التساؤلات الخمسة: ماذا نريد؟ وكيف..؟ وبمن..؟ ومن أين..؟ ومتى.. ومن خلال الإجابة على هذه التساؤلات توصلنا إلى العناصر الأساسية لنظرية فتح: الهدف، الاستراتيجية، الأداة (شكلها وطبيعتها) ثم قاعدة انطلاقها (وهذا له أهمية خاصة لدينا نظراً لخصوصية وضع الثورة الفلسطينية)، إننا نريد التحرير.. وسيلتنا إليه هي تحريك الوجود الفلسطيني وبعث الشخصية الفلسطينية محلياً ودولياً من خلال المقاتل الفلسطيني الصلب العنيد القادر على تحطيم أسطورة المناعة الإسرائيلية.. وذلك يتطلب طليعة قادرة على استقطاب الجماهير الفلسطينية ومن خلفها كل الجماهير العربية في طريق الثورة المسلحة وحشدها فيها لتكون قادرة بها على: (أ) تجميد حركة نمو الوجود الإسرائيلي الصهيوني. (ب) تقطيع هذا الوجود. (ج) تصفية الدولة رمز هذا الوجود، (د) إعادة بناء الدولة الفلسطينية على الأرض الفلسطينية دولة حرة ديمقراطية. من التساؤلات الخمسة ومن الإجابة عليها، تكونت نظرية فتح، وهكذا فإن نظرية فتح هي وليدة حاجة النضال الفلسطيني، فلسطينياً وعربياً". (شؤون فلسطينية 0عدد17-الميلاد والمسيرة –ص47-48). يلاحظ فوراً هنا إن كمال كان رجل تطبيق عملي، فهو لهذا يدرك أهمية النظرية بالنسبة للممارسة أن الذي يؤكد على ضرورة اكتشاف نظرية الثورة للبلد المعني، في المرحلة التاريخية المحددة، في الظروف المعطاة، لا يمكن إلا أن يكون رجل ممارسة وذلك، لأنه يريد أن يمارس فهو يشدد على معرفة نظرية الممارسة. ومن هنا لم يطرح كمال عدوان كل ذلك في موضوعات نظرية عامة وإنما انتقل فوراً لسحبها على أرض الواقع، فأعطى مثلاً حياً تطبيقياً يحمل أصالة ظاهرة. ولهذا يمكن أن يجد المرء فرقاً واضحاً بين المنهج الذي يطبقه خلاق، وبين المنهج الذي يطبقه المقلدون الجامدون. وفى هذا المجال يقول كمال عدوان "كثيرون يخلطون بين أداة التحليل ونظرية العمل، هذا الخلط يقودهم إلى ادعاء موقف عقائدي دون أن تكون لديهم القدرة على الربط بين أداة التحليل والواقع الخاص، هذا الربط الذي يشكل في النتيجة نظرية العمل. هناك فارق كبير بين الذي يستخدم أداة التحليل للوصول إلى نظرية عمل، والذي يناضل من أجل أداة التحليل نفسها كهدف بحد ذاته، أن الإغراق الثقافي الذي شهدته الساحة الفلسطينية - العربية منذ عام 1968 في اتجاه خاص في شكل نقاش لسلسلة ثورات عالمية ناجحة يمكن أن يشكل بالنسبة لنا دليل تجربة تعاوننا على تفادي أخطاء وتوضيح رؤية ولكنها لا يجوز أن تكون بالنسبة لنا وصفة طبيب أو معادلة جاهزة للنسخ

لا يمكن مناقشتها. كما قال لنا رفاقنا الفياتناميون في لقائنا معهم: "نحن لنا واقع، ومن خلال هذا الواقع نحن لنا خط". وفى فلسطين نحن لنا واقع، ولهذا الواقع خصوصيات لا يمكن إلا أن تفرض نفسها على مسيرتنا، وعلى طبيعة خطنا". (المصدر السابق ص48).

منطلقات الثورة الفلسطينية

أن كل ما كتبه كمال عدوان جاء متماسكاً يركز على تكثيف وإغناء خمسة منطلقات حددها كقواعد أساسية تنطلق منها الثورة الفلسطينية في مواقفها ومؤسساتها، وهي، في الأساس، منطلقات حركة فتح. وقد صاغها كما يلي :

أولاً: أن إسرائيل قاعدة للاستعمار في المنطقة، تستنزف جهدها وطاقتها، وتهدد مستقبل التطور والتغيير فيها، ولهذا فإن الأمن القومي يفرض تصفية وجود هذه القاعدة من المنطقة نهائياً لطبيعتها الاستعمارية والعدوانية .

الشهداء العمالقة قائد الثورة ياسرعرفات كمال عدوان كمال ناصر

ثانياً: أن الكفاح المسلح من خلال حرب الشعب طويلة الأمد هو أسلوب المواجهة الوحيد، الذي يستطيع أن يستثمر المزايا والخصائص المتوفرة في المنطقة العربية، وتعبئة الجماهير وحشدها وتمليكها القوة من خلال القتال لتحقيق الانتصار. وهذا يعني إعادة صياغة الإنسان العربي.
ثالثاً: أن بروز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني، باعتبار الشعب الفلسطيني يمثل حدية التناقض على ساحة الصراع مع الاحتلال الصهيوني، يشكل ضرورة أساسية لمواجهة الجهد المكث المضاد الذي يحاول تغييب الشعب الفلسطيني من ساحات الصراع المحلي والدولي. ولهذا فإن إبراز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني يعيد للقضية، في الإطار الدولي، حجمها ووجهها الحقيقي .

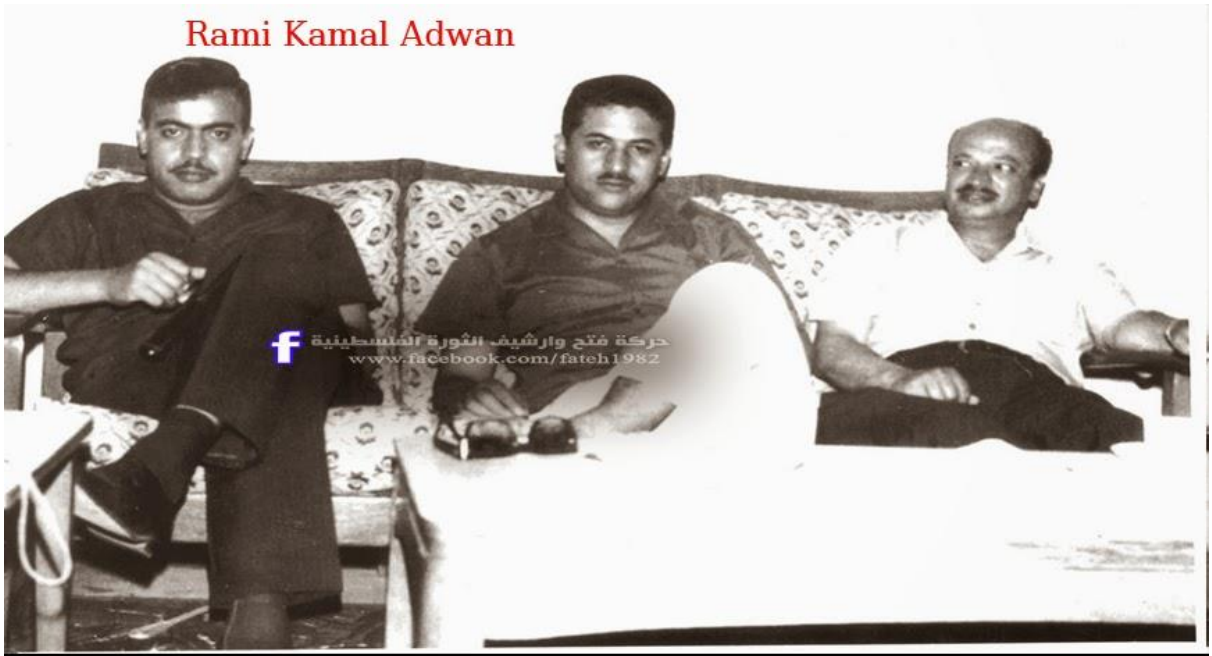

الشهداء القادة الشهيد القائد الرمز ياسرعرفات والشهيد كمال عدوان والرئيس محمود عباس

رابعاً: الشعب الفلسطيني يظل الطليعة لحركة التحرير العربية من أجل تحرير فلسطين.
خامساً: استقلالية الثورة الفلسطينية، ورفض الوصاية العربية الرسمية شرطان أساسيان للاحتفاظ بالهوية المميزة للثورة عن واقع الأنظمة الرسمي مع كل ما يقوده هذا التمايز من حركة التغيير في المنطقة". (شؤون فلسطينية، عدد 21، ص32).
لكي ندرك منطلقات الثورة الفلسطينية كما عبر كمال عدوان لا بد من مرور سريع بالخلفية التي تقف وراء الطرح.. أنها مسألة أولوية التركيز على قضية تحرير فلسطين، فهو لا يراها مسألة فلسطينية إقليمية وإنما يراها قضية قومية عربية تشكل الطريق إلى تحقيق أهداف الثورة العربية، يقول "قضية النضال العربي من أجل تحرير فلسطين هذه النقطة التي يلومنا بها البعض هي نقطة قوتنا. هذه النقطة هي بداية المدخل القومي للثورة الفلسطينية. كيف؟ نحن نعتقد بضرورة توظيف كل الجهد العربي لحساب التحرير. كيف يتم هذا؟ نحن ننادي بالتغيير ننادي بالوحدة. ولكن لا بد لأية حركة تحرير ولا بد لأية وحدة من قضية، قضية واحدة، ولا بد لهذه القضية من طليعة تتبناها. لو استعرضنا كافة قضايا الوطن العربي المرشحة للنضال من حولها، فسنجد هناك قضايا كثيرة متعددة، في العراق، في سوريا، في عدن، في الخليج، في مصر، في الجزائر، في لبنان. ولكن ما هي القضية الحدية التي تمثل حدية

الصراع، والقضية المؤهلة لاستقطاب الجميع؟" ويجيب" أن قضية فلسطين هي قضية التناقض الحدي مع الاستعمار ومع إسرائيل، وهي المرشحة لاستقطاب كافة القوى المناضلة، وكافة الطلائع العربية المناضلة، وكذلك فإن أي عمل، أي تحرك، أي بناء، أي أداة، لا بد لها من بداية، ولا تستطيع أن تنتظر لتنادي وتستنجد وتستحث أطرافاً أخرى لتبدأ بدلاً منها. لا بد من جهة ما معينة تقوم بالتصدي لهذه المسؤولية، وتقود النضال من أجلها، وتشكل محور الاستقطاب. الجهة المرشحة لهذا هي الجهة ذات التماس المباشر مع هذه القضية بداية. ولكن هذا لا يوقف العمل عندها. ولا يحصر إطاره فيها. ولكنه يعطيها وضع الملزم بحكم تماسه المباشر مع القضية الحدية. من هنا تتوفر القضية، تتوفر الطليعة، وتدور حركة النضال، وتنعكس آثارها على الجماهير العربية، فتفرز حالة جماهيرية تتطلع إلى التغيير من خلال الطلائع المحلية في كل قطر. ويتم لقاء كافة هذه الطلائع، حول قضية واحدة، في معركة

الشهيد القائد ياسرعرفات وابويوسف النجار وكمال عدوان والرئيس محمود عباس

واحدة. فيتم من خلال توحيد للجهد في شكل توحيد للأداة، بداية من أجل ما نطمح إليه جميعاً، الوحدة العربية" (شؤون فلسطينية عدد 21 ص 38).

إن هذا الطرح يشكل في جوهره أساساً لكل خلاف نظري وسياسي دار ويدور، وسيدور في الساحة الفلسطينية، وفي الوطن العربي، بين النظرية الثورية في بلادنا وبين النظرية الإصلاحية في المجال الاقتصادي والإقليمي من جهة، وكذلك بين نظرية التسوية في المجال السياسي والقومي من جهة أخرى. إن الاتجاه الذي يعمل له العدو الصهيوني والإمبرياليات العالمية وتلتقي معهما، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، كل القوى التي لها مصلحة في إبقاء التجزئة العربية، هو القضاء على هذه النظرية الثورية من خلال إنهاء حالة الصراع المسلح مع العدو الصهيوني، وتكريس عقلية التسوية معه، بأي شكل كانت. وهنا نجد أنفسنا مع كمال عدوان وهو يحدد وجود نظريتين في تناول موضوع "التناقض الحدي، بين أطراف الصراع في المنطقة". وهما "نظرية المجابهة الرسمية، ونظرية المجابهة الجماهيرية التي تطرحها الثورة الفلسطينية". ويتقدم في مناقشة النظريتين قائلاً: "فمن جانبنا أن الوجود الإسرائيلي بالنسبة لنا يشكل حالتين: حالة احتلال استيطاني: انتزاع الأرض وإفراغها، والحالة الثانية هي: حالة القاعدة. القاعدة لقوى الاستعمار في المنطقة التي تريد أن تستهلك إمكانيات المنطقة، أن تستنزف

إمكانيات المنطقة، وأن تشل إمكانيات الفعل في اتجاه التطور والتغيير".. "ومن هنا طرحت النظريتان المختلفتان في المنطقة العربية النظرية التي تقول بتنفيذ قرارات 1948 والنظرية التي تقول تصفية الوجود الصهيوني. النظرية الأولى تمثل نظرية الأمن الإقليمي، أي كل دولة عربية تبحث عن أمنها ضمن حدودها، وترفع فلسطين من الحساب. المهم أن تصل للاتفاق مع الوجود الصهيوني على ترتيبات أمنية لحدودها، في الإطار الإقليمي. أما النظرية الثانية فتمثل نظرية الأمن القومي، والتي تتبناها الثورة الفلسطينية، والتي تقول: إن الوجود الإسرائيلي على الأرض العربية مهما تضاءل حجمه، لا يقاس بالكيلومترات، ولكنه يقاس بوجود القاعدة على أي حجم كان. أي تظل قاعدة مؤهلة لاستنفاذ جهد المنطقة، وقاعدة لتهديدها، وللاستعمال ضدها عند الحاجة. من هنا، حتى تستطيع أن توفر الأمن القومي للمواطن العربي لا بد أن يصفى هذا الوجود. هنا نقطة البداية في الخلاف بين نظريتي المجابهة. نظرية الأمن القومي التي تدعو لتحرير كامل الأرض الفلسطينية بتصفية هذه القاعدة، ونظرية الأمن الإقليمي التي تدعو للتفاهم مع الاحتلال، مهما أخذ هذا التفاهم من تسميات، "تسوية"، "قرار 1948"، "مشروع روجرز"، "قرارات الأمم المتحدة"، "قرار مجلس الأمن 242"، "قرار التقسيم"، ليس المهم التسمية.

النتيجة التفاهم مع الاحتلال، ونعني الاعتراف به". (شؤون فلسطينية، عدد 21، ص29، آخر حديث للشهيد كمال عدوان) .

إن كمال عدوان حين يطرح كل ذلك يدعمه بتحليل مسهب للسمات الخاصة على جانبي الجبهتين اللتين تمثلان حدية الصراع بين طرفي التناقض، ليؤكد صحة إستراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الأمد في مواجهة العدو (راجع المقالات: "فتح: الميلاد والمسيرة"، "آخر حديث للشهيد كمال عدوان"، "فتح في عيدها الخامس"،). وليؤكد على ضرورة محاربة كل الحلول المطروحة التي لا تتضمن تصفية الكيان الصهيوني، وإقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني. أي أنه كان ضد التسويات السياسية، فقد كتب قائلاً: "الثورة الفلسطينية تضع معادلة: استمرار الثورة يعني لا تسوية، تمرير التسوية يعني تصفية الثورة الفلسطينية". وكان يرى في اتجاهات التسويات المطروحة خطراً محدقاً بالشعب العربي الفلسطيني: "قرار الحرب لا يكفي ولكن المطلوب تحديد هوية الحرب. في حزيران إسرائيل احتلت الأرض ولكن ولدت إرادة شعبنا. واليوم يريدون أن يعيدوا أرضا ليعيدوا شعبنا إلى الموت. هذا هو الهدف". (شؤون في فلسطينية، عدد 21، ص34). وقد رد الشهيد كمال عدوان على الذين هاجموه لرفضه التسويات السياسية واصراره على الكفاح المسلح لتصفية الكيان الصهيوني لإقامة الدولة الديمقراطية، قائلاً: "يرون في ذلك بعداً عن الواقعية؟ لا.. أن الوجود الصهيوني برغم تفوقه الآن جزء من ظاهرة قديمة تحتضر، ظاهرة الامبريالية والاستعمار.. مشروعنا للدولة الديمقراطية هو جزء من ظاهرة نامية، جزء من المستقبل.. المستقبل كحتمية تاريخية هو لحركة التحرر

الشهيد القائد كمال عدوان عام ١٩٦٧

العربي.. ودولتنا المتحررة الديمقراطية هي جزء من حركة التحرر العربي.. لذلك نحن نربطها بالنضال المتنامي للجماهير العربية، ولا يمكن أبداً أن نربطها بأية عملية تسوية آنية فمثل هذه التسوية ستكون ولا شك لصالح من يملك فرض شروطها". (شؤون فلسطينية، عدد 17، ص56) .

في الواقع، أن الذي يميز كمال عدوان، بصورة خاصة، بالنسبة لرفض التسويات، لا يتأتى من مهاجمته لمختلف أشكال الحلول التي لا تتضمن تصفية الكيان الصهيوني فحسب، وإنما أيضاً، لكونه، أول من ركز، على ضرورة إسقاط عقل التسوية، أو عقلية التسوية، وهذه مسألة لم يكن الكثيرون يلتفتون إليها. أما كمال فقد كان يعتبر أن جذر الخطر كامن في عقلية البحث عن تسوية أكثر مما هو كامن في ما هو مطروح من تسويات. لماذا؟ لأنه كان يرى أن أخطار تلك المشاريع (التسويات) قابلة للدحر أو هي غير ممكنة التطبيق في تلك الظروف المعطاة. ولهذا كان خوفه من عقلية التسوية لأنها الأساس الذي يدفع إلى الترامي على التسويات السياسية. الأمر الذي يجعل إسقاط تسوية ما، أبعاداً لخطر محدد ولكنه لا يعني إسقاطاً لأساس العلة وهي عقلية التسوية. في حين إذا تم التركيز على إسقاط عقلية التسوية يصبح من تحصيل الحاصل سقوط التسويات ليس المطروحة في ذلك الوقت، فحسب، وإنما أيضاً، ما يمكن أن يتولد عنها، خاصة، عند تبدل بعض الظروف التي قد تكون أكثر مؤاتاة. لذا كتب في الأول من كانون الثاني (يناير)، 1973، في مجلة "فتح" الداخلية مقالاً تحت عنوان "لا بد من إسقاط عقل التسوية" ختمها قائلاً: "أن الجهد الرئيسي للثورة الفلسطينية يجب أن يتركز الآن في العمل لإسقاط العقل العربي الذي يقول بتصفية الاحتلال بالتفاهم أو الاتفاق معه، والعودة بالعقل العربي من إطار التسوية

إلى أجواء القتال. ولا بد من خلق سلسلة الحقائق القتالية التي تقود إلى هذا، وتجمله واقعاً لا خيار منه". ووضع في المقال نفسه شعاراً قال فيه "لقد حاول أعداء الثورة الفلسطينية وما زالوا، العمل على إخراج العقل الفلسطيني من إطار الثورة إلى متاهات البدائل". ولهذا كان يرى في القتال المسلح جوهراً لا يجوز بأي شكل من الأشكال التخلي عنه، ويكفي أن تخنق إرادة القتال عند الإنسان الفلسطيني حتى يكون ذلك هو الطريق لتصفية الوجود الفلسطيني: يقول: "الوجود الفلسطيني يعني قدرة الفعل الفلسطيني، وقدرة الفعل هي إرادة القتال، إرادة الرفض والتغييرات عند الإنسان الفلسطيني. ومن هنا فإن الذين يقفون في الصف المعادي يدركون أن تصفية الوجود الفلسطيني مرهون بخنق إرادة القتال عند الإنسان الفلسطيني ."

الشهداء العمالقة الشهيد كمال عدوان والشهيد ابويوسف النجار

وبعد، فإن هذا المرور المريع باستعراض أفكار الشهيد كمال عدوان من خلال كتاباته، يشعرنا كم نحن بحاجة، في هذه الظروف، ولأمد غير قصير قادم، إلى دراسة هذه الكتابات والتعلم منها. من أجل المحافظة على اتجاه الثورة الفلسطينية حتى التحرير الكامل. هذه الثورة التي عاش كمال عدوان من اجلها واستشهد في سبيلها .

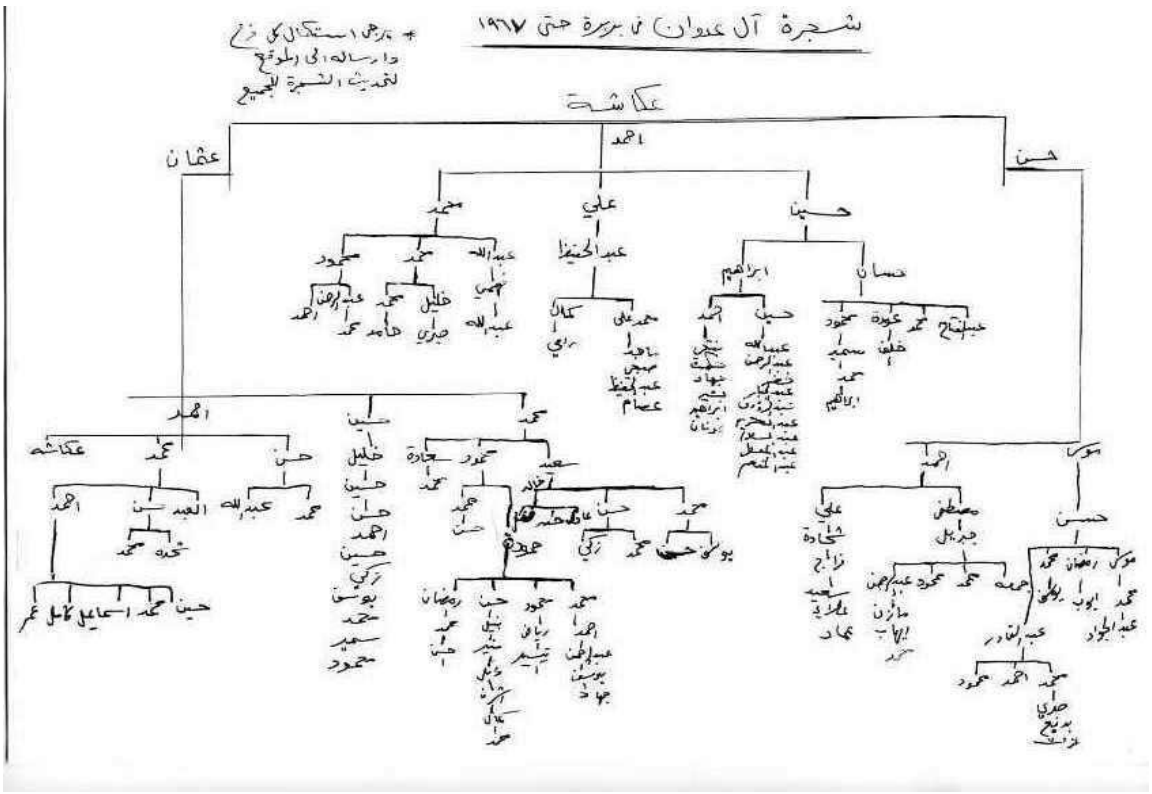

الرئيس محمود عباس يسلم عائلة الشهيد القائد كمال عدوان، "زوجة الشهيد وابنه رامي"، وسام نجمة الشرف – عمان – 2014/04/17

الشهيد القائد كمال ناصر

اللواء الركن عرابي أبو كلوب:

كمال بطرس إبراهيم يعقوب ناصر، مناضل وشاعر، ولد في مدينة غزة عام 1924، وتربى في بيرزيت شمال رام الله، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في القدس، وفي عام 1945م نال شهادة البكالوريوس في الادب والعلوم من الجامعة الأمريكية ببيروت، وعاد إلى فلسطين حيث عمل مدرساً للأدب العربي في مدرسة صهيون بالقدس، ثم درس الحقوق في معهد الحقوق الفلسطيني وعين عام 1947م أستاذاً للأدب العربي في الكلية الأهلية برام الله.

أصدر مع زملاءه بعد النكبة عام 1948م جريدة البعث في رام الله وفي عام 1949م أصدر مجلة الجيل الجديد في القدس.

انتسب كمال ناصر إلى حزب البعث العربي الاشتراكي عام 1952م وبعد فترة قصيرة غادر الأردن إلى الكويت، ثم عاد إلى القدس عام 1956م، وخاض الانتخابات النيابية ممثلاً لحزب البعث عن رام الله، فنجح فيها وأصبح عضواً في مجلس النواب الأردني، غادر الأردن إلى سوريا إثر حل البرلمان الأردني واستقالة حكومة سليمان النابلسي.

حضر كمال ناصر مؤتمر السلم العالمي الذي عقد في موسكو عام 1961م وفي عام 1956م زار باريس ضمن وفد سياسي عربي لشرح أبعاد القضية الفلسطينية للرأي العام الفرنسي.

بعد سقوط القدس عام 1967م في يد قوات الاحتلال الإسرائيلي آخذ كمال ناصر يناضل ضد الاحتلال فاعتقلته السلطات العسكرية الإسرائيلية وأودع سجن رام الله ثم أبعدته سلطات الاحتلال من فلسطين بسبب مواقفه النضالية. وانتخب عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في شباط من عام 1969، وتولى رئاسة دائرة الإعلام والتوجيه القومي ومجلة فلسطين الثورة، وكان المتحدث الرسمي باسم المنظمة.

أطلق عليه صلاح خلف "أبو إياد" لقب "ضمير" الثورة الفلسطينية، لما كان يتمتع به من مصداقية وسمات أخلاقية عالية، كما أصبح رئيسا للجنة الإعلام العربي الدائمة، المنبثقة عن جامعة الدول العربية. عام 1972 تبنى المجلس الوطني الفلسطيني قرار إنشاء مؤسسة إعلامية فلسطينية موحدة، وأنيطت به مهمة الإشراف على الهيكل الجديد الذي سمي "الإعلام الموحد"، وترأس تحرير مجلة المنظمة "فلسطين الثورة" حتى تاريخ استشهاده.

كتب كمال ناصر مقالات سياسية وتأملية كثيرة، وكتب القصة القصيرة، كما صدرت له مجموعة شعرية، هي "جراح تغني" عن دار الطليعة في بيروت عام 1960. باسمه سميت أكبر قاعة من قاعات جامعة بيرزيت، تخليدا لذكراه ودوره النضالي والأدبي، في خدمة القضية الوطنية.

كتب كمال ناصر مقالات سياسية وتأملية كثيرة، وكتب القصة القصيرة، كما صدرت له مجموعة شعرية، هي "جراح تغني" عن دار الطليعة في بيروت عما 1960، أما معظم آرائه ومواقفه فكان يضمنها في ما كان ينشره من مقالات شبه يومية في الصحف والمجلات، فضلا عما كان يحتفظ به

كمخطوطات.

استشهد كمال ناصر في 1973/4/10م مع رفيقيه كمال عدوان وأبو يوسف النجار اثر الغارة الاسرائيلية على منازلهم في منطقة فردان في بيروت.

كمال ناصر - حياته وشعره
(عايد عمرو –جريدة الأيام 23-03-2004)

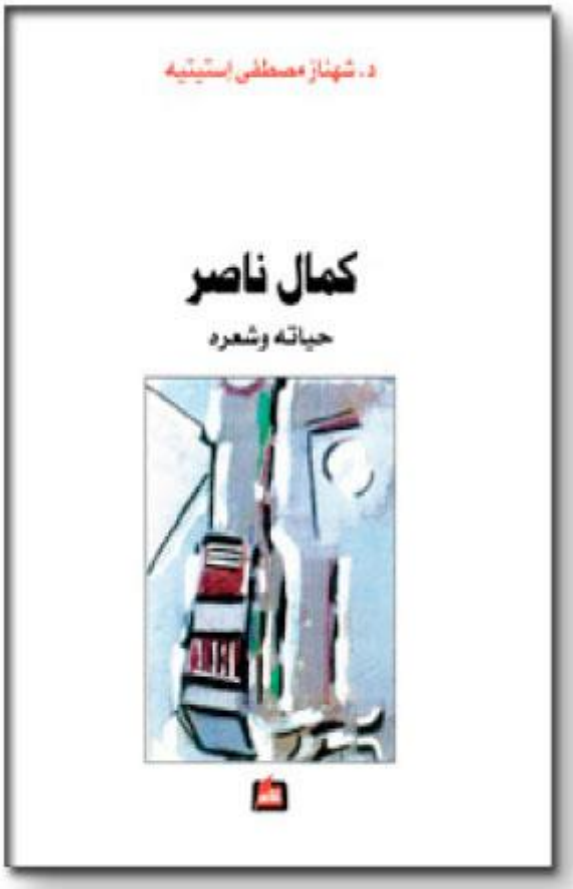

عن دار الفارابي في بيروت، صدر كتاب جديد عن حياة وشعر الشهيد كمال ناصر للدكتورة شهنار استيتية، التي تناولت حياة وشعر ناصر، معترفة الكاتبة بمدى العناء والمشقة التي اصابتها خلال البحث والتنقيب عن حياة الراحل ومسيرته النضالية والشعرية، معتمدة على ارشيف مكتبة اذاعة فلسطين في القاهرة، وارشيف "فلسطين الثورة" التي كان الشهيد ينشر ويكتب فيها، ثم معتمدة على كتاب هالة سلام (الضمير) الذي اصدرته بالاشتراك مع سلوى الخالدي عن الشهيد ناصر، وكتابين صدرا تخليداً له، هما الآثار الشعرية، والآثار النثرية، اصدرتهما لجنة تخليد كمال ناصر برئاسة د. انيس الصايغ، وعلى المقابلات الشخصية مع شقيقه ناصر لوريس، والقسيس إيليا خوري، وحنا ناصر، والسيدة تانيا، والصحف والمجلات التي نشر او كتب فيها ناصر منذ العام 1965 وحتى العام 1974، وعلى مخطوطات ورسائل لكمال او عنه، وكتابين هما (الشهداء الثلاثة)، و"ذكريات عن الشهيد كمال ناصر"، ومسرحية للشهيد بعنوان (الصح والخطأ) اصدرتها لجنة تخليد تراثه العام 1979، والاديبة السورية كوليت خوري.

تقول الكاتبة ان هناك معلومات لم تستطع الوصول اليها وهي تلك (الموجودة في صناديق مقفلة في مركز الابحاث والدراسات الفلسطينية في بيروت، ويحظر الوصول اليها الاّ باذن خاص من لجنة تخليد تراثه) الذي قامت شقيقات الشهيد بتهريبه من بيرزيت الى بيروت من اجل طباعتها الاّ انها لم تطبع، وتكشف الكاتبة عن مسودات لقصائد بخط الشهيد موجودة لدى قريب له ليطبعها الاّ انها ايضاً لم تطبع.

وقسمت الكاتبة كتابها الى فصول وابواب، تسهيلاً للقارئ، الاّ ان اللافت ان السرد مطول والحقائق المذكورة حقيقية ما يصعب القراءة على غير المتخصص وغير المطلع على حياة الشهيد وبداياته السياسية التي تشابكت بظروف صعبة كانت سائدة تلك الفترة منذ مولده وحتى استشهاده.

وتناولت الباحثة في الفصل الاول اسرة الشهيد والتأثير الذي تركته في نفسه وفي شخصيته، وفي الفصل الثاني تناولت طفولة وشباب الشهيد، ومعايشته للقضية الفلسطينية ودراسته في الجامعة الاميركية وعودته الى الاردن.

في الفصل الثالث، تناولت الباحثة عمل ناصر في الصحافة الاردنية، ودوره في حركة الفكر العربي الناهض تلك الايام. حيث كان يكتب في جريدة (الوحدة) وهي كما يقول عيسى الناعوري من اكثر الصحف واوسعها انتشاراً آنذاك، ومن الحوادث التي ذكرتها الباحثة عن تلك الفترة هي الردود العنيفة التي كانت بين الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود والشهيد ناصر، فقد كان الاثنان مختلفين حول مفهوم

الشعر من خلال كتابة عبد الرحيم في صحيفة (الحرية) التي كانت تصدر في يافا لصاحبها هاشم السبع، وكتابة ناصر في جريدة (الوحدة) التي كان يصدرها في القدس اسحق الحسيني، وكان الخلاف قد بلغ قدراً كبيراً من الحدة والعنف، حتى ان كمال رد على عبد الرحيم بقصيدة مطلعها:

زعانف الأدب المحموم لا قلمي
يهتز للرد أو شعري يطاوعه

وكان الاثنان لا يعرفان بعضهما، حتى العام 1947 عندما حضر عبد الرحيم الى القدس، وزار المرحوم سيف الدين زيد الكيلاني واخويه محمد وعبد الله، وذهب معهما الى مقهى (البيكاديللي) وهناك التقى عبد الرحيم مع ناصر لاول مرة، فتعارفا واصبحها صديقين حميمين.

وتحدثت الباحثة في الفصل الرابع عن دور كمال ناصر في الحياة السياسية والنضال الشعبي، ودخوله البرلمان الاردني كنائب عن منطقة رام الله، وهي فترة لم تدم طويلاً، فقد اعلنت الاحكام العرفية في الاردن، ما دعا كمال للهرب الى دمشق وبيروت والقاهرة، ثم فرنسا، ثم ليعود الى الاردن بعد انفراج الاوضاع الداخلية واعلان العفو عن النشطاء السياسيين ويبقى في بيرزيت حتى العام .1967 حيث كان منتمياً الى حزب البعث منذ العام 1955 كما يقول عبد الله الريماوي، وشارك ناصر في الثورة الجزائرية، وسافر الى الجزائر بعد توصية ارسلها السيد ميشيل عفلق لاحد المسؤولين الجزائريين ونقل من هناك صورة الثورة للعالم الخارجي، وبعد هزيمة العام 1967، انضم كمال ناصر للنشاط الفلسطيني المسلح، حتى تم القاء القبض عليه من قبل سلطات الاحتلال مع زميله ابراهيم بكر، ويتم ابعادهما يوم 32/ كانون الاول "ديسمبر" 1967، ليتم استقبالهما من قبل الملك حسين الذي عرض عليهما مناصب رفيعة الاّ أنهما اعتذرا.

من بداية الفصل الخامس، تطنب الباحثة في وصف ناصر داخل المقاومة الفلسطينية، فتم ايفاده من منظمة التحرير الفلسطينية لزيارة البابا، وكان اول مسيحي فلسطيني من م.ت.ف يقابل البابا ويحدثه عن المدينة المقدسة وواقعها تحت الاحتلال، ثم انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية، ورئيساً لدائرة الاعلام والتوجيه القومي، ومتحدثاً رسمياً باسم المنظمة، وكان لجهوده الدور الرئيس في جعل جريدة حركة

"فتح" جريدة يومية بعد ان كانت عبارة عن نشرة، ووصل انتشارها الى جميع ارجاء العالم العربي، وحققت ارقاماً قياسية في التوزيع وصل الى مائة الف نسخة، ثم تحولت في عهده الى المجلة المركزية لمنظمة التحرير، وكان كمال دائم النشاط في شرح توجهات الثورة وسياساتها من خلال المؤتمرات الصحافية العديدة التي اقامها، ولقب ناصر بـ(الضمير) في حركة فتح كما يقول عبد المحسن القطان في ذكرياته عن الشهيد ناصر.

في خضم هذه الحياة السياسية والاعلامية الصاخبة عاش كمال، فأزعج ذلك اسرائيل، التي بيتت النية لاغتياله واسكاته للأبد، فكانت اولى محاولاتها يوم 1970/1/19، حيث كان مجتمعاً مع خالد الشرطي وشفيق الحوت، الاّ ان الصواريخ حادت عن اهدافها، وبعد احداث ايلول في الاردن انتقل الى بيروت ليؤسس هناك مجلة (فلسطين الثورة)، وفي ايامه نمت فكرة الاعلام الفسلطيني الموحد وهي فكرة للشهيد كمال عدوان مفوض الاعلام المركزي لحركة "فتح"، الذي دعا الى اجتماع تحضره كوادر الحركة، فتم تعيين يوم 1972/6/5 موعداً للاجتماع وتم ابلاغ الكوادر بقرار توحيد الاعلام، وان المسؤول الأول هو كمال ناصر، وفي فجر يوم 1973/4/1 اسكتت كواتم الصوت الاسرائيلية صوت كمال واثنين من زملائه هما كمال عدوان ويوسف النجار، اليس هو القائل:

أعلم انني انتهيت
لم يبق من أحبه
ومن يحبني
اللذة التي مارستها
في موكب العطاء والفداء
لم تعد تلهيني

وفي الفصل السادس الباب الاول، الذي خصصته الباحثة عن ناصر الشاعر، وتحدثت عن ديوانه (جراح تغني) الذي اصدره في بيروت العام 1960، وهو ديوان يتيم للشاعر، مكتفياً بنشر قصائده في الصحف والمجلات حتى استشهاده، لتقوم لجنة تراث كمال ناصر باصدار اثاره الشعرية والنثرية في كتابين قدم للأول المرحوم احسان عباس والثاني ناجي علوش.

اما الباب الثاني فكان عن موضوعات شعره، وقسمته الى عدة فصول هي الفصل الاول شعر ناصر الوطني، والفصل الثاني فقد خصصت لقصيدة الشاعر الطويلة (الملحمة) "أنشودة الحقد" وهي عبارة عن عدة قصائد طويلة ترتبط بفكرة الهدف والفكرة الواحدة، اما الفصل الثالث فهو عن شعره في حزب البعث العربي الاشتراكي، وفي الفصل الرابع شعر كمال في الهروب والتخفي والسجن، والفصل الخامس عن مكانة المرأة في شعر كمال ناصر، كون المرأة لعبت دوراً بارزاً في حياته، واصراره على حب امرأة واحدة رغم زواجها، والبقاء عازباً حتى استشهد وخصص الفصل السادس لشعر الهجاء عند ناصر، والفصل السابع للرثاء والفصل الثامن للمديح، والفصل التاسع في شعر التأمل، والفصل العاشر في الشعر الديني، وقسمت الباحثة الباب الثالث الذي يحمل عنوان الدراسة الفنية لشعره وقسمته الى فصلين الاول الاسلوب الذي تناولت دراسته، ومعارضاته، والفصل الثاني للصورة الشعرية في شعره. وتحدثت الباحثة عن الرمز والموسيقى والهفوات عند الشهيد الشاعر.

ومن شعره الذي ضمنته الباحثة قصيدته (جرح بغداد) التي يقول فيها:

لا تقل هان على الجرح الدم
لم يزل للجرح قلب وفم
كلما ارهقه البطش نزا

بالبطولات وقال انتقموا
دربنا بغداد، هل يسمعني
في ذرا بغداد صمت أبكم
شرهت بغداد أحزان الثرى فعلى بغداد منها مأتم
نحن يا بغداد جرح واحد سال من وثبتنا يقتحم

بقي القول ان الشهيد كمال ناصر ولد في غزة يوم 1952/4/2، ودرس في كلية بيرزيت قبل ان تصبح جامعة، ثم سافر الى بيروت والتحق بالجامعة الاميركية وبسبب نشاطه السياسي فصل ستة اشهر منها وكان ذلك العام 1944، وهنا لا بد من ذكر الحادثة الطرفية التالية والتي اثارت حفيظة اهالي صفد عندما كان معلماً فيها، والحادثة مذكورة في الكتاب "ص15"، وقد روتها للباحثة السيدة سلوى ناصر ومفادها ان ابن عم كمال ارسل اليه رسالة ليستفسر بها عن احواله، فرد كمال على ابن عمه بقصيدة اعتبرها اهالي صفد ضدهم وتسيء اليهم، وهددوا بطرده من صفد، حتى تدخلت واسطة واصلت بين ناصر والاهالي، وقد ذكرت الباحثة بيتين فقط من مجمل القصيدة هما:

إن تسلني عن حياتي في صفد فهي غم وشقاء ونكد
ينعق البوم على اطلالها قبح الله ثراها من بلد

الكتاب، ربما يكون الاول الذي يتابع مسيرة الشهيد الانسانية والابداعية، وجاء في 332 صفحة من القطع الكبير والغلاف للفنان فارس غصوب.

المؤلف: د. شهناز مصطفى استيتية
الناشر: دار الفارابي – بيروت

ذكر أنيس الصايغ
في كتابه عن أنيس الصايغ (صفحة 293)

... أذكر أنه رأس مرة وفداً من المنظمة (منظمة التحرير الفلسطينية) إلى الفاتيكان. وسألني قبل السفر كيف سيسلم على البابا. وهل عليه أن يلثم يده وهو إنجيلي لم يعتد على لثم أيدي الكهنة. قلت له: يكفي أن تنحني أمامه قليلاً. وبعد عودته أطلعني على صورة اللقاء.

وإذا بالبابا ينحني أمام كمال الذي هو وقف منتصباً. فقلت له: اقترحت عليك ألا تنحني كثيراً وإذ بك تجعل البابا هو الذي يقوم بالانحناء.

أوس داوود يعقوب*/خاص مؤسسة القدس للثقافة و التراث(2012/4/12)

... وفي سنة 1968م، انتظم في حركة الكفاح الفلسطيني، وأوفدته منظمة التحرير الفلسطينية للقاء البابا في «الفاتيكان» لمحاولة إقناعه بحق الفلسطينيين في القدس.

في كتاب كمال ناصر - حياته وشعره
للدكتورة شهنار استيتية

... من بداية الفصل الخامس، تطنب الباحثة في وصف ناصر داخل المقاومة الفلسطينية، فتم ايفاده من منظمة التحرير الفلسطينية لزيارة البابا ...

الشهيد كمال ناصر..المسيحي الذي أوصى بدفنه في مقبرة الشهداءالإسلامية..
(رام الله - خاص دنيا الوطن 2014/4/10)

تصادف اليوم ذكرى استشهاد كمال ناصر أحد أبرز قادة الثورة الفلسطينية، والذي تم اغتياله في10-4-1973 على يد المخابرات الإسرائيلية في بيروت مع اثنين من رفاقه وهما كمال عدوان وأبو يوسف النجار. ويعتبر الشهيد كمال ناصر أحد أبرز قادة الثورة، ومفكرها، وقد أطلق عليه الشهيد صلاح خلف "أبو إياد" لقب "الضمير" حتى أخذ رفاق الثورة وزملائه في العمل ينادونه بهذا الاسم حتى أصبح كأنه اسمه الشخصي. وينتمي كمال ناصر إلى إحدى أشهر العائلات الفلسطينية في مدينة بيرزيت، رغم أنه ولد في مدينة غزة حيث كان يعمل والده .

وكان كمال ناصر عضواً في أول لجنة تنفيذية بقيادة ياسر عرفات، وذلك في شتاء 1969، وهو مؤسس دائرة التوجيه والإعلام في م.ت.ف . وبصفته رئيساً لدائرة الإعلام الفلسطيني وبفضل قوة حضوره الشخصي والثقافي، أصبح "الضمير" رئيساً للجنة الإعلام العربي الدائمة المنبثقة عن الجامعة العربية. وترك كمال ناصر الشاعر الملتزم الكثير من الأعمال الشعرية، وأهم كتاباته النثرية في "افتتاحيات فلسطين الثورة".

قالت عنه الأديبة السورية الكبيرة غادة السمان في إحدى رسائلها إليه: "ينتابني إحساس دائم، كلما كتبت إليك، هو أنني لن أتلقى رداً. فأنت أيها الفارس المشرد ضائع في هذا العالم الواسع،

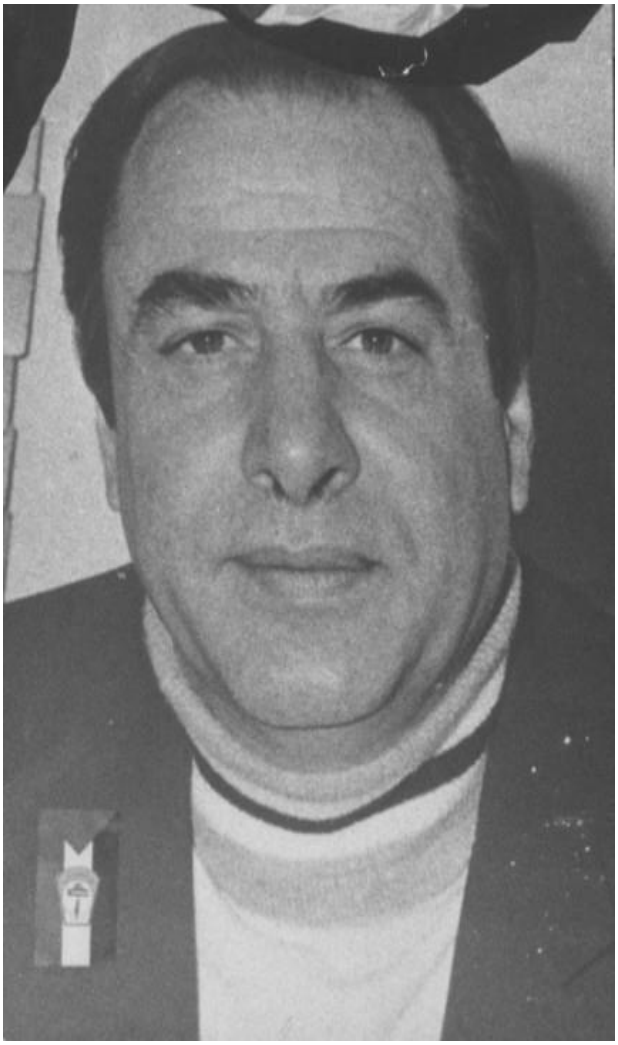

ومن المحتمل أن تصل رسالتي إليك وأنت قد غادرت عمان (وصرتَ) حاكماً لسوريا أو قتيلاً في بيرزيت".

الساخر الجميل : كان يخشى الموت ولا يهابه في الوقت نفسه. وكثيراً ما ردّد: أمامي عشرون سنة لكتابة الشعر ، ولا أريد أن أموت قبل ذلك. ومع أن السياسة سرقت منه رحيق الشعر، إلا أنه ظل يراوغ الموت بالسخرية حيناً، وبالحب حيناً آخر، وبصخب الحياة أحياناً. وفي ميدان الفكاهة تُنسب إليه عبارة «الثورة تعني أنثى الثور». وكان منخرطاً في الثورة الفلسطينية بعقله المتقد، وأعصابه الفائرة، وروحه الوثابة، لم يطلق النار مرة واحدة، إلا ليلة استشهاده، حين ختم حياته بإطلاق رصاصة واحدة على الإسرائيليين، وتلقى جسده وابلاً من رصاصهم. ومن فكاهاته التي سرت على الألسنة أنه كان يأتي يومياً من دمشق إلى درعا ليتسقط أخبار القتال في الأردن في أيلول 1970. وفي إحدى المرات مازحه بعض أصدقائه بالقول: لماذا لا تذهب إلى عمان للاشتراك في القتال؟ فسحب

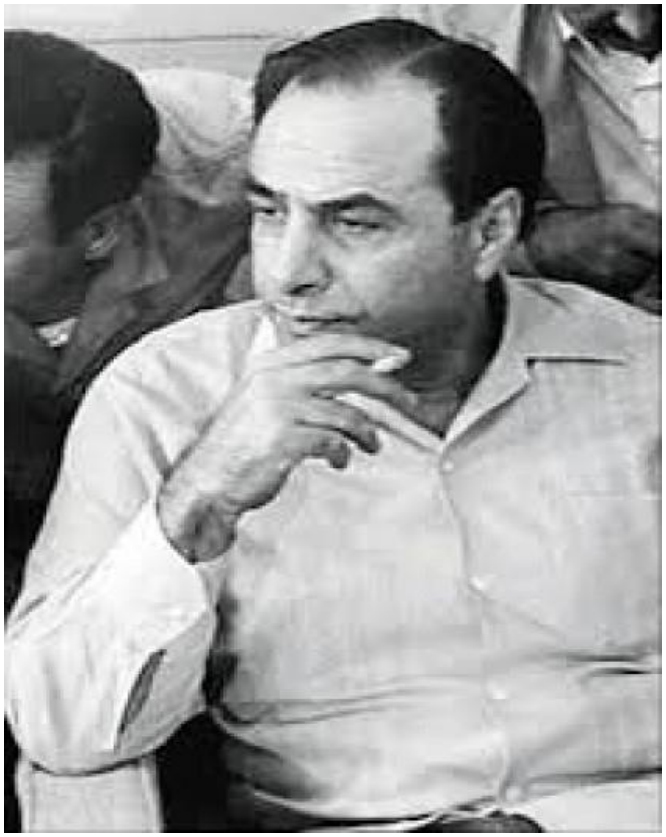

كمال ناصر جواز سفره من جيبه وقال لصديقه: أنظر، والدتي تدعى وديعة، واسمي كمال بطرس ناصر وليس عنترة بن شداد العبسي .

وفي إحدى المرات، وكان يجوب شوارع بيروت مع الأديبة السورية كوليت خوري بسيارته «عزيزة»، وكان صوت فيروز يصدح من مذياع السيارة، فالتفت إلى كوليت وقال لها: يجب أن نغتال فيروز. ولما سألته كوليت خوري: لماذا؟ أجاب: لأن صوتها صافٍ وجميل، ويعطي فكرة كاذبة عن العالم وعن الوحل الذي نعيش فيه. لم يبقَ أي شيء في حياتنا إلا صوت فيروز. وعندما نغتالها يصبح كل شيء وحلاً في وحل. إنها تشوه سمعتنا، وتصور عالمنا كأنه كله صفاء كصوتها.

جريدة بمئة دينار:

بدأ الوعي السياسي لدى كمال ناصر يتفتح في أثناء ثورة 1936، وكان مواظباً على المشاركة في التظاهرات الوطنية المناوئة للانتداب البريطاني وللهجرة اليهودية. ومع صدور قرار التقسيم في سنة 1947 أيقن أن فلسطين تسير إلى مستقبل سديمي غامض. وقرر أن يصدر جريدة سياسية، ولم يكن لديه أي أموال. فاستدان من شقيقته سلوى مئة دينار كانت ادّخرتها لدراساتها العليا. وفي ما بعد أصدر مع عبد الله الريماوي وراجي صهيون وعبد الله نعواس وطلعت البرغوثي جريدة «البعث» في رام الله.

ألطف اعتقال في دمشق:

في 23 شباط 1966 وقعت الواقعة بين البعثيين وانقلب بعضهم على بعض، فاعتقل. وتروي كوليت خوري ان كمال ناصر اختبأ في منزلها. وبعد أيام جاء ضابط ومعه عدد من الجنود يسألون عن كمال ناصر. فنفت كوليت وجوده في المنزل، لكن كمال ناصر عرف الضابط من صوته، فاعتقد انه من جناحه السياسي، فناداه إلى الدخول. وبعد أن شرب الجميع القهوة قال له الضابط: أستاذ كمال، تفضل معنا إلى المزة، فذهل كمال ناصر. وفي طريقه إلى الاعتقال كانت إذاعة دمشق تذيع أناشيد من تأليفه. وفي السجن جاءه قائد القوى الجوية (حافظ الأسد) ومدير المخابرات العامة (عبد الكريم الجندي) لإقناعه بتأييد حركة 23 شباط، لكنه رفض وظل وفياً لميشال عفلق. وعندما سألاه ما هي مطالبه قال إنه يريد ألا يقف الحارس عند باب الحمام حين يدخل إليه. فصدر الأمر بتركه في الحمام بقدر ما يريد. وقبل أن ينصرف الأسد والجندي قال لهما: سأهرب الليلة، فضحكا وانصرفا. وبالفعل تمكن من أن يتسلل عبر نافذة الحمام إلى باحة السجن، ثم سار نحو سور الحديقة وتسلقه، فإذا به في الشارع. وفي ما بعد تسلل عبر الحدود إلى طرابلس، حيث اقتحم منزل عبد المجيد الرافعي وبدأت مرحلة جديدة في حياته .

جنازة غسان كنفاني:

في الثامن من تموز-يوليو 1972 أقدمت المخابرات الإسرائيلية على اغتيال الشهيد غسان كنفاني ،وكطفل كبير "غار" كمال ناصر من جنازة الشهيد غسان ،حيث قال في ذلك اليوم: "يا سلام. هكذا يكون عرس الكاتب الشهيد.." وتساءل: ترى هل ستتاح لي هذه الجنازة يوماً؟ وفي العاشر من نيسان 1973. اهتزت الدنيا على وقع قلب بيروت وهي تشهد استشهاد القادة الثلاثة. وكان لكمال ناصر جنازة تغص بعشرات آلاف المشيعيين كالتي اشتهاها، مع إضافة تليق به. فقد تبين أنه أوصى منذ استشهاد غسان بأن يدفنوه إلى جانبه. وهكذا دفن كمال ناصر المسيحي البروتستانتي في مقبرة الشهداء الإسلامية. ولعل الشهيدين يؤنس أحدهما الآخر بعد أن خرج المقاتلون الفلسطينيون من بيروت عام 1982 .

نهاية رجل شجاع:

لم يمت كمال ناصر مستسلماً بل شجاعاً. ولد في العاشر من نيسان 1924 واغتيل في العاشر من نيسان 1973 مع رفيقيه كمال عدوان ومحمد يوسف النجار، أي انه عاش أقل من خمسين سنة. ففي 10 نيسان 1973 شوهد هذا الفارس النبيل مصلوباً على الأرض، وفي جسده عشرات الرصاصات، وبالقرب منه مسدسه ومظروف فارغ أطلق منه رصاصة واحدة وهوى. وكان آخر ما كتبه لمجلة «فلسطين الثورة» افتتاحية بعنوان: "القيادات تتغير والأشخاص يزولون وتبقى القضية أكبر من الجميع".

<u>كتاب جديد يروي سيرة "شهيد فردان" الشاعر كمال ناصر</u>
(عمان – جريدة الغد – 2016/5/29)

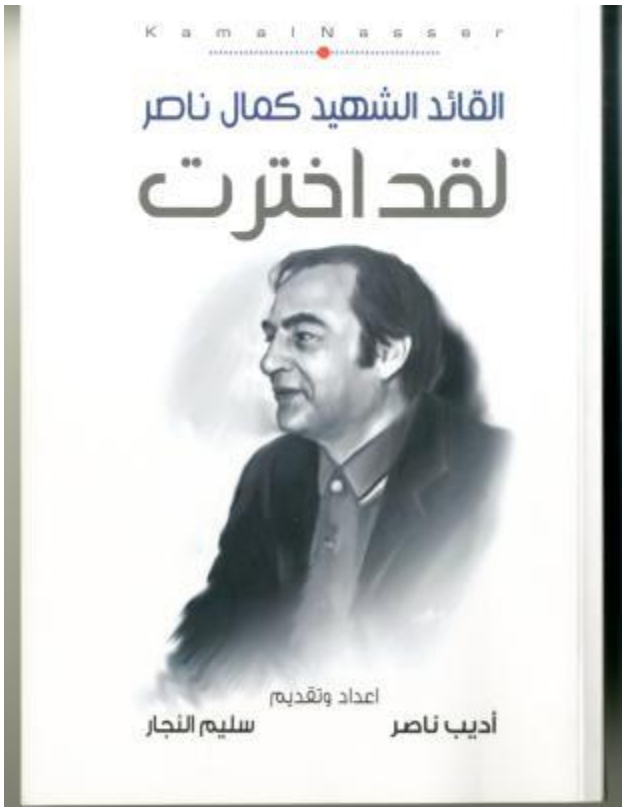

- صدر حديثا كتاب "لقد اخترت" عن سيرة الشاعر الشهيد كمال ناصر .
وشارك في الكتاب الذي اعده المفكر اديب ناصر والزميل الناقد سليم النجار احتفاء وتخليدا لذكرى الشهيد كمال ناصر الذي اغتيل في العام 1973 على يد جهاز الموساد الإسرائيلي خلال العملية التي عرفت بعملية فردان في بيروت، عدد من كبار الكتاب في العالم العربي.
بدأت فكرة اصدار هذا الكتاب مما توفر من مادة احتوتها صحف لبنانية، في نيسان (أبريل) 1973، وتحديدا بعد استشهاد القادة الثلاثة محمد يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان في عملية فردان، ففي حينه وخلال أيام قليلة انهمرت الكتابات من صحفيين وسياسيين ونقابيين ورجال دين تدين الجريمة والتخاذل وتمجد الشهادة والشهداء.. وكان للشهيد ناصر منها نصيب الاسد.
هي شهادات موثقة لأكثر من 50 شخصية، منهم الرئيس ياسر عرفات وكمال جنبلاط واحمد بهاء الدين وصلاح خلف وغسان تويني وشفيق الحوت وكلوفيس مقصود وعبد المحسن ابو ميزر وماجد ابو شرار. وفيها ايضا قصائد لشعراء منهم محمود درويش ونزار قباني ومعين بسيسو ومي صايغ وخليل خوري، اما الصحف والمجلات فمنها النهار والانوار وفلسطين الثورة والهدف والصياد والمحرر والدستور والجمهور والاسبوع العربي والبلاغ. وكمال ناصر ابن مدينة بيرزيت الفلسطينية، ولد في غزة في 20 نيسان (أبريل) 1925 وتخرج من كلية بيرزيت سنة 1941، واكمل تعليمه في الجامعة الأميركية في بيروت وتخرج منها في العام 1945، والتحق لاحقا بمعهد الحقوق في القدس الى جانب ممارسة التعليم والعمل الصحفي. وانشأ جريدة حملت اسم "الجيل الجديد" صدر منها 23 عددا. خاض انتخابات مجلس النواب الاردني، وفاز عن مقعد رام الله واصبح نائبا في عام 1956 .
يذكر ان لجنة تخليد تراث كمال ناصر، وتأسست في العام 1974، اصدرت الاعمال النثرية والشعرية الكاملة لناصر واسطوانة لقصائده مسجلة بصوته .
وكتب المفكر العربي الراحل شفيق الحوت: "يصعب على من عرف ورافق وصادق كمال ناصر ، مثلما عرفته ورافقته وصادقته ان يصدق ان هذا الرجل قد رحل، وان هذه الدنيا التي كان شاغلها قد تحولت الى ورق وذكريات."
ومن اقوال ناصر الماثورة :"اما القيادات فتتغير.. واما الاشخاص فسيزولون.. وتبقى القضية اكبر من القيادات والاشخاص.. ولا بد من ان يذوب الجزء في الكل وان يذوب الكل في الثورة.. قبل ان تسقط الثورة كما فعلت في الماضي القريب.. الاجزاء التي لا تستحق الحياة."

جاء هذا الكتاب احتفاء بمرور 43 عاما على استشهاد القائد الشاعر كمال ناصر الذي كان يردد "لقد اخترت."

وقبل عامين، وبعد 41 عاما على استشهاد ناصر وزميليه، نشرت الصحافة العبرية تسريبات حول عملية "فردان". وبينت أن سفن سلاح البحرية نقلت الجنود الإسرائيليين إلى ميناء بيروت، ومن هناك وصلوا إلى الشاطئ بواسطة قوارب كوماندوس. ولدى وصولهم إلى الشاطئ بملابس مدنية كانت في انتظارهم سيارات محلية يقودها عملاء "موساد"، وقاموا بإيصالهم إلى الأهداف المختلفة لتنفيذها. وأوضحت الصحف أن في طليعة المنفذين كان إيهود باراك وعمرام ليفين، اللذان تنكرا بثياب نسائية.

واستشهد في العملية أبو يوسف النجار أول قائد عام لقوات العاصفة وعضو اللجنة المركزية لحركة "فتح" وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس اللجنة السياسية لشؤون الفلسطينيين في لبنان.

كما استشهد كمال عدوان، وهو أحد قادة حركة "فتح"، وعضو اللجنة المركزية للحركة، وعضو المجلس الوطني الفلسطيني، وكان مسؤولاً عن الإعلام في منظمة التحرير الفلسطينية، ومسؤولاً عن العمليات في إسرائيل والضفة الغربية. واستشهد ناصر الذي كان عضوا للجنة المركزية لحركة "فتح"، ومؤسس دائرة الإعلام والتوجيه في منظمة التحرير الفلسطينية، ورئيس دائرة الإعلام الفلسطيني والناطق الرسمي باسم "فتح."

وأكدت المصادر الإعلامية أن نحو 40 فلسطينياً استشهدوا في العملية، فيما أصيب أربعة من الجنود الإسرائيليين. وفي تفاصيل العملية، أن باراك تنكر بزي امرأة سوداء، في حين تنكر نائبه موكي بتسار بزي امرأة شقراء. وقاد باراك الجنود إلى داخل المبنى السكني ووصلوا إليه عند الساعة الواحدة وسبع دقائق بعد منتصف الليل .

وفي الوقت نفسه قامت قوة إسرائيلية أخرى بالتوجه إلى المقر الرئيس للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والواقع في مبنى مؤلف من 7 طوابق في شارع مركزي يعج بالمارة حيث دارت اشتباكات عنيفة وقام الجنود الإسرائيليون بزرع عشرات الكيلوغرامات من المتفجرات داخل المبنى، ما أدى إلى انهيار أجزاء منه. وغداة تنفيذ العملية، قررت قيادة منظمة التحرير في بيروت وقف نشاطها، وطلب قادة المنظمات الفلسطينية من جميع العناصر التفرق في أنحاء لبنان، وذلك بعد أن دخل مسؤولون من حركة "فتح" إلى مكتب الحركة في بيروت، واكتشفوا أن وثائق كثيرة مهمة قد اختفت من شأنها أن تؤدي إلى الكشف عن مجموعات فدائية في داخل إسرائيل والضفة الغربية.

الشاعر كمال ناصر: ذاكرة الشعر... ذاكرة الوطن..
بقلم الشاعر الناقد محمود حامد/ خاص مؤسسة القدس للثقافة والتراث (2012/3/25)

... كان مشروعاً حلماً، مشروع إنجاز ملفّ الشّعراء الفلسطينيين، لأهميته، وكذلك الشعر الفلسطيني، ليس لاستحالة المشروع، لأننا تجاوزنا بإيماننا كلّ مستحيلٍ، وقهرنا بصمودنا كلّ صعوبة تقف في طريقنا للوصول إلى غاياتنا وأهدافنا، ولكنّ الصّعوبة كانت تكمن فقط في تبعثر شعراء الوطن عبر خارطة وعواصم العالم، وتنائي المسافة بين تصوّر سهولة جمع ذلك الشّتات المتناثر فوق أرجاء الدّنيا بين يومٍ وليلة، وحقيقة أنّ ذلك شبه مستحيل، أو المستحيل بعينه، ولو بقينا واقفين عند حدود هذه الدّائرة الرّماديّة المغلقة لما تمّ إنجاز شيء من المشروع الكبير والعظيم لأهميته، وفرادة إنجازه، لذلك كان الإنطلاق عبر الخطوة الأولى لبدء تنفيذ حلم العمر الذي عاش في الذاكرة مختزناً زمناً طويلاً، ودائماً: تكون العثرة عند الخطوة الأولى – كيف نبدؤها!!؟ ومتى!؟! وبغتةً وجدنا أنفسنا قد تجاوزنا ذلك بعشرات الخطى للأمام، وأنجزنا ما تمنيناه، وها نحن نصل، بفضل الله وحمده إلى مشارف الحلقة الخمسين من المشروع / الحلم والذي بدأ يتحقق بما تمّ جمعه من فيض متناثر هنا وهناك من معلومات عن شعرائنا، وشعرنا، وبما تمّ إنجازه حتّى الآن على أرض الواقع، ويقين الحقيقة الرّائعة.. ذلك كله باقة من العمل الوطنيّ تقدمةً للحبيبة فلسطين، وتوثيقاً لشعرائنا وشعرنا، وثقافتنا الوطنية، وتأكيداً على حيويّة الفعل الإبداعي، والثّقافي وأهميته الفاعلة في إطارها العربيّ والإنسانيّ، وهذا يدلّ دلالةً واضحةً على أنّ حيويّة عملنا الوطنيّ عمل على تغطية الجبهات الفاعلة كافّة، لكي تغطي تلك الفعاليّة شؤون المجتمع العربي الفلسطيني كله، عبر المجموعات المتخصصة كافّة، كلّ في مجال عمله واختصاصه، وعلى امتداد الزّمن المتراصّ بحلقاته العديدة، والمتعدّدة، مع محاولة الرّبط بين تلك الحلقات منذ الفترة الأبعد المتمثلة بثلاثينات القرن الماضي، ولغاية الرّاهن المعاصر، والذي نعيشه بتفاصيله، وحيثياته المعقّدة، وتنافر رؤاه المتعدّدة المتضادّة، ولكن بالنسبة لنا: فالمشروع الوطني الفلسطينيّ واحد الغاية والأهداف: سيقضى في سبيل ترابها، وعندما نتناول شاعراً مناضلاً وشهيداً باسمه، ورمزه الوطنيّ، فإنّنا نضع الإعتبارات الأخرى كافّة في جانب، ونضع الاعتبار الوطنيّ في الجانب الأهمّ تأكيداً على: أهميّة الرّجل الوطنية والتي بلغ بها الذّروة أسوةً برفاقه – مناضلين وشعراء – عاشت فلسطين في وجدانهم قدراً وفي ضمائرهم عشقاً قاتلاً مميتاً بسطوته، وعذوبته، وضراوته، وفي حقائب سفرهم وغربتهم حفنةً من التّراب النّديّ، والحنين الطّاغي الجارف... حتّى عادوا إليها شعراء / شهداء، وشهداء خالدين ذهبوا بفلسفة الجسد المناضل في سبيلها حدّ الموت والفناء بها والذّوبان باسمها لدرجة الخيال، وعاشوا بفلسفة الفكرة والرّوح ليخلّدوها في أشعارهم وقصائدهم على امتداد الزّمان كلّه:

يا رافع الرّاية في أرضنا
كريمةً تموج بين الصّفاح

انزل على أوهامنا في الهوى
والبس به من كلّ صدرٍ ياسياً وثقافياً واجتماعياً وغير ذلك.

.... تلك مقدّمة لا بدّ منها في كلّ دراسة للتأكيد على وحدة هذا العمل المتكامل، ووحدة الرّؤى، وأهميتها تجاهه، وجديّة الإلتفات لمشروع ثقافيّ / إبداعيّ فلسطينيّ يبرز للدّنيا كلها القيمة التاريخيّة لذلك المشروع، وأهميته الحضاريّة، والتي تعود لعلاقة الفلسطينيين بوطنهم فلسطين منذ قديم الأزل، علاقة ثابتة، وليست عابرة، قائمة منذ آلاف السّنين، تمّ حفرها في عميق الثرى الفلسطيني، ووجدان

شعبه: بالدّم والشعر والشهداء، وآلاف الضحايا، والذين سقطوا في سبيل ذلك التراب، وتلك الأرض التي ما عرفت غير شعبها، وبنيها الأوفياء الذين عمروها وكانوا عمادها وحضارتها وتاريخها، وكينونتها المفردة فوق الوجود بما مثّلته من قيم وسلوكيّاتٍ عاشت وتعيش عليها على مرّ الزّمان.

*

شاعر دراستنا اليوم: كمال ناصر، أحد مناضلي الأمّة الطّليعيين، وشاعر فلسطين، وشهيدها، عاش فداء ترابها، وشاح

خلدت كالأهرام فاجلس على
سمائه في نشوةٍ وارتياح

الشّعب من حولك أنشودةٌ
تنساب في درب العلى والنّفاح

رأى بعينيك زماناً مضى
وحاضراً، عذب القرابين لاح

في كلّ جفنٍ أسدٌ رابضٌ
هذا أبو بكرٍ، وهذا صلاح

طلعت في دنياه عفّ الخطى
تختال في درب الأماني الفساح

كأنّما أنت شراييه
قد نبضت هدارةً بالكفاح

فانتفضي يا أمّتي واصدحي
اليوم يحلو في رباك الصّداح...

***

... أشياء كثيرة تكشفها قصيدة الشاعر كمال ناصر، والتي تحمل عنوان: - من وحي الوحدة – كتبها الشاعر بعد أن استمع إلى المذياع يعلن نبأ إعلان الوحدة بين مصر وسورية... ومطلعها:

... أشهى المنى، ما نبضت بالكفاح
في وحدةٍ كبرى، تلمّ الجراح
تومئ للدّنيا بأحلامها...،
وتزدهي بين القنا... والرّماح
طلائع الوحدة هذي، فقل:
تبارك الكبر بها، والسّماح

لمصر والشّام منها جناحٌ،
وللعلى والمجد منها جناح
ترفّ آمالاً على شعبنا
خفّاقةً... تخطر في كلّ ساح
*

1)فالأشياء التّي عبّرت عنها قصيدة: - من وحي الوحدة – تعبّر عن زمانها الاستثنائيّ في تاريخ العرب المعاصر، حيث تحققّ أعظم حلم في تاريخنا الحديث، بل والغابر أيضاً، بقيام أوّل وحدة حقيقية بين القطرين العربيين مصر والشام، نواةً لقيام الوحدة العربيّة الكبرى، فيما بعد، وظلّت الأحداث تنهش في جسد تلك الوحدة حتّى أتت عليها، وأرجعتها... ليس لعصر الحلم والأماني، ولكن لعصر الغياب القاتم والمستحيل.

2)الفترة الواقعة بين نهاية الخمسينات، وبالتحديد عام 1958 عام الوحدة، وللفترة الواقعة قبل نهاية عام 1967م عام أعظم نكسة في تاريخ العرب، تلك الواقعة بين عامي الطموحات القومية الهادرة الثورية، وانكسار تلك الطموحات جملةً وتفصيلاً في أعقاب نكسة 67م هي الفترة الأقوى، والأعمق نهوضاً وانبعاثاً ودويّاً وطنياً، ثم انطفأ وهج الأشياء كلها، ثم تحوّل الإنطفاء إلى رماد عاصف بعد ذلك غشّى المنطقة بأسرها بضبابه الرّماديّ، وما زالت الآثار تنعكس سلباً وهواناً على الوطن والأمّة للتّراكمات الهائلة التي تمضي بنا باتجاه العاصف المجهول، والذي يلهث ركضاً باتجاه الجحيم، والكارثة.

3) في موضوعة الشعر: ففي تلك الفترة المشرقة النّضرة من حياتنا عشنا رخاء الفترة الذهبيّة، ليس في موضوعة الشعر فقط، بل على امتداد الصّعد كافّة شملت شؤون الحياة والأمّة جميعها، ولعنف الفرح الطّاغي الذي هزّ جذوة الرّماد من جذورها، فإنّ الشّعر شهد مغناه الصّاخب الثوريّ المدويّ خلال فترته تلك، مع بريق الأسماء الطليعية التي لمعت من خلاله: يوسف الخطيب، سليمان العيسى، كمال ناصر، أبو سلمى، هارون هاشم رشيد، عبد المعطي حجازي، بلند الحيدري، بدءاً بالسيّاب ونازك الملائكة، وفدوى طوقان وما تلا من مراحل: كلّ فترةٍ وشعراؤها، حتّى كان العصر الرّاهن بهموده وانكساره، وأنينه الفادح، حيث العودة للتخبّط والبدايات النّاهضة من رمادها، إلّا استثناءات نادرة تحلّق خارج سرب الكارثة والفجيعة الرّاهنة المعاصرة.

4)لقد أخذنا الحماس آنذاك حدّ الدّهشة والجنون!! أحقاً نعيش عصر الوحدة والهبوب القوميّ الجارف!!؟ لقد بدا ذلك في أشعارنا، ونمط حياتنا، وأفراحنا الغامرة التي اكتسحتنا بكلياتنا التي انتشت لدرجة الثمالة، ثم صحونا بغتةً فيما بعد، على واقع آثم آخر.. لا علاقة له بحقب التاريخ كلها التي مرّت علينا... تدرجاً هائلاً: من العبودية والاستعباد، إلى الحريّة والإستقلال، إلى الهبوب القوميّ العابر، ثم آخر المنتهيات العابرة فخاخ العولمة الآثمة الهدامة، وكونيّة العالم الواحد ضمن قرية كونية صغيرة تبعثرت في خلاياها المسرطنة رائحة العفونة الحضارية السّاقطة، وتجرثم الوسط الكونيّ بسموم وجراثيم تقنيّة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، ومظهر حضاريّ خادع لأكذوبة الديمقراطية، والبنى الراقية لمجتمع معاصر تحت مظلة الفوضى والدّمار الكوني الشّامل على يد مجرمي العصر، ومخربيه، وطغاته المارقين.

5)كان الشعر مثل زمانه الهادر، وزخمه الجماهيريّ الحادّ، مع دويّ متفجر على الأصعدة كافّة، مع تميّز مثير في نوعية العطاء، وعلاقة الشعر بالجماهير، وحركة الحياة بفورتها السّاخنة جداً والتي منحتنا خلطةً شعريةً خاصّة، ظلت نكهتها متميزة من قبل الشعراء جميعهم والذين شكّلوا صوت جيلهم

وزمانهم بقوة إبداعهم ومن خلال المواضيع كافّة التي تطرّق إليها الشعر والشعراء.
وكما لاحظنا سطوة البناء الدرامي الفاعل في قصيدة: من وحي الوحدة، والفرحة الهادرة في أبيات القصيدة، وعبقها الدّاخلي الجارح حدّ النّشوة، فالبناء الدرامي، وعمق المغنى الشعريّ الحزين، وقوة السّبك، ورهافة المعاني الجادّة في قصيدة: - جرح بغداد، يخلق هذا نشوةً من نوع آخر، نشوة الإستمتاع بالشعر مع حدّة الحزن والذّهاب بالنشوة حدّ البكاء، وهنا تبرز قدرة الشاعر في صياغة القصيدة بمواضيعها المتعددة بروعة ممكناته التي تحملها تشكيلها الخاص بها: الإلهام، الذهنية الشعرية، ثقافة الذّات وثقافة الحياة، ورؤىً تكشف عن عمق فلسفة الشاعر في نسج قصيدته التي تبسط جناحيها على أجناس القرّاء كافّة، ومن جميع طبقات الشعب والتي عاشت زمانها طفرةً طارئةً رائعةً، ما تكرّرت، ولن تتكرّر أبداً... هكذا يقول لسان الحال، لذا فالقرّاء العرب دائماً يلجون إلى الماضي لاستنباط جمالياته، وذكرياته الخالدة، المفتقدة الآن حدّ الوجع... وجرح بغداد كأنما هو حدثٌ... صاغه حدس الماضي برؤية الآتي بتلك الرؤية الشعرية الثاقبة التي تراءى لها الزّمان نقطةً صغرى في محيط كينونة الدّهر، تماماً مثل – الفلاشة المعاصرة – على صغرها، فإنها بحر من المعلومات المخزنة لا أوّل لها، ولا آخر، وبالعودة لجرح بغداد، فإن صوت كمال ناصر يخترق الزمان، ويضعنا في الستينات أمام موضوع ساخن يحدث الآن:

لا تقل هان على الجرح الدّم
لم يزل للجرح قلبٌ وفم
كلّما أرهقه البطش نزا
بالبطولات... وصاح انتقموا
نحن لم نبخل على تاريخنا...
مذ صحا في مقلتيه الحلم
دربنا، ملعبنا الحرّ فلن
تهرم الشمس به... والأنجم
الجراحات بدنياه رؤى
حالماتٌ، والضّحايا بلسم
دربنا بغداد، هل يسمعني
في ذرا بغداد صمتٌ أبكم!!؟
فدعي الثأر يلبّي ثأره
فالدّم المهراق يمحوه الدّم
والبطولات جراح صمدت
شمماً ينضح منها الشّمم
والميامين على ثغر الرّدى
تتلهّى، والرّدى يحتدم
قممٌ للمجد لم يخشع بها
كبرها، يوم نمتها القمم
فكأنّ الموت في ملعبها
حاسر الطّرف غدا يسترحم
للعلى بغداد، للمجد الذي

حلمت فيه الذّرا والقمم
نحن عمّقنا أسانا ثورةً
ألهمتنا فمضينا نلهم
وسنبني الوحدة الكبرى بها
(وسيبقى الشعب فيها الهرم)
*
نحن يا بغداد جرحٌ واحدٌ
سال من وثبتنا يقتحم
ألف لبّيك... وما عزّ الفدا
كلّنا من دونه المعتصم
منطق الوثبة أن نجني المنى
والمنى... شعبٌ، وقلبٌ، ودم
*

.... لقد أثبتّ هنا غالبيّة هذا النّشيد الملحميّ، والذي عشته بنفسي في ستينات القرن الماضي، مع الملايين التي تغنت به من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر: نشيدٌ ملحميّ واحد، وهدير أمّةٍ واحد، وجرح واحد، وزحف وحدويّ واحد، وأملٌ واحد برق لمرّة واحدة، ثم بعد ذلك خبا وانطفأ، فلا محيط هادر، ولا خليج ثائر، ولو وعينا منطق هذا النشيد الملحميّ الخالد، لكنا الآن على حال غير هذا الحال البائس، نحن أمّة لا تقرأ، وتنسى، ومذ عافنا المجد غدونا هباء.

وكما كان الشعر – آنذاك – نشيداً هادراً يبثّ في الملايين حماسها وغضبها، ظلّت قصائد النكبة والمأساة قائمةً لدى شعراء فلسطين والعروبة، تذكّر بما جرى، وتعيد جرح النفوس إلى البدايات لتعي الأجيال عمق الفاجعة، وتخطّ طريق ثأرها وعودتها بروعة الإصرار، وعمق الجراح التي في النّفوس، وها هي قصيدة حرمان تبرز جانب الوجع والألم لدى الشاعر، وهو يمثل نبض أمته وشعبه في إرهاصات الألم والأمل في كيانه:

أيّها الشّاطئ الجريح بصدري
لا ترفرف بالعجز في مقلتيّا
لست أقوى على المجيء إليّا !!؟
بيننا اليوم هوّةٌ من عذابٍ
فغرت شدقها ضلالاً وغيّا
عمّق الشّوق جرحها في خيالي
وأراها تميد شيّاً، فشيّا!!
كيف نجتازها، وأنت جناحٌ
سرقته الأقدار من جانحيّا!؟!
*
أيّها الشّاطئ المشوق إليّا
أنا أهواك باكياً مبكيّا...
فكلانا في البال حلم نبيٍّ
مات في أرضنا... ليبقى نبيّا

ومصيرٌ على جراح الأماني...
وسنمضي له... سويّاً... سويّا!!!
*
كم شفّت العبارة عند أولئك الشّعراء الطّليعيين، وكم رقّت المعاني، واتّسعت الأفكار... لتصل باتّساع مدّها للقرّاء جميهم، وكم كان السّبك قويّاً، ومحكماً، حيث أدركت الفترة أنّها تعيش عصر شعرائها الحقيقيين المبدعين، والّذين سيكونون – فيما بعد – المدرسة الشعريّة الأهمّ للأجيال القادمة، مدرسة ثورة الشعر على نمطية تالية لشعرنا العربيّ الأصيل، والنهوض لإبداع معاصر يواكب ثورة العصر في تقنياتها، وفلسفة وجودها، وحراكها الثقافيّ الجديد، كمال ناصر واحد من شعرائنا المجدّدين، ومن الرّعيل الأوّل، والذي ساهم مع بقيّة شعراء الطليعة المثقفة في إرساء دعائم حراكنا الشعريّ الرّاهن قيمةً وخلودا.
ولا بدّ لنا من الوقوف على سيرة هذا الشاعر الشهيد الرّاحل، للوقوف: تذكرةً، وعبرةً على جزء من سيرتنا الوطنية المتمثلة برجالها وشعرائها وشهدائها وأنبياء أمّتها الخالدين:
الشاعر كمال ناصر
ولد في الربيع... وقضى فيه!!؟
-ولد الشاعر: كمال ناصر في غزّة هاشم، وكان مولده في العاشر من شهر نيسان عام 1924م، وقيل 20 نيسان 1925... أصل عائلته من بلدة: بير زيت في الضفة الغربيّة.
-درس في كلية – بير زيت – التي أسّستها خالته: (نبيهة ناصر)، وكان متفوقاً في المباريات الشعريّة... التحق بعد ذلك لإكمال دراسته في الجامعة الأميركية في بيروت، ودرس فيها العلوم السّياسيّة، وتخرّج منها عام 1945م.
-عيّن بعدها مدرّساً في مدرسة – صهيون – في القدس، ثم بدأ آنذاك يكتب في صحيفة الوحدة.
-ثمّ عيّن سكرتيراً لتحرير صحيفة – فلسطين – وبعد ذلك بفترة أصدر مع عبد الله الرّيماوي صحيفة (البعث)، وشارك – فيما بعد 0 بإصدار مجلة: الجيل الجديد.
-انضمّ للبعث عام 1954، وأصبح نائباً في البرلمان الأردني عام 1956م.
-التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية بعد هزيمة حزيران عام 67م، وانتخب عضواً في اللجنة التنفيذيّة للمنظمة عام 1969م، وتسلّم مسؤولية الإعلام فيها، وبهذه الصّفة... أصبح النّاطق الرّسمي – باسم المنظمة - .
-أصدر العدد الأوّل من مجلة (فلسطين الثورة) بتاريخ 1972/6/28م.
-اغتالته إسرائيل في بيروت بتاريخ 1973/4/10م.
-مؤلفاته الشعريّة:
1)بواكير.
2)خيمة في وجه الأعاصير.
3)أنشودة الحقد.
4)جراح تغني – دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت /ط1/ آذار 1960.
5)أغنية النهاية.
6)مسرحية (الصّح والخطأ).
... هي الذاكرة التي تحفظ تاريخ ثقافتها الحيّ وتوثّق شعرها وشعرائها، والدراسة هذه لكمال ناصر.

الشهيد القائد الرمز أبو يوسف النجار

سيرة مقاتل شجاع
بقلم جيفارا سمارة

ولد محمد النجار "أبو يوسف" في 11 نيسان 1930، في قرية يبنة قضاء الرملة، وأتم دراسته الابتدائية فيها، لينتقل بعدها إلى الكلية الإبراهيمية في القدس حيث أنهى دراسته الثانوية.

بعد ذلك عاد إلى مسقط رأسه ليعمل مدرسا حتى اضطرته النكبة عام 1948 إلى ترك قريته والنزول في حي الشابورة في معسكر رفح للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة، وفيه عمل محمد يوسف النجار في سلك التربية والتعليم حتى 1956.

عرف أبو يوسف في معسكر رفح وفي القطاع عامة بمواقفه الوطنية، واعتقل لأول مرة أربعة أشهر سنة 1954 بتهمة قيادة إحدى المظاهرات طالب فيها بالتجنيد الإجباري للشبان الفلسطينيين.

واعتقل ثانية في آذار سنة 1955 لقيادته إحدى المظاهرات احتجاجا وشجبا لمشروع التوطين في شمالي سيناء الذي حاولت وكالة غوث اللاجئين تنفيذه، وينسب إليه حرق مخازن الأونروا وهو صاحب شعار (ولعوا النار في هالخيام وارموا كروتة التموين)، وطالما حذر من أن "تصبح القضية الفلسطينية مجرد كيس من الدقيق أو عدة أرطال من السكر والزيت والأرز.

غادر أبو يوسف قطاع غزة على متن مركب شراعي سنة 1957 إلى سورية ومنها توجه إلى عمان، وانتقل بعدها للعمل في دائرة معارف قطر .

يعتبر النجار، قائدا مؤسسا وصاحب معظم المنطلقات والأهداف الحركية، وانتخب عضوا في اللجنة المركزية للحركة منذ تأسيسها عام 1965وفي سنة 1967 تفرغ نهائيا لحركة فتح.

انتخب محمد يوسف النجار في الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني، الذي انعقد في القاهرة عام 1969، عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا لحركة فتح، واختير رئيسا للجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان، وكان يدعو إلى تجنب المظاهر والتصرفات التي قد تسيء إلى العلاقات الفلسطينية اللبنانية.

وفي الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة من 6- 1973/1/12، جددت عضويته في اللجنة التنفيذية للمنظمة، وأسندت إليه رئاسة الدائرة السياسية فيها.

شارك أبو يوسف في الكثير من المؤتمرات والندوات العربية والدولية، وكان يؤكد دائما رفض الشعب العربي الفلسطيني قرار مجلس الأمن 242 وإصرار المقاومة الفلسطينية على القتال حتى النصر، ويطالب الدول العربية والصديقة بزيادة دعمها ومساندتها للثورة الفلسطينية.

أبو عمار وأحمد الشقيري وأبو يوسف

ومثل فلسطين في مؤتمر وزراء الدفاع العرب في القاهرة، وقاد وفد فلسطين في المؤتمر، وفي المؤتمر الإسلامي الرابع، الذي عقد في ليبيا من 24-1973/3/26، ترأس محمد يوسف النجار الوفد الفلسطيني.

أبو يوسف وأبو مازن محمود عباس

ويقول رئيس المحكمة الحركية لحركة 'فتح' رفيق النتشة، لـ'وفا'، 'إن ما يمثله أبو يوسف النجار من عقل سياسي واع وعقلية عسكرية فذة، أوجعت الاحتلال الإسرائيلي في أكثر من مناسبة، جعلت من الشهيد بالنسبة للاحتلال هدفا رئيسيا يجب التخلص منه.'

وفي ليلة العاشر من نيسان لعام 1973، نسفت مجموعة من الموساد الإسرائيلي مدخل شقة الشهيد، ليقتحموا المنزل حيث كان الشهيد نائما في غرفته مع زوجته رسمية النجار (ابنة خالته)، التي حاولت أن تحميه من وابل الرصاصات، واستشهدا معا، فيما تمكن بكرهما يوسف من الهروب إلى المنزل المجاور عبر نافذة غرفته.

ويضيف النتشة 'لقد تمتع أبو يوسف بديناميكية وحيوية أكسبته حب واحترام الجميع، فلم يكن محمد الإنسان يقل أهمية عن محمد السياسي والعسكري، فقد كان رحمه الله موضع إعجاب واحترام كافة أطياف العمل السياسي والعسكري الفلسطيني.'

ويتابع 'كان الشهيد من أوائل الرجال الشجعان الذين تفرغوا للعمل العسكري، بعد تركه لمهنة التعليم في قطر، ليلتحق بصفوف قوات العاصفة مع الرئيس الراحل أبو عمار، وأبو صبري، وأبو إياد....وغيرهم الكثير من الشهداء والأبطال.'

وقال: 'أما على صعيد العمل السياسي، فقد كان الشهيد، من أكثر الناس حرصا على الوحدة الوطنية، ومن أوائل من طبقها سواء بتوحيد الجهود التي شكلت حركة فتح في الستينات، أو بجهود الوحدة الوطنية ما بين الفصائل والتنظيمات الفلسطينية الأخرى.

لم لا يعرفون أبو يوسف النجار
كتب هشام ساق الله

الشهيدين أبو يوسف وأم يوسف رسمية أبو الخير

هناك كثيرون لايعرفوا بان ابويوسف النجار شهيد اللجنه المركزيه لحركة فتح هو القائد العام لقوات العاصفه وأحد أهم القاده العسكريين لحركة فتح الذي قاد مئات العمليات العسكريه والاستشهاديه

كان مسئول الساحه اللبنانيه ورجل العلاقات مع كافة عناصر الحركة الوطنيه اللبنانيه والذي وضوع اسس تلك العلاقات والتي جنت ثمارها حركة فتح فيما بعد وشكلت الداعم والرافع لحركة فتح بالتواجد على الساحه اللبنانيه كما انه رحمة الله عليه كان رجل فكر ومواقف سياسيه ثاقب وصاحب راي لايشق له غبار.

والشهيد ابويوسف النجار قاد مجموعات وقوات حركة فتح بالاردن وكذلك في لبنان وكان رجل يجمع بين الفكر العسكري المسلح والموقف والفكر السياسي وكان ذو عقليه مميزه وصاحب موقف شجاع وقوي حتى انه اتهم بتشكيل مجموعات ايلول الاسود التي قادت هجمات ضد الاحتلال الصهيوني داخل الوطن المحتل وخارجه بعد احداث ايلول الداميه ..

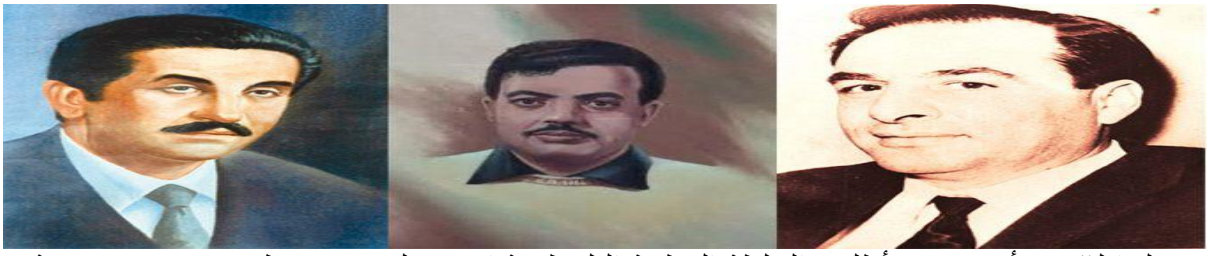

وتخليدا لذكرى أبو يوسف أطلقت السلطة الوطنية الفلسطينية اسمه على مفترق طرق رئيس في مدينة غزة وعلى أحد المشافي في مدينة رفح.

أما د. خير الدين عبد الرحمن فيضيف: كان الأخ والصديق الشهيد أبو يوسف قائداً عاماً لقوات العاصفة في مرحلة مبكرة ، كما تولى لفترة مهام مفوض الرصد الثوري ، وتولى لفترة أخرى مهام المفوض المالي المركزي .لقد جرى طمس كثير من حقائق ثورتنا ووقائع تاريخها ، بقصد أحياناً وبغير قصد أحياناً ، في سياق طغيان قولبة أسهمت في توليد حاضرنا المأساوي.

اللواء الركن عرابي أبو كلوب: اختيرعضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح منذ العام 1963م واستمر فيها حتى استشهاده عام 1973م وقد شغل منصب المفوض المالي وأسندت إليه القيادة العامة لقوات العاصفة وقيادة عملية الانطلاقة في 1965/1/1م

أبو يوسف: حياته، مسؤلياته، ومعتقداته السياسية
بقلم المؤرخة الكبيرة بيان نويهض الحوت

عندما يرحل القادة السياسيون عن هذه الدنيا، يكون العزاء لذويهم ورفاقهم وشعوبهم، أنهم لابد وأن يكونوا قد تركوا وراءهم إرثاً من الكتابات والتصريحات والخطابات، بحيث يسهل على الكتّاب والباحثين أن يؤرخوا سير حياتهم، وأن يخلّدوا أفكارهم.

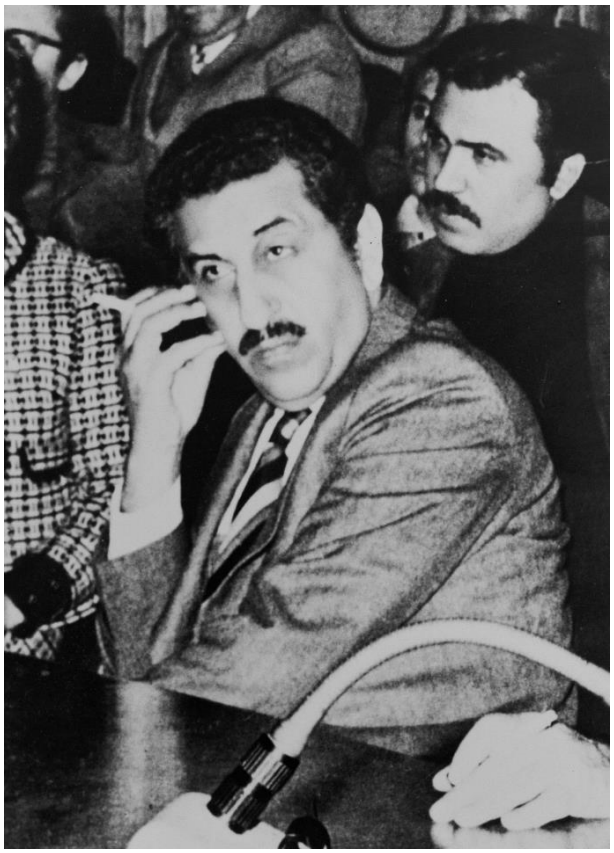

أحياناً.. كلما كثرت الكتابات والتصريحات، كلما كان جمعها ونشرها أصعب، ذلك أن القائد السياسي لم يكن يخاطب التاريخ أو الأجيال القادمة في كل كلمة قالها، وفي كل موقف تبناه. القائد السياسي هو الرجل الذي يتكلم –عادة عندما يتكلم- عن أمور الساعة، ويُعلّق على آخر الأحداث السياسية، فكثيراً ما تصدر عنه أقوال لم تكن لتصلح إلا لأحاديث صحفية عابرة، وبالتالي لاستهلاك آني، ومثال على ذلك، أن يكون في كلامه دبلوماسية مرنة لا تفصح تماماً عما تريد، أو أن يكون هناك تغطية لموقف دولة ما أو فئة ما، وقد فرضت عليه الظروف النضالية والمصلحة الثورية تلك التغطية، فلجمت لسانه عن قول الحقيقة كاملة في ذلك الموقف وتلك الساعة.

وعلى العكس من صعوبة كثرة الكلام بالنسبة للباحثين تكون قلته، السياسي ما يتمنى في حياته أن يقول أشياء وأشياء، وأن يفصح عن أسرار وأسرا، ولكنه لا يستطيع فعل ذلك عندما لا يكون من المصلحة الثورية بشيء أن يفصح عن تلك الأشياء وتلك الأسرار، فيبقى متحفظاً بما يعرفه لنفسه، ومنتظراً قدوم أحداث أو زمن يمكنه من الحديث. إلا أن الزمن قد يفاجئه، فتغتال حياة هذا القائد بضع رصاصات. تنهي حياته، وتنهي الأشياء والأسرار معه.

وتزداد الصعوبة أكثر فأكثر، حين يكون القائد السياسي قليل الكلام، لا بسبب الظروف السياسية وحدها، وإنما أيضاً بسبب انغماسه في المسؤوليات النضالية، الشاملة منها واليومية، إلى درجة ينسى فيها مشكلاته الخاصة، كما ينسى مشكلات التاريخ والمؤرخين. هو لا يفكر إلا بانتصارات جزئية يحققها على طريق النصر البعيد. وهذا القائد الحقيقي لا يفكر بنفسه على الإطلاق وهو على قيد الحياة، فكيف يفكر بنفسه إن هي غادرتها الحياة. كيف يفكر لماذا سيكتب عنه، كيف يفكر بمن سيكتب عنه، وماذا يهمه من كل هذا أصلاً، وأهدافه الحقيقية هي استمرارية النضال من أجل النضال لا من أجل الخلود.

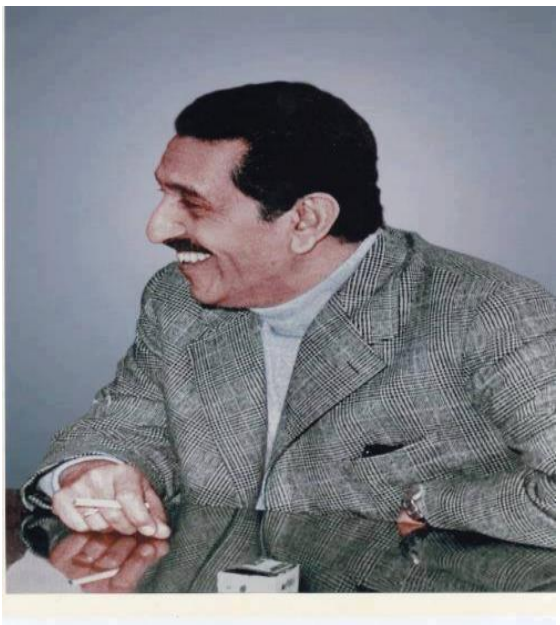

هذا النوع الثالث من القادة السياسيين، يجعل مهمة تسجيل حياته وأفكاره أمام الباحث أو المؤرخ مهمة شاقة إلى أبعد الحدود، والصعوبة والخوف في ألا يكون هناك في إرثه المحدود، والمبعثر هنا وهناك، ما يكفي ضمانة للحفاظ على فكره السياسي، وعلى جوهر معتقداته، وعلى معدن شخصيته.

إلى هذا النوع الثالث من القادة السياسيين ينتمي القائد الشهيد، والمناضل الكبير "أبو يوسف" واسمه المعروف عنه "أبو يوسف" أكبر بكثير من ألقابه ومناصبه، أكبر من حياته، وأكبر من استشهاده، عرفه الناس ويعرفونه "بأبي يوسف"، هم يكتفون بذلك، فقد أصبح الاسم رمزاً.

إن تاريخ النضال الفلسطيني المسلح الذي عشناه ونعيشه في هذه السنوات، عندما يكتب غداً، وعندما يكتب بجهد ودقة وأمانة، سيظهر اسم "أبو يوسف" من بين القادة الذين كانوا حقاً قادة، والذين تفخر الأمة العربية –لا أبناء فلسطين وحدهم- بميلاده وحياته واستشهاده.

لقد أجريت حديثاً مع القائد أبي يوسف قبل استشهاده بحوالي خمسة أشهر، وبالتحديد في بيروت: 21 نوفمبر 1972. من الساعة السادسة إلى الساعة الثامنة والنصف مساء.

القيمة التاريخية لهذا الحديث في أنه لم يكن حديثاً صحفياً عابراً، كان حديثاً الهدف من ورائه دراسة علمية وموضوعية للفكر السياسي لقادة المقاومة، وهذه الدراسة التي لم تصدر بعد، كان جميع القادة الذين قابلتهم يعرفون طبيعتها، ويعرفون أن الحديث أولاً وقبل كل شيء لن ينشر إلا بعد مرور سنوات، ومن خلال دراسة شاملة لقبادة المقاومة، ولذلك فالصراحة كانت الأساس.

أحياناً، كان بعضهم يؤكد على عدم نشر جزء معيّن من حديثهم –ولو بعد سنوات كما هو المفروض- وأنا كنت أقدر هذه الثقة التي منحوني إياها، وسوف أبرّ بوعدي لهؤلاء، إلا إذا عادوا هم أنفسهم وأقروا "رفع الحماية". وهنا أود أن أسجل بكل أمانة أن الأخ أبا يوسف كان من الذين لم يترددوا لحظة في الإجابة على أي سؤال. وأكثر من ذلك، كان من القلائل الذين تحدثوا عن أمور غاية من الأهمية، من تلقاء أنفسم.

واليوم، وقد مضى على رحيل القائد الشهيد "أبي يوسف" عام كامل، رأيت من واجبي أن أنشر قسماً من حديثه وآرائه ومعتقداته السياسية، كما أنشر سيرة حياته كما رواها لي بنفسه، ولن أحذف من حديثه سوى الإجابات التي لا تكتمل فائدتها إلا حين نشرها ضمن إجابات الرفاق الآخرين.

حياته:

وُلِد محمد يوسف النجار في قرية "يبنى" في فلسطين عام 1931. وقد عاش في ثريته طالباً حتى الصف السابع الابتدائي، فانتقل إلى كلية الثقافة وتخرج منها علم 1946، ثم عاد إلى قريته مُدرساً. ولم

من اليسار لليمين: الشهداء أبو الهول عبد الحميد هايل وأبو يوسف النجار وأبو إياد صلاح خلف

يطل به المقام أكثر من عام واحد حتى حلّت النكبة، فهاجر مع ذويه إلى قطاع غزة، وهناك مارس التعليم أيضاً ولغايةعام 1956 .

ينتمي "أبو يوسف" إلى عائلة قروية، ولكن عائلته كانت كبيرة العدد، وتحسب لها بقية العائلات حساباً، فقد كانت هي أقوى العئلات في المنطقة. وسر القوة التي تمتعت بها عائلته لم تنتج عن مال وفير، ولا جاه كبير، ولا حسب ونسب، سر القوة كان تعداد العائلة كما في اندفاعها الوطني وتضحياتها، لقد كانت قوة سياسية بمفهوم القوى والتحركات السياسية في القرى، أثناء الانتداب البريطاني.

من الحوادث التي لا ينساها محمد النجار وقد كان صغيراً، دخول الانكليز إلى قريته "يبنى" وتفتيشهم بيوت العائلة والقرية بيتاً بيتاً بحثاً عن عمه وأبيه، ويا ويل البيت الذي لا يفتش، فهذه دلالة على خيانة أهل البيت. لم ينس محمد الصغير –وقد كبر وأصبح مناضلاً وقائداً- هذه الصورة. لقد حددت له منذ طفولته انتماءه إلى شعب معذب ومظلوم، أبوه لم يلق عليه تعليمات في الوطنية وحب الجهاد، وقد كان في غنى عن ذلك. عائلته كلها، قريته كلها، فلسطين كلها، كانت تغلي حقداً على الصهيونية والانكليز، فكان "أبو يوسف" ابن القرية المناضلة نتاجاً طبيعياً لبيئته، ومثلاً من آلاف الأمثلة التي عاشها حقاً أبناء جيله.

إلا أن أن "أبا يوسف" لم ينس صورة الجنود الانكليز منتشرين في "يبنى"، ولم ينقطع عن النضال، وأعني بالنضال هنا، النضال الشامل فكراً وروحاً وعملاً، والنضال الخاضع بطبيعة الحال إلى الظروف المحيطة به والامكانيات المطروحة أمامه.

عاش محمد النجار مع ذويه في معسكر للاجئين في رفح منذ عام 1948 إلأى عام 1956. وهناك لم يعش آلام شعبه وأحزانها فحسب، كان جزءاً من تلك الآلام والأحزان. والانسانية العظيمة التي تحلى بها "أبو يوسف" لم تجعله يحمل من ذكريات حياته في المخيم مجرد صور الحقد والمرارة، وبالتالي، لم

تجعله يصنف الذين عاشوا في المخيمات درجة فوق الذين لم يعيشوا فيها. ولم يكن يفاخر أصلاً بتلك المرحلة من حياته كما يفعل الآخرون أو بعضهم، وكأنهم في حياتهم تلك، في صبرهم عليها مكرهين، قد أدوا قسطهم إلى العلا، ودفعوا ضريبة النضال كاملة.

إن هذا النوع والأسلوب في التفكير بعيد كل البعد عن طبيعة "أبي يوسف". هو من النوع الذي لا تؤثر عليه تصنيفات الناس الاجتماعية والطبقية. ومعتقداته الوطنية لا تفرق بين فلسطيني وفلسطيني إلا بالنضال.

عندما كان شاباً في فلسطين، كان يتقد وطنية وحماساً وشباباً، ولم يضره للحظة، ولم يفكر للحظة بنقص في نفسه لكونه لا ينتمي إلى العائلات ذات الوجاهة، والتي كانت مسيطرة على مقاليد القيادة السياسية يومذاك.

وعندما أصبح معلماً ولاجئاً في معسكر للاجئين، وعندما أصبحت المسألة معكوسة، وأصبح الانتماء الفلسطيني إلى المخيم هو الانتماء المشرف والمفضل، وأصبحت "العائلية" ذكرى من ذكريات التاريخ القريب، لم يشعر للحظة بالفخر والاستعلاء على الآخرين. إن قيمة الانسان الحقيقية برأيه هي أعماله، وأما العائلية والظروف الاجتماعية مثلاً، فليست مجالاً لا للشعور بالنقص، ولا للمباهاة.

وتزوج محمد النجار في غزة، وأنجب في حياته ستة أبناء، وقد تحدث عنهم جميعاً بحنان أبوي كبير، إلا أن سعادته الكبرى كانت عندما تحدث عن ابنته الكبرى "حكمت" وقد أصبحت تلميذة جامعية.

ولم تكن غزة هي المسرح الأول لحياته السياسية، فهو لكا كان في السادسة عشرة، كان سكرتيراً لمنظمة النجادة، كما كان سكرتيراً لنادي الاتحاد في قريته "يبنى".

وفي عام 1951 انتمى إلى "الإخوان المسلمين"، وبقي معهم لغاية 1958، وقد كان مسؤولاً في قطاع غزة.

اعتقل "أبو يوسف" لأول مرة ولمدة أربعة أشهر في عام 1954 في غزة، وكان السبب أنه طالب بالتجنيد الإجباري في إحدى المظاهرات. وبقي في غزة حتى العدوان الثلاثي عام 1956، إذ اضطر إلى الخروج من القطاع على الرغم منه، فقد مُنع من العمل، فاضطر إلى السفر بواسطة مركب شراعي. وصل إلى عمان وبقي فيها بضعة أشهر، ثم انتقل إلى الخليج العربي، حيث عمل أستاذاً في وزارة المعارف في قطر طوال عشر سنوات متواصلة، من عام 1957 -1967.

وكان من الطبيعي أن يفكر "أبو يوسف" ورفاقه بتشكيل نواة عمل فلسطيني، إلا أن هذا لم يرق "للإخوان المسلمين"، ففصلوه بعد أن اشتغل "فلسطيننا".

الشهداء كمال عدوان وأبو يوسف النجار وأبو عمار

ومنذ عام 1967 تفرغ كلياً للنضال في حركة "فتح"، لقد أصبحت الحركة تحتاج إلى تفرغ القادة المخلصين من أبنائها، وبقي حتى استشهاده في ليلة فردان، ليلة 9-10 نيسان 1973، بقي كما كان منذ بداية انتمائه للحركة، مناضلاً مؤمناً، لا تزعزع إرادته تقلبات الأحداث.

من مميزات "أبي يوسف" أنه لم يجعل من النظريات الثورية، والسياسية عامة، هاجساً من هواجس حياته، لم يكن يهمخ أبداً أن يلقب بالمفكر المبدع، أو صاحب النظريات العبقرية. كان همه الأوحد استمرارية النضال، وتجميع كل القوى على طريق النضال.

إن سيرة حياته، نضاله، علاقاته مع الرسميين من الملوك والرؤساء والمسؤولين العرب، علاقاته مع العناصر والأفراد من المقاتلين، كلها تشهد بأنه كان من القادة القلائل الذين أتقنوا المعادلة الثورية الصعبة، ما بين الفكر والممارسة.

وأما عن محاولات اغتياله، فلم تكن محاولة فردان هي الوحيدة. لقد تعرض "أبو يوسف" لأكثر من محاولة اغتيال. وقد كان من المفروض أن تكون أحدى هذه المحاولات في اليوم الذي تمت فيه هذه المقابلة، إلا أنه كان قد اكتشف خبرها مقدماً، فأرسل كميناً للمجرمين بالقرب من فندق الريفييرا، تمكن من القبض على المجرمين بالحيلة. وقد نشرت الصحف في اليوم التالي نبأ هذه المحاولة الفاشلة. وإن تدلنا هذه الحادثة على شيء، فتدلنا على رباطة جأش المناضل والمسؤول. كان بإمكانه إلغاء موعد المقابلة مثلاً أو تأجيله، ولكنه لم يفعل ذلك، ولم يحدثني على الإطلاق عما يجري قرب الريفييرا في تلك الساعة، إلا عندما سألته عن تعرضه خلال حياته للاعتداء أو الاغتيال.

إلا أن المحاولة التي لا يمكنه أن يتحدث عنها لأي إنسان، فهي محاولة فردان. هذه المحاولة الآثمة قد نجحت. أضافت إلى سجل شهدائنا شهيداً وشهيدة. رحلت عنّا "أم يوسف"، ورحل "أبو يوسف"، ولكن ترك "أبو يوسف" لأمته العربية التي آمن بها ثلاثة أشياء:

- ترك لها سيرة حياته، وهي نموذج للانسان العربي الفلسطيني المناضل بإيمان وإرادة جبارة، وكأنها إرادة شعب بأسره، لا إرادة فرد واحد.
- ترك لها آثاراً فكرية، من تصريحات وقابلات ومحاضرات وندوات في المخيمات. إن هذه الآثار وإن تكون محدودة بالنسبة إلى قائد كأبي يوسف، إلا أنها كافية – كما أتصور- لإنصاف هذا الرجل الذي كانت قيمة فكره السياسي أعمق بكثير مما يتصور البعض.
- ترك لها أعملاً سياسية جبارة، كان لها الأثر الفعال في تطوير حركة المقاومة الفلسطينية، إنما لن يقدر لهذه الأعمال أن يكتب عنها، إلا بعد مرور الزمن الطويل، وذلك لعلاقتها بالأحياء من أبناء الثورة، كما لعلاقتها بحياة هذه الثورة.

مسؤولياته السياسية

من إيجابيات ثورتنا أنها بطبيعة نشأتها وتكوينها ومسيرتها قد قضت على الألقاب والمناصب، كما قضت على الحواجز ما بين القادة والأفراد المقاتلين. لذلك فنحن هنا نسجل المواقع الثورية التي احتلها "أبو يوسف"، ونسجلها بالطبع كمسؤوليات، لا كألقاب.

هو أحد المؤسسين الأوائل في حركة "فتح".

هو أحد الذين كانوا إلى جانب القائد العام للثورة الفلسطينية الأخ "أبي عمار" منذ البداية، وحتى استشهاده. وقد روى الأخ "أبو عمار" في ذكرى فردان، لأصدقاء كانوا من حوله، أن "أبا يوسف" كان من الذين وقفوا إلأى جانبه وبدون تردد في لحظات القرار الحاسم، قرار البدء بالكفاح المسلح في اليوم الأول من عام 1965. لقد كان البعض متردداً وقلقاً بالنسبة لخطورة الحدث المقبل، وأما "أبو يوسف" فكان من الذين لم يعرفوا التردد في حياتهم.

كان يقرر وينفذ. لا يتكلم ولا يدعي. ذلك الرجل هو "أبو يوسف".

مسؤولياته النضالية والرسمية كانت:

عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية

عضو اللجنة المركزية في حركة فتح

ورئيس اللجنة السياسية لشؤون الفلسطينيين في لبنان

تلك هي المسؤوليات الرسمية، أما غير الرسمية، فهي المسؤوليات الجسام التي ما آن الأوان للحديث عنها، وهي التي من أجلها تسلل إلى بيته في الظلام هؤلاء القتلة المجرمين.

كان الأعداء يعرفون عن "أبي يوسف"، أكثر مما كان أبناء شعبه يعرفون.

أضواء على معتقداته السياسية

- أيه التسميات أفضل برأيك للنضال الفلسطيني المسلح الذي نعيشه اليوم؟ عمل فدائي؟ أم حركة مقاومة؟ أم ثورة؟

- أفضل برأيي "حركة مقاومة" لا ثورة. والسبب أن الظروف التي تعيشها المقاومة الفلسطينية لا تتوافر فيها شروط الثورة ومعانيها، ثم هناك الظروف الموضوعية التي تحدد من الأساس طبيعة المقاومة. إن شعبنا عاش معظمخ في الخارج منذ عام 1948، وبعد عام 1967 أصبح

أبو يوسف النجار مع ياسر عرفات وخالد الحسن

جزء كبير منه تحت الاحتلال المباشر. لا شك في أن هذا الاحتلال يحتاج إلى مقاومة على كافة المستويات، ولكنه في الداخل نظراً لتشبث العدو، وعدم إمكانية إشعال جماهيرنا في الداخل لتلتقي مع حركة المقاومة في الخارج، يجعلنا نفضل تسمية حركة المقاومة، وهذا معناه الاعتراف بالحقيقة، خاصة وإنه في المفهوم التعبيري إذا أردنا أن نفرق، فكلمة "حركة مقاومة" تعني أن هذه الحركة فيما لو أجهضت أو تعثرت، فبالإمكان أن تنهض بعد أن تكبو وبالإمكان أن تتطور. ومن هنا اختارت حركة "فتح" أن تكون حركة التحرير. نحن قصدنا هنا مثلاً، أو كتائب، أو ثورة، لقد أرادت "فتح" منذ البداية أن تكرس كلمة "حركة" لتكون الحركة متطورة وقادرة على الاستيعاب.

و "فتح" عندما انطلقت كانت تعي تماماً ومن خلال الوضع العربي الممزق، ومن خلال انشغال الساحة الفلسطينية بمجموعة أحزاب تتجاذب فيما بينها الولاء الفلسطيني، إن المرحلة القادمة هي مرحلة تحرير وطني، لا مجال فيها لطرح أيديولوجيات معينة.

و "فتح" فهمت منذ البداية طبيعة العدو الصهيوني ومخططاته، وما يبنيه وفق هذه المخططات ليكرس وجوده ويحفظ بقاءه فترة طويلة من عمر التاريخ. (وبالمناسبة أقول هنا أن اليهود يقولون أن شعب فلسطين قد انتهى، هكذا يقولون)، نحن وعينا هذا ووعينا أن صراعنا مع الصهيونية العالمية ممثلة في إسرائيل لابد وأن يطول أجله، وقد يتعدى هذا الصراع عمر جيلنا الحاضر. نحن مؤمنون بهذا.

- ما هي الأهداف الاستراتيجية لحركة المقاومة برأيك؟

- التحرير الكامل هو الهدف الأساسي لنا على المدى البعيد. لذلك حينما طرحنا "الدولة الديموقراطية" كان القصد هو أننا راغبون فيما لو إنصاع العدو الإسرائيلي إلى أن نعيش في إطار الدولة الديموقراطية. وفي الوقت ذاته نريد أن يشعر المواطن الإسرائيلي أن هذه الأرض التي أخذها بالقوة ليبني عليها مستقبله ومستقبل أبنائه ليس من السهل أن يحافظ عليها، يجب أن يظل يشعر بأن هذه الأرض ليست ملكاً خالصاً له، وأن هناك من ينازعه عليها على مر السنين، بمعنى آخر أردنا من وراء طرح هذا الشعار أن يبقى العدو في حالة قلق وحرب أعصاب. يختلف الحال طبعاً إن نحن إزددنا قوة ومقدرة ونضالاً، فالعدو حينئذ يضطر إلى الخضوع لمنطقنا.

- ما هي الأهداف السياسية المرحلية برأيك؟

- في ظروف حركة المقاومة الفلسطينية التي نعيشها اليوم، لا يمكن أن نطرح أهدافاً سياسية مرحلية، لأن ظروف الشعب الفلسطيني وأوضاع القضية الفلسطينية وما يحيط بها من أوضاع ذاتية وعربية ودولية تختلف جذرياً عن كل حركات التحرر التي عرفناها.

الملك فيصل وأبو عمار وأبو يوسف

إن الأهداف المرحلية يمكن أن تطرح إذا كان هناك بوادر معينة في الأفق النضالي تدل على أن شيئاً ما سيحدث في التركيبة السياسية والعسكرية والاجتماعية في معسكر الخصم، وهذا ما حصل في أيام الحرب الجزائرية والفيتنامية.

ويجب أن يظل الهدف الأساسي لمرحلة النضال الفلسطيني واضحاً حتى لا تتميع الأمور ويبدأ الوهن في صفوف المناضلين. فإذا انصاعت القوى الثورية إلى شعارات براقة تلهت عن هدفها الأساسي وهو التحرير أو إقامة الحكم الواحد على أرض فلسطين بعيداً عن العصبية الطائفية، أي إقامة الدولة الديمقراطية، إذا حصل ذلك نكون قد انتقلنا إلى مرحلة الضياع السياسي والوهن.

- ما هي أهم الدوافع التي تحرك الانسان الفلسطيني برأيك للثورة؟

- الوطن هو أغلى ما في الوجود، لأنه هو الوجود. أعني أن الانسان بدون وطن لا قيمة له ولا اعتبار له على الصعيدين الانساني والاجتماعي.

الانسان الفلسطيني انسان جاد ونشيط، وعلى الرغم مما توفر للكثيرين من الامكانات الحياتية الجيدة، على الرغم من ذلك، فقد التف هؤلاء كما التف سواهم من أبناء فلسطين حول الثورة. ذلك لأن حياة التشرد، أي حياة عدم الانتماء الوطني والسياسي لك ترق لأي فلسطيني مهما جمع حوله من ثروة أو جاه بعد النكبة.

والانسان الفلسطيني بطبعه مناضل، فقد عرف الثورات منذ فترة بعيدة، منذ أن حل الاستعمار البريطاني في وطنه عام 1918. والتاريخ يشهد على أن المظاهرات من أجل الوحدة العربية كانت في فلسطين قبل كثير من البلدان العربية.

وبالنسبة إليّ، فأنا أعتبر أن الشعب الفلسطيني لديه من الطاقات الكثير، وأنه سيظل يواصل المقاومة مهما وضع أمامه من عراقيل، لأن الحرية تعيش في أعماقه، وهي تعتبر مطلباً تاريخياً لا يمكن أن يتنازل عنه. وهذا ما نلمسه في أجيالنا الصلعدة وأحفادنا الصغار.

- إلى أي مدى تؤمن بالعنف في أسلوب المقاومة؟

- حين يكون الصراع من أجل البقاء ومن أجل أن نكون أو لا نكون، فالعنف شيء أساسي، واستراتيجية ثابتة ضد العدو حتى يعترف بحقنا، أو يركع أمام قوتنا للوصول إلى حقنا.

ولقد مارس عدونا العنف بشتى ألوانه فكيف لا نمارسه نحن. العدو مارس العنف فاحتل أرضنا وشردنا، ونحن سنمارس العنف في كل مكان حتى نعود إلى أرضنا.

إن كلمة مقاومة بحد ذاتها تعني كل شيء. وأما إذا لم تكن مقاومة الغاضب والمحتل والمعتدى متسمة بالعنف، فهل كنا نسميها مقاومة؟؟

- ما هي الأسباب لعدم وحدة العمل الفدائي؟

- هذا السؤال أصبح محيّراً وداعياً إلى الارتباك في آن واحد. ولكن قبل أن نطرح هذا السؤال ونجيب عليه يجب أن نعرف ما هو العمل الفدائي وكيف نشأ.

- في رأيي أن العمل الفدائي ما لم يكن منشأه فلسطيني الوجه وعربي العمق، لا يمكن أن نسميه عملاً فدائياً. هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل الساحة الفلسطينية تعيش حالة ارتباك. لأن التدخلات العربية من خلال حالة التناقض فيما بينها أغرقت الساحة الفلسطينية بتنظيمات ذات ولاءات متعددة لهذه الأنظمة. ومن هنا كان الصراع داخل التنظيمات نفسها، إنه انعكاس لصراع الأنظمة التي تشدها هنا وهنا.

إن المفهوم الفلسطيني الذي أطلقته "فتح" لم يكن القصد منه إبعاد الشعوب العربية عن المشاركة، بل إبقاء الساحة الفلسطينية بعيدة عن حالة التناقض العربي الواضحة. وقد طرحنا شعار التعاون من خلال مرحلة التحرر الوطني وإبقاء الأفكار والإيديولوجيات جانباً في هذه المرحلة. ويا حبذا لو سارت الأمور كما بدأنا عام 1965 حين التقت كل جماهير الأمة العربية نحو فكرة الكفاح والتحرر.

- كيف تصنف العلاقات بين فصائل المقاومة حالياً؟

- العلاقات بين الفصائل لا اعتبرها علاقات سليمة لأن الذاتية التنظيمية لا زالت تسيطر والكل يبحث عن مواقع أقوى لتنظيمه داخل الساحة الفلسطينية. وهذا شيء يقود إلى الدمار والتخلف وضعف المواجهة مع الأعداء.

- إلى أي مدرسة أيديولوجية تصنف أفكارك السياسية؟

- أنا أعتبر نفسي إنساناً وطنياً هدفه تحرير الانسان الفلسطيني كإنسان ليحيا حياة إنسانية، وليعود إلى وطنه من خلال حرب التحرير الطويلة الأمد.
- وأن أية أفكار تطرح في الساحة الفلسطينية لست ضدها، إلا أنني أرى أن السير في متاهات الأفكار وصراعاتها سيؤدي إلى عرقلة المسيرة لعدة عوامل فلسطينية وعربية.
- ومن هنا فأنا مع مرحلة التحرر الوطني. إن الوطنيين الشرفاء جميعاً هم شركاء في عملية التحرير دون أي تصنيف لهذا أو ذاك، ومن هنا فأنا إنسان وطني فلسطيني عربي.

- إلى أي مدى تعتبر أن قيادة المقاومة الحالية تعبر عن إرادة الشعب الفلسطيني؟

- صحيح أن فصائل حركة المقاومة تمثل إرادة القتال، وتمثل قطاعاً هاماً من الشعب الفلسطيني، إلا إنه في رأيي الخاص يجب أن تكون القيادة الحالية لمنظمة التحرير الفلسطينية أكثر جدية وتمثيلاً للشعب، ويجب أخذ عدد من القيادات الوطنية الفلسطينية غير الملتزمة بالتنظيمات الفدائية حتى يشاركوا في مستقبل المسيرة وتحقيق أهداف الشعب.

- ما هو تقييمك للعلاقات بين قيادة المقاومة وحكومات الدول العربية المجاورة لفلسطين؟

- بالنسبة لمصر كانت العلاقات ولا زالت تسير على مبدأ الثقة والتعاون، وضمن امكانات خاصة بعد عام 1967. ونحن نرى أن منطق القتال وعدم ترك العدو يهدأ أو يستقر خلال فترة الاحتلال منطق سليم، ولذلك نحن كنّا دائماً مع منطق حرب الاستنزاف حتى ساعة التحرير الكامل.

بالنسبة لسوريا نعتبر أن موقعها الجغرافي هام جداً، وتاريخ الانطلاقة يؤكد ذلك، وهي بالنسبة إلينا أهم من مصر لأنها في قلب الأحداث أكثر من القاهرة.

الأردن معروف موقفنا منه فهو مرتبط ارتباطاً جذرياً بالاستعمار، ولا يمكن أن يكون سليماً إلا إذا تخلص الشعب من الحكام الأردنيين الانهزاميين الحاقدين على شعبنا.

المؤرخة الكبيرة بيان نويهض الحوت

بالنسبة إلى لبنان، ظروفه الطائفية وأوضاعه الاجتماعية وامكاناته المحدودة والصراعات الداخلية فيه، تجعلنا نعيش معه في حالة إرباك دائم، والمهم أن يظل لنا موقع قدم فيه من أجل مستقبل الثورة.

- كيف كانت علاقات المقاومة الفلسطينية بالرئيس جمال عبد الناصر؟

- كانت العلاقات منسجمة وجيدة إلى حين وفاته. ولا شك في أن خسارته كانت لها آثار على الساحة الفلسطينية لما كان يتمع به من امكانات، ومن مركز عربي على المستوى الرسمي والشعبي.
وفي الواقع أنه حصل شيء من الفتور بعد مشروع روجرز، ولكنني علة ما أذكر أنه قبيل وفاته اعترف بأن مشروع روجرز كان مؤامرة أمريكية قصد منها شق الساحة الفلسطينية والعربية.
والمسيرة الفلسطينية حين بدأت تشعر أن جمال عبد الناصر يقف منها موقف التأييد، أعطاها هذا دفعاً وتقدماً، نظراً لثقتنا به.

- كيف تصنف حركة المقاومة الفلسطينية بالنسبة إلى حركة لبتحرر العالمية؟

- إيه حركة نضال لابد في النهاية من أن تنتهي إلى مفهوم تقدمي، لأن الذين يناضلون، يناضلون من أجل هدف موجه ضد الاستعمار والاحتكار والتسلط. ومن هنا كانت "فتح" ومازالت تقول، إن التحرير أولاً، وبعد ذلك لابد وأن تقودنا مرحلة النصر إلى العيش في إطار تقدمي وطني يعيش المنتصرون فيه حياة عدالة جادة. وأن كل الشرفاء في العالم لابد وأن ينشأ بينهم وبين حركات التحرر صلات ود وإخاء وتعاون لأنهم متساوون في الحقوق والواجبات من الداخل والخارج.

- ما هو تقييمك لعلاقات حركة المقاومة بالدول الآتية: الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية – الصين الشعبية- الولايات المتحدة الأميركية – أوروبا الغربية – دول العالم الثالث؟

- لا شك في أن الاتحاد السوفياتي صديق للأمة العربية، ولا يوجد بينه وبين أمريكا أي وحه للشبه أو المقارنة، فهذا صديق، وأمريكا عدو سافر لنا ولأمتنا. نقطة الخلاف بين حركة المقاومة والسوفيات أنهم لا يؤمنون بإزالة إسرائيل، وأنهم مع قرار مجلس الأمن، وهذا واضح من سياستهم، إلا أن التعاون في هذه المرحلة قائم، ونحن مع تعزيز العلاقات وتطويرها.
الصين الشعبية موقفها مشرف وواضح وثوري حقيقي.
أوروبا الغربية يسيطر عليها الصهيونيون، وكل دولة تتصرف على حدة من خلال مصالحها المرتبطة بالعرب، ومثال على ذلك الموقف الفرنسي الإيجابي إلى حد ما.
وأما دول العالم الثالث، فهي قسمان، قسم يفهمنا جيداً، ويقف معنا بقدر امكاناته، وقسم ينظر إلى الصراع على أنه يجب أن يحل ودياً، وأن إسرائيل يجب أن تبقى، وهذا موجود في الدول الافريقية خاصة.

تفاصيل الإعداد للانطلاقة
الأخ القائد أبو الأديب سليم الزعنون

في صيف 1964 أُمرت بالبقاء في الكويت وألاّ آخذ إجازة، وتمّ تسليمي مسؤولية التنظيم، وبذلك أصبحت أول رئيس للجنة تنظيم في الكويت التي من أعضائها الأخوان صلاح خلف وعلي الحسن.

عندما عاد أعضاء القيادة إلى الكويت في منتصف شهر سبتمبر/أيلول سنة 1964 شعرت أنهم مختلفون، فقد تبنى ياسر عرفات وخليل الوزير ومحمد غنيم وآخرون ضرورة الانطلاق في 1965/1/1 بينما عارضهم عادل عبد الكريم وعبد الله الدنان وغيرهم، وكان المعارضون يمثلون أغلبية الثلثين. واشتدّ الخلاف في اللجنة المركزية في الكويت، فقررت هذه اللجنة تكليفي بصفتي قاضياً بالسفر إلى الأردن والضفة الغربية والقدس في أول عملية استقصائية أُقدّم على إثرها تقريراً يساعد اللجنة المركزية على اتخاذ القرار المناسب، وكان أبو عمار يعتقد أنني مُنحازٌ سلفاً إلى جانب عادل عبد الكريم، ولذلك أطلق عليّ لقب المفتش العام وأوعز للمحسوبين عليه في الأردن عدم التعاون معي.

كنت أحمل وثقية سفر مصرية، ولم أكن زرت عمان من قبل، غير أنني كنت أعرف القدس ومدن الضفة الغربية وأنا في سن الرابعة عشرة، ولابد أن كل شيء قد تغيّر بعد هذه المدة.

ولما كان حامل وثيقة السفر يواجه صعوبة في الدخول إلى الأردن أرسلت إلى صديق والدي الحاج أمين شرف لكي يستخرج لي موافقة لزيارته في عمان، وفعلاً عمل لي كفالة وأرسل لي الموافقة. وركبت الطائرة التي حلّت في مطار قلنديا يوم 1964/12/24، ومنه سافرت بالسيارة إلى القدس، ثم إلى همان حيث قابلت الأخ محمد غنيم وكان من أشد المتحمسين إلى إعلان الانطلاقة الذي أعرض عني ولم يُبد اهتماماً بمساعدتي في مهمتي. واستنتجت أن الأخ ياسر عرفات قد أوصاه بذلك، فقررت الاعتماد على نفسي واتصلت بالشيخ محمد أبو سردانة الذي قال:"يلزمنا أن يكون لدينا خمسون ألف دينار تحوطاً للاعتقالات التي ستحدث على إثر الانطلاقة"، وكنت أعرف أن الحركة لا تملك عُشر هذا المبلغ.

كان الحاج أمين شرف طيباً جداً فقال لي:" سآخذك بسيارتي إلى الضفة الغربية وسيفرح برؤيتك أصدقاء والدك القدُامى أمثال العنبتاوي في نابلس، والحاج أسعد المبروك في طولكرم، وهكذا ركبت معه في سيارته الصغيرة. ووصلنا نابلس واغتنمت الفرصة وذهبت منفرداً للالتقاء مع شخصية فتحاوية فتحادثت معها. ثم ذهبنا إلى طولكرم وكان الغداء عند صديق الوالد وأولاده الحاج أسعد المبروك، وبعدها ذهبت، وحدي، للقاء محامٍ من آل السفاريني دون أن يحقق اللقاء فائدة تُذكر ولم يُعطني رأياً قاطعاً.

عُدتُ أدراجي إلى فندق بارك الجديد في عمان الذي كنت قد نزلت فيه، وهناك أخبرني مدير الفندق أنني مطلوب لمراجعة الشرطة، وأنهم لم يقبلوا أن يسجلوا الجواز بوساطة الفندق كما هي العادة. قضيت الليل قلقاً وبدأت الهواجس تلاحقني: هل نحن مخترقون إلى هذه الدرجة؟ وفي الصباح توَجّهت إلى مركز الشرطة وقابلت رئيسه الذي اعتذر لي وقال:"نحن لم نطلبك وهناك خطأ من إدارة الفندق" زأصر أن أشرب الشاي عندما علم أنني أعمل في الاعاء العام في الكويت، وهكذا ارتاح خاطري بعد هم وظنون.

وكان عليّ أن أقابل الأخ رمضان البنا الذي يعمل في منظمة المؤتمر الإسلامي ويسكن في القدس، وسافرت إليه ولم أجده، ولكنه كان قد أعطى التعليمات لزوجته أن تستبقيني لحين عودته وهكذا انتظرته، وعند عودته، وجدته متحمّساً للانطلاقة، ونمت في منزله.

عدت إلى عمان يوم 1964/12/28 وبدأت أكتب تقريري الذي انتهيت فيه إلى تأييد فكرة الأقلية التي تنادي بالانطلاقة وأنّ المال يأتي نتيجة لإعجاب الناس بها، وسمعت طرق البا، وعندما قمت بفتحه فوجئت بالأخ محمد يوسف النجار يقف أمامي، وقال لي: هل توصلّت لقرار؟ وعندما قرأ بعينيه ما انتهيت إليه انفرجت أساريره وقال هناك شخص يحبُّ أن يراك مادام تقريرك قد جاء لصالحه.
واصطحبني إلى فندق فيلادلفيا، وهناك لمحت شخصاً بملابس باكستانية وغطاء رأس باكستاني، وعندما استدار نحوي فوجئت أنه ياسر عرفات فتعانقنا بعد أن قال له أبو يوسف النجار:"أبو الأديب من صوبنا". فقال ياسر عرفات:"لم أكن لأقابلك لو كان رأيك ضدنا لقد ظلمتك وقلت أنك من جماعة العقلانيين عادل وعبد الله، الحمد لله أنك من فريق المجانين. هل تقبل يا أبا الأديب أن يُقال عني وعن إخواني الذين سينطلقون ويتعرضون للموت بأنهم مجانين؟ وعندها قلت له:" هناك شاعر لا أذكر اسمه قال بيتاً من الشعر:

(مجانينُ إلاّ أنّ سرَّ جنونِهم *** عزيزٌ على أعتابهم يسجدُ العقلُ)

وعندما سألته: لماذا لم تنتظروا أن أعود إلى الكويت وأقدّم تقريري؟ قال:"ببصراحة كنت أشكّ في تقريرك، ووصفتك بالمفتش العام بل أوعزت لمعاونّي بألاّ يساعدوك في مهمتك، ولكن الآن "أنت حبيبي".

وتدخل أبو يوسف النجار وقال:"أنت تعرف ياسر عرفات بصلته محروقة وأنا انتدبت والأخ محمود عباس من التنظيم في قطر كي أتوسط في الخلاف وقد هدانا الله إلى فكرة "لا يموت معها الذئب ولا يفنى الغنم"، ومُفادها أن تتم الانطلاقة باسم العاصفة، فإذا فشلت يكون ياسر عرفات هو السبب ويقتصر الفشل عليه وعلى الأقلية التي معه، وإن نجحت نقول في المستقبل أنها الجناح الضارب لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح".

وأضاف: ولكن عادل عبد الكريم وعبد الله الدنان أصرّا على عدم تسليم القيادة لياسر عرفات وقرروا أن تكون القيادة جماعية، والآن علينا أن نجتمع ونرتب الأمور، فقام أبو عمار وشرح لنا الوضع العسكري والصعوبات، وسرعان ما قال: إننا نتوقّع اعتقالات سريعة وقاسية، ولا يجوز أن نضع البيض كلّه في سلّة واحدة. أنا قادر على إخفاء نفسي ألا ترون الملابس التي ألبسها وغطاء الرأس الباكستاني؟ ثم ضحك قائلاً:" تصوّر أن أمري كاد يُكشف، فبعد نزولي من الطائرة في مطار قلنديا صادفني صديق مصري يعرفني من أيام الدراسة هجم عليّ ونادى: ياسر .. ياسر.. وتمالكت نفسي وتجاهلته ورطنت بلغة إنجليزية وبلهجة باكستانية فارتد عني متأسفاً.

ثم قال: وافقت على القيادة الثلاثية مُكرهاً، والآن يهمّ ما قد فات، وعلينا توزيع العمل وعدم وضع البيض في سلة واحدة، على الأخ الأديب أن يُسافر فوراً إلى الكويت، وعليه تنفيذ قرار الحركة بأن يدفع كل عضو فيها خمسين ديناراً، وعلى الأخ أبو يوسف أن يُسافر إلى لبنان ليُشرف على إصدار البيان الأول (الذي كان مُعداً سلفاً، وتختلف الرويات عمّن صاغه تلك الصياغة العظيمة التي تحمل معاني كثيرة وطنية ودينية).

وهكذا لم تدم مشاركتنا له بالقيادة سوى يومين وسافرت إلى الكويت وسافر أبو يوسف إلى لبنان وقام كل منّا بالدور المرسوم له.

أما ياسر عرفات فقد أشرف على الانطلاقة التي قوبلت بحملة اعتقالات في قطاع غزة والضفة الغربية وأصبح ياسر عرفات مُطارداً وصدر البيان الأول للعاصفة.

ولابد أن أذكر أيضاً، بادرت حركة فتح بعد استقلال الجزائر إلى استقطاب أعضاء لجان نصرة الجزائر وتحويلها إلى لجان مناصرة فلسطين، ومن أهمها تلك التي أُنشئت في المغرب، وكان قد زارها الأخ محمد يوسف النجار الذي قالت له الأحزاب المغربية:"ابدأ بزيارة الملك أولا لضمان نجاح مهمتك"، وهذا ما فعله. وتكاتفت أحزاب المغرب ورفعوا قضية فلسطين فوق كل خلاف محلي وتموّنت منذ ذلك الوقت جمعية مساندة كفاح الشعب الفلسطيني. وانتدبتني الحركة أن أحضر احتفالاتها بالذكرى الخامسة والعشرين لقيامها في سنة 1993، وكانت المبالغ التي جمعتها هذه الجمعية في بداية 1965 الرافد الأساسي الذي اعتمدت عليه حركة فتح في إدامة الانطلاقة.

صورة نادرة للجنة المركزية وهي مجتمعة كلها. من اليمين (الصف الأول): أبو عمار، أبو جهاد، أبو الأديب، أبو ماهر، أبو اللطف، (الصف الثاني) أبو إياد، أبو صالح، أبو الهول، أبو مازن، أبو السعيد (دمشق،١٩٨٠)

حسم قرار الانطلاقة كما يرويها الأخ صلاح خلف

وهكذا فقد عقدت قيادة فتح اجتماعا في الكويت في بداية خريف عام 1964، لمناقشة المسألة. فكانت المناقشة حامية بين ممثلي منحيين متباينين. فبعض رفاقنا ممن سنشير إليهم بعد ذلك باسم «المتعلقين» وقفوا ضد ما اعتبروه محاولة سابقة لأوانها بصورة خطيرة. وراحوا يؤكدون أن شن حربا لعصابات لا يزال أمراً مبكراً للغاية خاصة وأننا كنا قليلي أو سيئي التجهيز، وإن عدد مناضلينا لا يزال ضئيلاً نسبياً. ثم خلصوا إلى القول بأنه أولى بنا أن ننتظر إلى أن تصبح فتح حركة جماهيرية تتمتع بقوات أساسية قبل أن نقذف بأنفسنا في مشروع قد يثير ضدنا مجمل العالم العربي.

وكنا بضعة أشخاص بينهم ـ ياسر عرفات وأنا وأبو جهاد ومحمد النجار وأبو مازن وفاروق القدومي وخالد الحسن وسليم الزعنون ومحمد غنيم وسواهم ندافع عن وجهة النظر المقابلة تماماً. قلنا إن الوضع ناضج بالنسبة للكفاح المسلح، فالجماهير الفلسطينية لم تسممها بعد ديماغوجية الشقيري ولن تلبث أن تتأثر وتؤخذ بجديتنا وعزمنا على العمل. وقلنا أن عبر السياق المعاكس. فكان أن استحقينا بسبب هذه الأطروحة التي اعتبرت متهورة وصف «المغامرين».

فراحت تعمل بالاتفاق مع مناوئينا «المتعقلين» داخل قيادة فتح، محاولة التسرب إلى منظمتنا والسيطرة عليها بإدخال عناصر مؤيدة لها، إلى داخلها. كانت هذه حالة يوسف العرابي ومحمد حشمت، وكلاهما فلسطينيان ذوي نزعة بعثية وإعداد عسكري، تطوعا في صفوف العاصفة. كنا نعتبرهما كمقاتلين مخلصين لقضيتنا، إلى أن قتلا في نهاية شهر شباط ـ فبراير 1966 برصاصات مسدس ولم يتضح لنا حتى اليوم كيف قتلا؟

وما لبثت السلطات البعثية أن ارتابت في أن نكون قمنا بتصفيتهم. وهكذا فقد جرى توقيف قادة فتح الذين كانوا موجودين في دمشق حينها ـ ياسر عرفات، أبو جهاد، أبو علي إياد، وأبو صبري، وكذلك سبعة أعضاء آخرين أقل أهمية ـ وجرموا بالاغتيال.

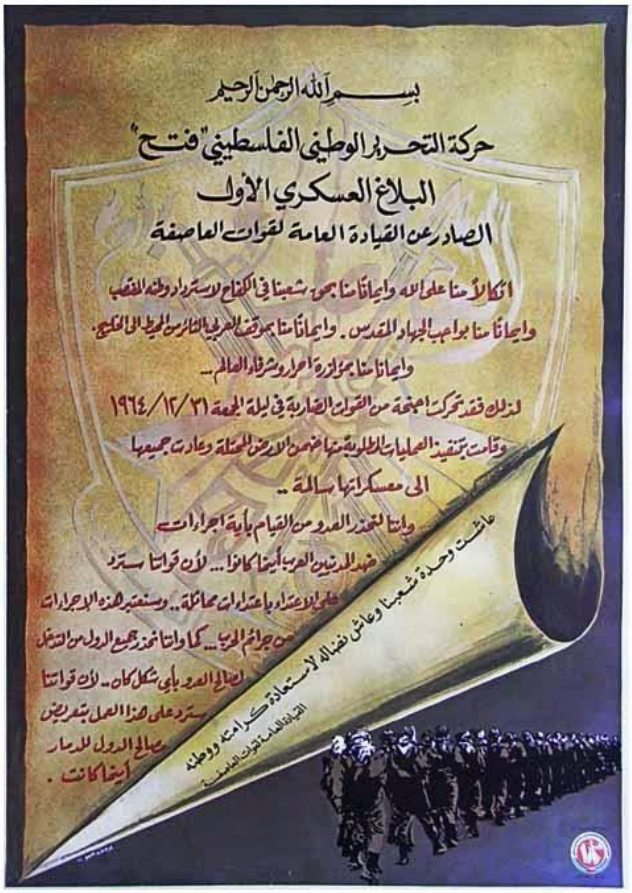

وعلى الفور غادرنا فاروق القدومي ومحمد يوسف النجار وأنا، الكويت متجهين إلى دمشق بغرض تأمين الإفراج عن رفاقنا. وهناك راح العقيد صلاح جديد، الرجل القوي في النظام الذي كان قد أقامه لتوه العقيد صلاح جديد، الرجل القوي في النظام الذي كان قد أقمه لتوه بعد أن أقصى الشريحة «اليمينية» في البعث، يصغي إلينا بكثير من الأدب والمجاملة. وبعد محادثة طويلة فهمنا أن القضية بين يدي حافظ الأسد الذي تمت ترقيته منذ فترة بسيطة إلى منصب وزير الدفاع، فبدت لنا محاولتنا وكأنها بدأت بداية حسنة. فمع أني لم التق بالأسد مطلقا، إلا إني كنت أعرف العلاقات الوثيقة التي أقامها منذ سنتين مع ياسر عرفات وأبي جهاد. وقلت في نفسي أننا لن نجد مشقة في إقناعه ببراءتهم لاسيما وأنهم اضربوا عن الطعام منذ ما يقرب الشهر وإن حياتهم في خطر.

وكانت أول مفاجئة هي أن حافظ الأسد جعلنا تنتظر ثلاثة أيام قبل أن يحدد لنا موعداً، وكان موضوع الاستغراب الثاني والذي زاد من قلقنا هو أنه تلقانا قريب عتبة مكتبة بوزارة الدفاع وهو يسألنا بجفاء عما نريد. ثم قاطع العرض الذي كنت أقدمه له ليبلغني بأن رفاقنا المسجونين مذنبون وأن شيء أو أحداً لا يستطيع أن يقنعه بالعكس. فنشب بيننا جدال عنيف. وعندما بلغ منى الحنق مداه، قلت له «أن موقفكم يؤكد شكوكنا بأنكم تسعون في الواقع إلى خنق الكفاح المسلح الذي بدأناه، في المهد. وعلى أي حال فانا أشكركم على استقبالكم، ولكن فلتعلموا أنكم تتحملون أما التاريخ المسؤولية في أنكم وجهتم ضربة شديدة إلى حركة التحرير الفلسطينية.» وسكت حافظ الأسد، ثم بعد لحظة تأمل، دعانا في اللحظة التي كنا نتظاهر فيها بأننا نهم بالانسحاب، للدخول إلى مكتبة ودار نقاش دام أكثر من ثلاث ساعات.

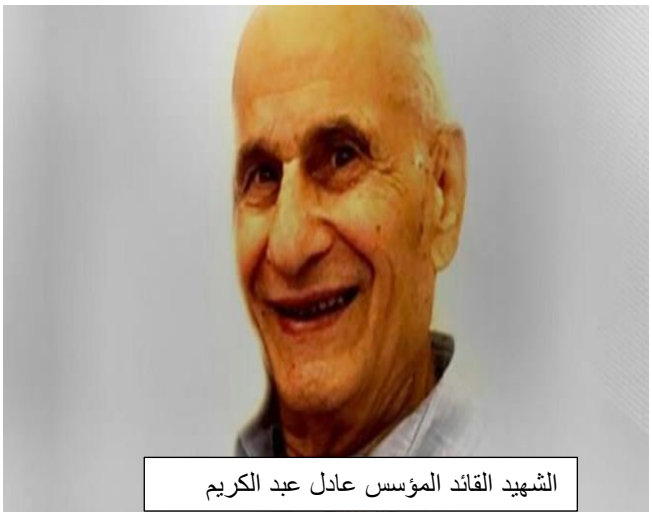

الشهيد القائد المؤسس عادل عبد الكريم

د. عبد الله الدنان

وطرح علينا ألف سؤال حول فتح وإيديولوجيتها

المرحوم سعيد المسحال

وأهدافها ثم وبخاصة حول عرفات (الذي كان يعرف حينها باسمه القتالي رؤوف) الذي كانت شخصيته تحيره. مع أن ياسر لم يكن مجهولاً بالنسبة للسلطان السورية فقد أوقفته سلطات دمشق في نهاية عام 1965، لاشتباهها بضلوعه في تخريب خط أنابيب التابلاين، ثم أفرجت عنه بعد ذلك ببضعة أيام لعدم توفر أدله ضده.

وخلص حافظ الأسد إلى القول وهو ظاهر الرضى: «اذهبوا لتوكم إلى سجن المزة، فسوف تغادرونه مصحوبين برفاقكم المسجونين وسأعطي الأوامر اللازمة للإفراج عنهم» وقد وفى بوعده فيما يتعلق بعشرة من المتهمين. أما الحادي عشر، وهو مناضل بسيط من فتح فلا يزال إلى اليوم في السجن برغم أنه برئ من التهمة الموجهة إليه».

واتخذت قيادة فتح قراراً «بتجنيد» نشاطات الأشخاص المفرج عنهم كبادرة حسن نية إزاء السلطات السورية، وتكفيرا عن الأخطاء التي ارتكبوها إلا أن عرفات لم يكن يحتمل هذا الأمر الذي شعر به حينها وكأنه عقاب. فهو بطبيعته لا يستطيع أن يظل ساكناً، فكان أن عرض علينا الصفقة التالية: تكلفه حياته إذا ما فشلت، ولكنه ستكون مفيدة للحركة إفادة خاصة، إذا ما تكللت بالنجاح، فقبلنا عرضه.

فتح والإعداد لانطلاقة الكفاح المسلح
بقلم الأخ القائد نبيل شعث

كان الكفاح المسلح وموعد انطلاقة بقيادة حركة فتح موضوع نقاشي المستمر مع زهير العلمي. متى ننطلق يا زهير؟ كان يجيبني دائماً في الوقت المناسب، ونحن نستعد لذلك اليوم.

بعد انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول، قام قادة حركة فتح آنذاك بالعمل على تسريع الاستعدادات للانطلاقة المسلحة. انعقد في نفس العام، وبعد انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في القدس، المؤتمر العام الأول للحركة والذي حضره ثلاثون كادراً جاءوا من عدة مناطق، لمناقشة نقطة واحدة وهي البدء بالانطلاقة أو تأجيلها، وكان الجدل بين وجهتي نظر: بين الذين أيدوا الانطلاقة في نفس العام، وبين الذين كانوا يرون تأجيلها حتى استكمال التحضيرات لها وبالتالي تلخصت في أنه إن نجحت الانطلاقة يتم تبنيها من قبل حركة فتح، وإن لم تنجح يطلق على الذين انطلقوا اسم العاصفة، وتبقى فتح تعمل تحت هذا الاسم حتى انطلاقة أخرى، وهكذا ولدت العاصفة التي سطرت نضالاتها بحروف من الدم في صفحات تاريخ الشعب الفلسطيني.

تم الإتفاق على إعلان انطلاقة الكفاح المسلح في أول أيلول (سبتمبر) 1964 قبيل مؤتمر القمة العربية الثاني بالإسكندرية في 5 أيلول (سبتمبر) 1964، ولكن المجلس العسكري أرجأ ذلك، لأنه كان بحاجة إلى نحو 500 قطعة سلاح ونحو 50 ألف دينار كويتي لهذه الغاية، الأمر الذي لم يكن متوافراً آنذاك. كان ياسر عرفات جالساً مع أبو يوسف النجار على شاطئ مدينة الكويت يفكران في هذا العائق. وفجأة تطلع ياسر عرفات إلى أبو يوسف النجار قائلاً له: عندما قابلت هوري بومدين وزير الدفاع الجزائري وطلبت منه المساعدة قال لي: إذهب وأطلق رصاصة ثم عد إليّ. الآن ما رأيك أن نقوم بعملية عسكرية، فإذا نجحت العملية تتبناها فتح. وإذا فشلت يكون الذين قاموا بها مجموعة من الشبان المتحمسين ليس أكثر، ونتابع نحن الاستعداد للانطلاقة. جاء أبو جهاد من الجزائر، واجتمع المجلس العسكري، ووافق على الفكرة. وهكذا بدأ العمل للإعداد لانطلاق الرصاصة الأولى.

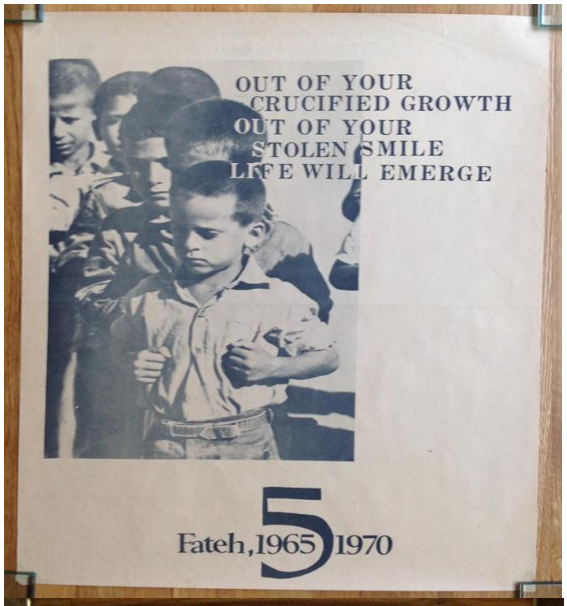

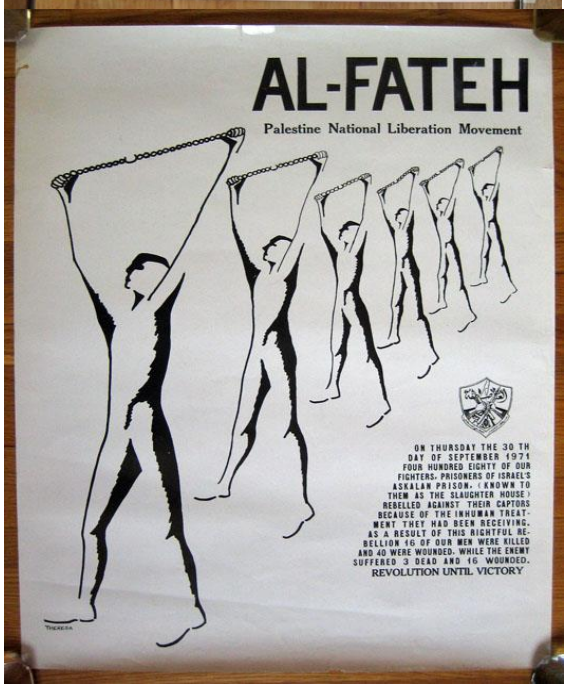

عرفت أن أول دعم سياسي لحركة فتح جاء من الجزائر، واستمر الرئيس بومدين نصيراً وداعماً لفتح حتى وفاته. في حفل إعلان استقلال الجزائر دُعِيَ أبو عمار بوصفه ضيف شرف وقدمت له الجزائر مكتباً لحركة فتح، وفتحت لمناضلي الحركة باب التدريب العسكري خاصة في الكلية العسكرية في شرشال، والتقى هناك بجيفارا مما فتح له أبواب كوبا.

زار بعدها بكين وفيتنام في العام 1964 وفتحت له أبواب الصين. أما أول دعم عسكري لوجستي تلقته فتح فقد جاء من سورية. ففي 7 أيار (مايو) 1963 وصل إلى دمشق أول وفد رسمي من حركة فتح يقوم بزيارة سورية، فاستقبلهم وزير الدفاع اللواء حمد عبيد وأعطى توجيهاته بالموافقة على استخدام الأراضي السورية في الإعداد العسكري للعمل الفدائي الفلسطيني. ثم جرى اتفاق بين ياسر عرفات واللواء أحمد سويداني، رئيس أركان الجيش السوري آنذاك على تقديم الخبرات التدريبية لفدائيي فتح الذين انتشروا على امتداد خط الجبهة مع إسرائيل، ولا سيما في المناطق المطلة على بحيرة طبرية. افتتح أول مكتب علني لفتح في دمشق، وجرى إنشاء أول

معسكر للتدريب بعدما وافق على ذلك الرئيس السوري آنذاك الفريق أمين الحافظ ورئيس الأركان صلاح جديد. ولاحقاً هبطت أول شحنة سلاح جزائري لفتح في مطار المزة العسكري بالقرب من دمشق في آذار 1965 وكان العقيد الطاهر الزبيري رئيس أركان الجيش الجزائري قد أرسلها إلى فتح. كانت أول قاعدة عسكرية لفتح في سورية قد أقيمت في سنة 1965 في منطقة البساتين الواقعة إلى الشرق من مخيم اليرموك. ثم افتتح معسكر جديد في منطقة ميسلون القريبة من الحدود اللبنانية. كانت جميع هذه الانجازات تجري من خلال المتابعة الدؤوبة والإلحاح المستمر من ياسر عرفات وأبو جهاد ومحمد يوسف النجار.

تشابكت عدة مشاكل داخلية في صفوف المقاومة. فمنذ الصيف كان ينذر وجود من لا يعترض صراحة على قيادتنا العسكرية داخل وحاتنا المقاتلة. فلم يكن أحد نسي بعد التردد وأخطاء التقدير التي أدّت إلى الكارثة النهائية في الأردن. وكان أشد المنتقدين هؤلاء الذين كانوا تابعين لقيادة أبو علي إياد ولم يكونوا يجدون عزاء فقده. لكن تمرّد الفدائيين لم يكن ينبع فقط من الفشل والمرارة المتراكمين في العام 1971. كان يسود جوّ جديد، إذ كان كثيرون يطالبون بإعادة نظر جذرية في وسائل النضال ضد إسرائيل: بدل العمليات التقليدية يجب القيام بعمليات في العمق تضرب الإسرائيليين في القلب أو تطاول مصالحهم في العالم. لكن عرفات والضباط الأردنيين السابقين الذين التحقوا بحركتنا، لم يكونوا يحلمون في المقابل إلا بمزيد من "العسكرة" لفدائيينا. وكان تمّ حسم المسألة في المؤتمر الثالث لفتح المنعقد مطلع أيلول/ سبتمبر في دمشق. بعد نقاش عاصف أثاره علي الحسن وهو موظف كبير في الكويت وشقيق خالد وهاني عندما أكدّ بفظاظة:"لسنا بحاجة إلى جيوش، لسنا بحاجة إلى سلاح ضد الإسرائيليين. نحن بحاجة فقط إلى خمسين عنصراً من أجل إلقاء القنابل وإحداث سلسلة من التفجيرات". لكن الاقتراح اعتبر حقّ ضرباً من الجنون الكامل، ولم يلق أي تأييد من غالبية المندوبين ال 121 في المؤتمر والذين كانوا أقرب إلى الاقتناع بالخيار "العسكري" الذي تبنّاه عرفات بدعم من الضباط السابقين في الجيش الأردني، وخصوصاً ضباط لواء اليرموك الذين كانوا يشاركون للمرة الأولى في مؤتمر الحركة. كانت مداخلة علي الحسن كافية لنزع الصدقية عن أي طرح مغاير لخيار"العسكرة".

كان يُخشى إزاء هذه العوامل المجتمعة أن يعمد عدد من فدائيي العاصفة إلى تركنا لتأسيس تنظيم جديد للكفاح المسلح، نوع من "فتح" ثانية. كنت أنا وأبو إياد وأبو مازن نتبادل دائماً الأحاديث في هذه المسألة.

ونذكر أنه قبل مغادرته الأردن في أيار قام أبو إياد بزيارة جرش وعجلون حيث التقى رجال أبو علي إياد. وبعد هزيمة تموز/يوليو عاد والتقى الكثيرين منهم زكان يصغي إليهم ويحاول أن يكون عماً لهم.

وبما أن هؤلاء من أفضل العناصر الذين عملوا تحت إمرة أبو علي إياد، فلماذا لا يوجّه غضبهم ويستفاد منهم عبر جهاز عملياتي سري يرتبط بمخابراتنا وأجهزة مكافحة التجسس لدينا. وكان أبو إياد قد وجد اسم هذا الجهاز:"أيلول الأسود".

أتوقف هنا لأشير إلى أنه منذ إبعاد أبو إياد في خريف 1970 عن مسؤوليته في مخابرات فتح، بدلت هذه اسمها من الرصد إلى الأمن وصارت برئاسة أبو مازن. لكن هذا كان مبتدئاً في هذا المجال، وأصر على إشراك سلفه في عملية إعادة التنظيم. وقد شاركت لبعض الوقت في الموضوع بناء على رغبتيهما. فقد كان مشروع أبو إياد وأبو مازن في نقطة الصفر إذن، حتى بصورة مزدوجة إذ تغيرت مرة جديدة قيادة جهاز المخابرات ومكافحة التجسس لدينا في نهاية مؤتمر أيلول وفي سياق الانتقادات العديدة التي ظهرت خلال المناقشات حول الإدارة السابقة لهذا القسم. كان المسؤول الجديد أبو يوسف النجار المسؤول عن القضايا اللبنانية في قيادتنا والذي بدأ نجمه يلمع من جديد في لجنتنا المركزية بسبب الأهمية التي أخذ يكتسبها لبنان في معركتنا مع إسرائيل. كذلك كان يتوقع أن يستقدم رجالاً من محيطه إلى المراكز القيادية. لذلك عندما عرضت عليّ اللجنة المركزية في نهاية أيلول إدارة الشعبة 48 لم أتردّد من جديد في مواجهة أعدائنا. ولكن كان عليّ مواجهة تذمّر كوادرنا ومقاتلينا في جنوب لبنان.

وكان هذا التذمّر قد تصاعد كثيراً في تشرين الأول/أكتوبر. فقد اعتقد عرفات، متسلحاً بنتائج المؤتمر لاعتقاده أنه وجد في أبو يوسف حليفاً، أنه قادر على فرض قيادة إقليمية جديدة لفتح في لبنان، وتعيين قيادات عسكرية قريبة منه مثل عطا الله عطا الله (أبو الزعيم) الذي لم يترك ذكرى جيدة في الأردن. ومن أجل الوصول إلى أهدافه بسرعة استغل غياب الرجل الذي كان يسعى إلى إبعاده وهو يحيى عاشور المعروف بحمدان والمسؤول عن تنظيم وحداتنا في لبنان والذي كان تواجهت معه بقوة في المؤتمر الأخير. عاشور كان في هذه الأثناء في الصين ضمن وفد برئاسة أبو جهاد. كانت تلك فرصة أبو عمار. لكن هذا القرار لم يأخذ في الاعتبار ردة فعل غالبية كوادرنا ومقاتلينا في لبنان وفي سوريا كذلك الذين يحملون الذين جاؤوا ليحلوا محل عاشور وغيرهم مسؤولية الهزيمة في الأردن. وكانت المعارضة عنيفة إلى درجة اضطر معها عرفات إلى التراجع.

الحقيقة أن عرفات كان لديه في هذه الأثناء ما يشغله، إذ تكاثرت التهديدات ضده من كل مكان. وقد وقع في الخامس من تشرين الأول/أكتوبر ضحية حادث غريب فيما كان يتفد إحدى قواعدنا في الجولان. كان يفترض به الحذر لأن القاعدة بقيادة حسين الهيبة ضابط "العاصفة" الذي قام بعملية تخويف ضد أبو

علي إياد عام 1969. وكانت القضية قد طويت، لأننا لم نشأ إثارة المشاكل مع الجيش السوري حيث كان للهيبة صداقات وثيقة. وها هو الرجل يكررّ العملية مجرّد اتزاز في مقابل بعض المكاسب أو الترقية العسكرية أو شيئاً آخر؟ المسألة غامضة.

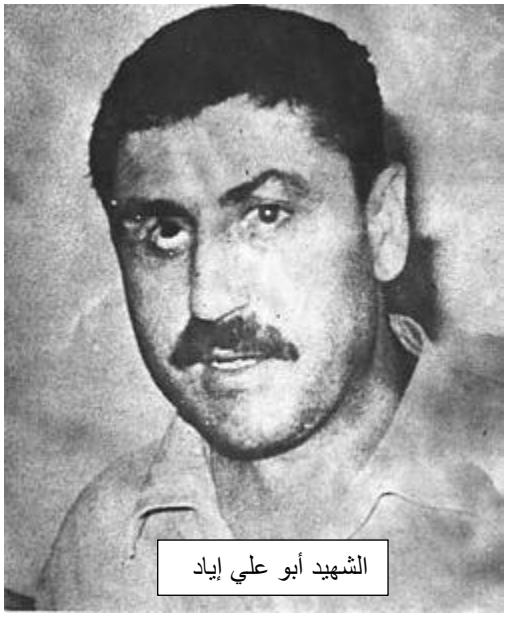
الشهيد أبو علي إياد

التقيت أبو عمار مساء اليوم نفسه في دمشق قبل أن ألتحق بمهماتي الجديدة في جنوب لبنان، لكنه لم يعطني تفاصيل لا هو ولا أبو صالح وأبو ماهر غنيم اللذين كانا برفقته. أما الحادث فلم يمرّ بسلام، إذ تمّ تبادل طلقات نارية وقُتِل سائق عرفات.

كان الوضع قريباً من الفوضى على صعيد تنظيمنا العسكري، ووصل إلى حد التقاتل بين ضباط جيش التحرير الفلسطيني وجيشنا النظامي. فمنذ زيادة عدد ممثلي هذا الجيش في المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة ظهر داخله اتّجاهان متعارضان بعنف، واحد يتزعمه قائد الجيش اللواء عبد الرزاق اليحيى القريب من المصريين، وكذلك عرفات، واتجاه آخر بقيادة رئيس أركانه عثمان حداد المدعوم من السوريين. بلغنا عندنا في 22 أيلول/سبتمبر وفاة أحد معاوني اللواء اليحيى المباشرين عبد الرحمن البرادعي، مدير مخابرات جيش التحرير، تحت التعذيب بتهمة الولاء للسوفيات. هل تجاوز العقيد حداد وجماعته الحدود؟ المهم أن السوريين تخلّوا عنه في تلك المرحلة، لكنهم حصلوا في المقابل من عرفات وبعد 48 ساعة من الحادث مع الهيبة في الجولان والذي كاد يودي بحياته، على تعيين قائد بديل من اللواء اليحيى. فعيّن الأخير مستشاراً خاصاً إضافة إلى بقية مستشاريه، بينما عاد إلى الصف الأمامي اللواء مصباح البديري القائد السابق للوحدات النظامية الفلسطينية في سوريا أو لواء حطين، والذي تولّى في ما بعد قيادة الأركان في جيش التحرير. هكذا عاد رجل السوريين هذا ليس فقط إلى منصبه في قيادة الأركان، بل أضاف إليها القيادة العامة لجيش التحرير الفلسطيني.

وفجأة، بعد ظهر 28 تشرين الثاني/نوفمبر أطلق أربعة فلسطينيين قادمين من لبنان، نيران مسدساتهم على وصفي التل رئيس الوزراء الأردني فأردوه وسط ردهة فندق شيراتون في القاهرة حيث كان وصل قبل 48 ساعة من أجل حضور دورة مجلس الدفاع العربي. علمت بنبأ الاغتيال من الإذاعة في مركز قيادتي في الرشيدية، فتعالت من حولي صيحات الفرح. وفي فناء الدار أطلق حراسي النار في الهواء. واحتفلت مخيمات الفلسطينيين في لبنان ابتهاجاً بالحدث. ومن بيروت صدر بيان موقع من منظمة أيلول الأسود يتبنى صراحة عملية الإعدام الهادفة إلى الثأر لمقتل أبو علي إياد. لم يكن لدي شك في أن أبو إياد خلف العملية، وأبو يوسف أيضاً.

لماذا أبو إياد؟ أولاً التوقيع: فإن أيلول الأسود كما نذكر هو الاسم الذي أراد إعطاءه لخلية العمليات السرية الخاصة بمخابرات فتح، وهو مشروع لم يبصر النور منذ فشل مهمتنا في الجزائر. وأكثر من ذلك: مَنْ مِن قيادييينا يحمل ضغينة لوصفي التل أكثر من أبو إياد؟ سمعت خطابه الشهير في عمان، في ملعب الوحدات قبل ستة أشهر، وقلت في نفسي أنه سينتهي به الأمر عاجلاً أم آجلاً إلى تصفية الرجل الذي خدعه على طول الخط.

الشهيد القائد الرمز أبو إياد صلاح خلف

أما التبرير المعلن أي"الثأر لأبو علي إياد" فيسهل تحليله إذ أن أبو إياد لم يكن لينسى أحد مشاغلنا الأساسية وهي منع الرفاق الأوفياء للزعيم العسكري الكبير المغدور من الالتحاق بمنافسينا في الفصائل الأخرى.

ومع ذلك فإن أبو إياد لم يكن يملك في تلك الفترة الموارد المالية الكافية لتنظيم هذه العملية. وأنا خير من يعرف ذلك. لابد أنه استعان بأحد. ولكن بمن؟ إن أسماء الفلسطينيين المعتقلين في القاهرة تتحدث عن نفسها، فهم جميعاً أعضاء في تنظيم فتح اللبناني ومعروفين جيداً في (أو على الأقل اثنان منهم) بأنهم كانوا من وقت إلى آخر في عداد مرافقي أبو يوسف النجار. كما أن أبو يوسف وحده كان يملك الامكانات المالية لدفع ثمن بطاقات السفر ومصاريف إقامة المجموعة في القاهرة، إضافة إلى الاستطلاع وتحضير العملية.

بما أن أخبار أبو إياد كانت انقطعت منذ بعض الوقت، فقد اكتفيت بالاستنتاجات. فعرفنا بسرعة أن وصفي التل اقترح يوم مقتله بالذات مشروعاً على وزراء الدفاع العرب لإقامة "جبهة موحدة" ضد إسرائيل. وكان عرض خطوطه العامة علينا أنا وأبو إياد وهاني الحسن في آذار/مارس الماضي. كانت ردة فعلي الأولى، عند إطلاعي على هذه المعلومات، أن قلت في نفسي، إن وصفي التل لم يتخل في نهاية المطاف عن المثل العليا التي آمن بها فترة شبابه عندما كان يناضل حاملاً سلاحه بين 1948 و1949.

بالطبع، لم يكن التل يحبنا، نحن منظمة التحرير. وهذا يعود إلى الفترة التي كان الشقيري يتحكم فيها بمصير المنظمة. إذ كان يرى فيه، وهذا صحيح بشكل من الأشكال، دمية في يد عبد الناصر. لكن التل لم يغيّر رأيه في منظمة التحرير عندما تولت فتح قيادتها، ناسباً إلى زعمائها انحيازها إلى مصر. ومتهماً إياهم باستمرار بتبييت النيات. لذلك كان لا يزال يقول، مثلاً، في حزيران/يونيو، أن بعض فصائل المقاومة، وعلى الرغم من حسمنا أمر هذه الدويلة في شباط/فبراير في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة، "تريد دولة فلسطينية ولو على مساحة عشرين فداناً. لكن هذا لن ينجح على الرغم من معرفتنا أنهم يشجعون في هذا الاتجاه من جهات عديدة". إذ كان يريد في العمق أن تصبح حركتنا "صاعقة" أخرى، على الطريقة الأردنية. ومن هنا فشلت محادثات جدّة في أيلول/سبتمبر فقد اشترط عودة الفدائيين إلى الأراضي الأردنية بإنضوائهم تحت قيادة الجيش الملكي، وهذا أمر غير مقبول بالنسبة إلينا، لأنه يتناقض مع إتفاقتي القاهرة وعمان المبرمين في السنة الماضية واللذين يجب أن تحترمهما حكومته. يبقى أن هذا ما ارتكزت عليه الوساطة السعودية.

من هنا بالضبط فهمت ما الذي دفع أبو يوسف إلى مساعدة أبو إياد على الأخذ بالثأر من وصفي التل. فهو كان مؤيداً للتسوية مع الملك حسين. وكان دوماً من هذا الرأي بما أنه من دعاة المحافظة على صلات وثيقة مع الأنظمة العربية المحافظة. لكنه في الوقت نفسه لم يعد يجهل أنه بموجب المنحى الذي

أخذته الأمور في جدة سوف لن نتمكن من عقد أي اتفاق إلا وفق الحد الأدنى للشروط التي حددها وصفي التل إزاء عودتنا إلى الأردن: سوف يوضع فدائيونا تحت إمرة الجيش الملكي، مثلما هي الحال بالنسبة إلى خمسمئة جندي في جيش التحرير المتمركزين في الزرقاء، وهم آخر الممثلين الرسميين للمقاومة في ذلك البلد. إلا أن هذا الأمر لا يريده أبو يوسف بأي ثمن. فخلف محيّاه الاريستوقراطي والمسترخي، كان قبل كل شيء "فتحاوياً". فهو من مؤسسي فتح ويرى أنه من المفروض أن تعود حركتنا، نظراً إلى الفترة المظلمة التي نمرّ بها، إلى العمل في الخفاء مثل ما قبل 1967، وتستلهم جبهة التحرير الوطنية الجزائرية في سنوات نضالها الأولي ضد الفرنسيين، وليس الانخراط في تكتل للجيوش النظامية كما كان يرغب في ذلك وصفي التل، والسوريون وحتى عرفا، في مشاريعه لعسكرة فدائيينا أكثر فأكثر. هل خشي أن يقبل الأخير بشروط رئيس الوزراء الأردني؟ نظراً إلى أنني أعرف عدم ثقته الفطرية بأبو عمار، وهو سبق أن لامه مرات عدة لوضعه إدارتنا أمام الأمر الواقع، فإني أعتقد أن الإجابة عن هذا السؤال هي نعم. ولا يزال اغتيال وصفي التل إلى اليوم موضوعاً محظراً ليس في فتح، بل في مصر والأردن أيضاً، لأن جوانبه لم تتوضح جميعها.

فهناك وجهات نظر كثيرة. روي بادئ الأمر أنه عند مدخل الشيراتون قام معتد أول وهو عزّت أحمد رباح بإفراغ مشط مسدسه البراونينغ على التل. وفي الوقت عينه، أطلقت النار على رئيس الوزراء الأردني من البهو وداخل الردهة، فإنهار بين حطام الزجاج وتوفي بعد بضع ثوان. ويروى أيضاً أنه أصيب بطلقة قبل أن يدخل الردهة، ساعة ترجّله من سيارته. وقد تمكن على الرغم من إصابته من صعود درجات المدخل سعياً إلى الاحتماء. وتلك هي اللحظة التي أفرغ فيها رباح مسدسه. لكن بما أن التل كان محاطاً بخمسة عشر حارساً خاصاً، فقد جرى الحديث أيضاً عن تورط أحد هؤلاء في قتله، نظراً إلى أن أعضاء من الحاشية الملكية كانوا يؤيدون تصفيته. حتى أن أبو إياد نفسه انتهى به الأمر بعد سنوات عدة إلى الموافقة على وجهة النظر هذه. من جهتي أنا، من الصعب عليّ أن أقول كيف جرت الأمور فعلاً، بسبب عدم اشتراكي لا من قريب ولا من بعيد. وكل ما أعرفه هو أن أبو إياد، في كانون الأول/ديسمبر 1971، عبّر عن فرحته أمامي للثأر لمقتل أبو علي إياد. لكنه كان متحفظاً عن فاعلية الفريق الذي أمّنه له أبو يوسف. إذ إن الشرطة صادرت أسلحتهم عند وصولهم مطار القاهرة. في الواقع، قام رجل خامس بتأمين أسلحة أخرى لهم: هو معاونه فخري العمري الذي كان موجوداً في العاصمة المصرية وتمكن من مغادرة المدينة يوم الاغتيال بالذات.

تعليق الأخ فاروق القدومي على مذكرات الأخ أبو داود
(سرايا - حاوره في عمان: شاكر الجوهري 2008/3/16)

• هل كان أبو داود ضمن قيادة منظمة ايلول الأسود، كما ذكر في كتابه..؟ وهل هو الذي خطط لعملية ميونيخ الشهيرة..؟

ـ لا.لا. كان هناك مسؤولون عن عملية ميونيخ، لكنه كان جزءا من هذا العمل، كما قال.

• كما قال، وليس كما هي الحقيقة..؟

ـ علمت بعد تنفيذ العملية أنه كان مشاركا فيها.

• وماذا عن دوره في مقتل المرحوم وصفي التل رئيس وزراء الأردن الأسبق، وهو نسب التخطيط لهذه العملية لنفسه في كتابه..؟

ـ لا أعتقد أنه كانت له علاقة بتلك العملية، لأن هناك آخرين هم الذين كانوا على علاقة بها. وكما قيل أن الأخ محمد يوسف النجار هو الذي كان يقف وراء تلك العملية.

• وليس أبو عمار..؟

ـ ليس أبو عمار، وليس أبو لطف، وليس أبو جهاد.

• ألم تكونوا على اطلاع على خططها..؟

ـ لم نكن على اطلاع قبل تنفيذ العملية.

•هل اخذها أبو يوسف على عاتقه..؟

ـ نعم.

• وهل كان هناك تنسيق مع أنور السادات الرئيس المصري في حينه في هذا الشأن، الذي أمر بإطلاق سراح قتلة التل..؟

ـ ليس لدي علم بمثل هذه الصلة.

• هل ذهب السر مع أبو يوسف..؟

ـ نعم، ذهب السر معه بوفاته.

• ألم تسألوه قبل مقتله في حادث الفردان الشهير..؟

ـ لم اسأله.

• ألم يسأل في اطار اللجنة المركزية..؟

ـ لم يسأل، لأن الجهاز الذي نفذ الإغتيال كان شبه مستقل. ولم نكن نطلع على تفاصيل ما يقوم به ذلك الجهاز من اعمال حتى لا يشاع سر العمليات بين الناس.

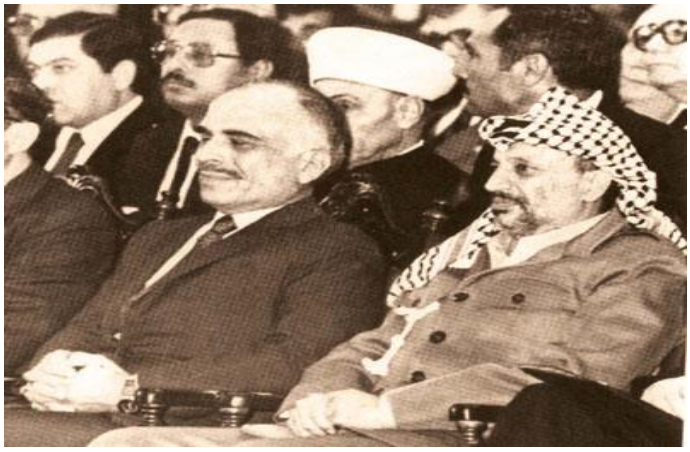

الرئيس يمنح الشهيد 'أبو يوسف النجار' وسام نجمة الشرف من الدرجة العليا

رام الله- رايــة 2014/4/17

في إطار حرص رئيس دولة فلسطين محمود عباس، على تكريم القادة المؤسسين والرعيل الأول للثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية ووفاء لتاريخهم النضالي، منح سيادته مساء اليوم الخميس، الشهيد القائد محمد يوسف النجار 'أبو يوسف' وسام نجمة الشرف من الدرجة العليا.

وتسلم هذا الوسام في مقر إقامة الرئيس بالعاصمة الأردنية عمان، يوسف نجل الشهيد، بحضور المستشار الدبلوماسي للرئيس السفير مجدي الخالدي، وسفير فلسطين لدى الأردن عطا الله خيري.

وجاء في نص مرسوم منح الوسام' رسمنا بمنح الشهيد القائد محمد يوسف النجار 'أبو يوسف' وسام نجمة الشرف من الدرجة العليا، تقديرا لدوره الوطني والنضالي المشرف على كل الأصعدة كأحد القادة المؤسسين الرموز في الثورة الفلسطينية، وتثمينا عاليا منا لتضحياته الجسام منذ البدايات الأولى في تاريخ الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية، حيث قضى شهيدا دفاعا عن ثورته ووطنه وشعبه وقضيته العادلة.

عندما حاول "أبو يوسف النجار" اغتيال جولدا مائير ..كيف فشلت العملية ؟

دنيا الوطن –رام الله-2016/3/19

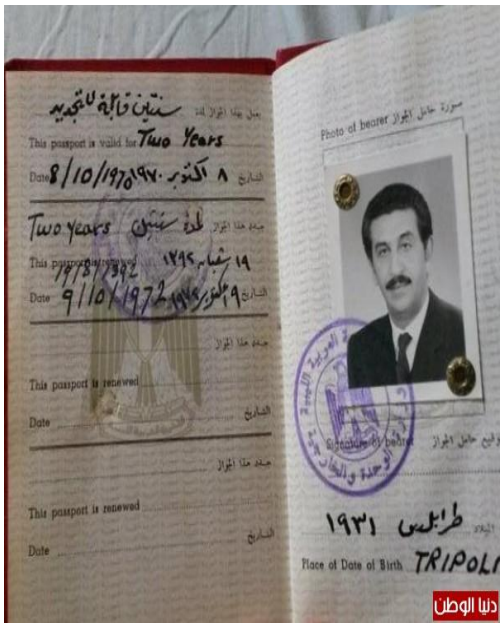

كتب نجل الشهيد أبو يوسف النجارعلى صفحته على الفيسبوك بعض من تفاصيل محاولة والده اغتيال رئيسة الوزراء الاسرائيلية السابقة جولدا مائير .

وأرفق السفير ياسر محمد يوسف النجار صور لجوازات سفر وبطاقات تنقل لوالده وقال في تفاصيل محاولة اغتيال جولدا مائير :"كانت المحاولة عند زيارة جولدا مائير إلى روما في منتصف يناير ١٩٧٣حيث توجهت مجموعة من الفدائيين التابعين لمنظمة أيلول الأسود إلى مكان قريب من مهبط الطائرات بصواريخ ستريلا تم تهريبها، كن ببلد مجاور وكان من المفترض إطلاقها على طائرة جولدا مائيرعند الهبوط، الا أنها لم تنطلق بسبب عطل تقني فانكشفت العملية في اليوم التالي وانسحب الفدائيون من إيطاليا".

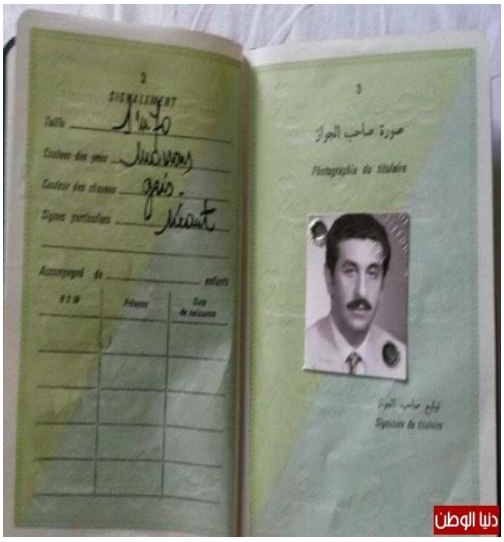

أما عن وثائق سفره فقال: "كان أبو يوسف النجار دائم الحركة، يبحث عن باب لم يُفتح بعد للثورة الفلسطينية. وأحياناً في أثر صيدٍ ما زمن الاشتباك الكامل مع الاحتلال وحيث تصل يد حركة فتح. كان آخر صيد له محاولة اغتيال جولدا مائير في مطار روما قبل استشهاده بشهرين. فشلت العملية بسبب خطأ تقني.

في سفره وتحركاته كان رحمه الله يستخدم جوازات سفر كثيرة وبأسماء مختلفة. يدخل بلد ما كعراقي ويخرج منه جزائري، أو يركب الطائرة أردني ويهبط بعدها بساعات كتاجر ليبي. لم يكن يخشى شيء أو يخاف أحد، كل همه وهواجسه وأحلامه محصورة في وطنه والتقدم بالعمل الفدائي والسياسي معاً وتطوير قدرات الشباب الفلسطيني.

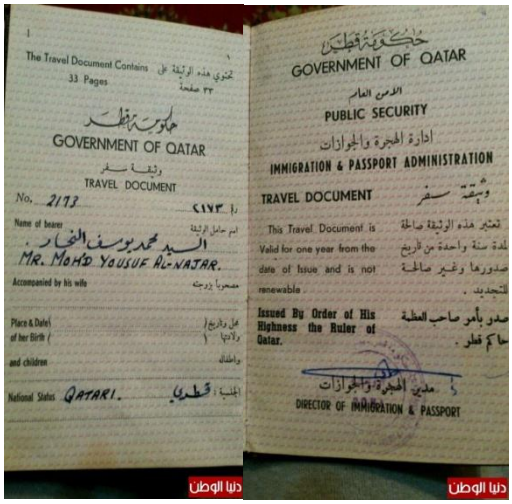

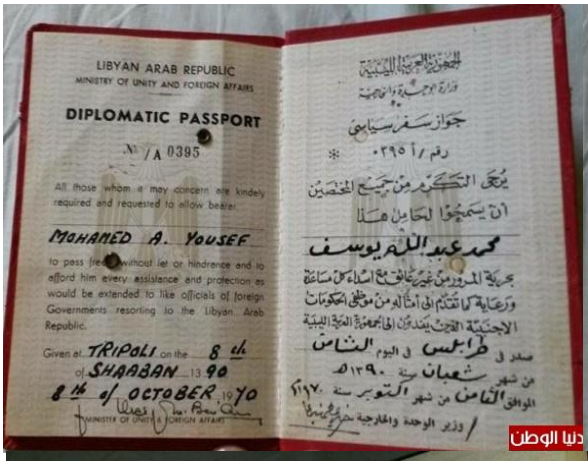
LIBYAN ARAB REPUBLIC
MINISTRY OF UNITY AND FOREIGN AFFAIRS
DIPLOMATIC PASSPORT
MOHAMED A. YOUSEF
TRIPOLI
SHAABAN
8 th of OCTOBER 1970
جواز سفر سياسي
محمد عبد اللطيف يوسف
طرابلس
شعبان
التاسع
التوبر
وزير الوحدة والخارجية
دنيا الوطن

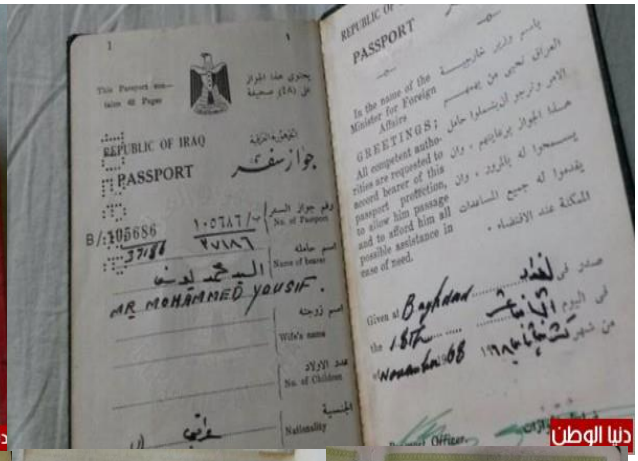
REPUBLIC OF IRAQ
PASSPORT
جواز سفر
B/ 205686
MR. MOHAMMED YOUSIF.
PASSPORT
GREETINGS!
Given at Baghdad
دنيا الوطن

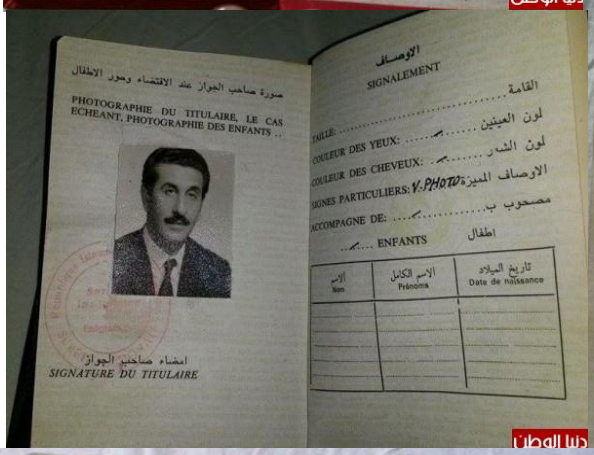
SIGNALEMENT
الاوصاف
PHOTOGRAPHIE DU TITULAIRE, LE CAS ECHEANT, PHOTOGRAPHIE DES ENFANTS ..
SIGNATURE DU TITULAIRE
TAILLE:
COULEUR DES YEUX:
COULEUR DES CHEVEUX:
SIGNES PARTICULIERS: V. PHOTO
ACCOMPAGNE DE:
ENFANTS
دنيا الوطن

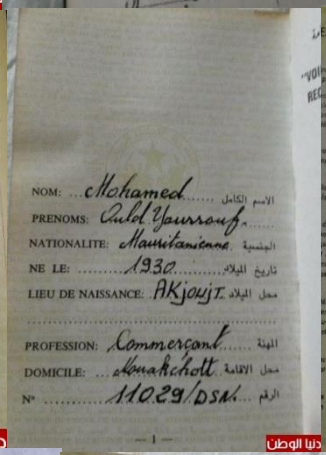
NOM: Mohamed
PRENOMS: Ould Youssouf
NATIONALITE: Mauritanienne
NE LE: 1930
LIEU DE NAISSANCE: Akjoujt
PROFESSION: Commerçant
DOMICILE: Nouakchott
N° 11029/DSN
دنيا الوطن

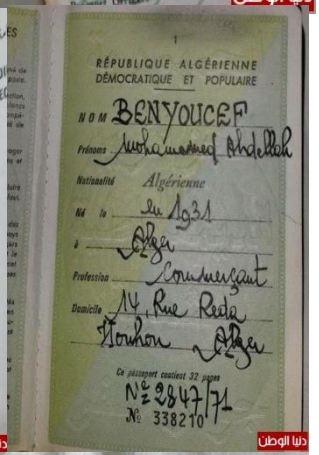
RÉPUBLIQUE ALGÉRIENNE
DÉMOCRATIQUE ET POPULAIRE
NOM BENYOUCEF
Prénoms
Nationalité Algérienne
Né le 1931
Profession Commerçant
Domicile
دنيا الوطن

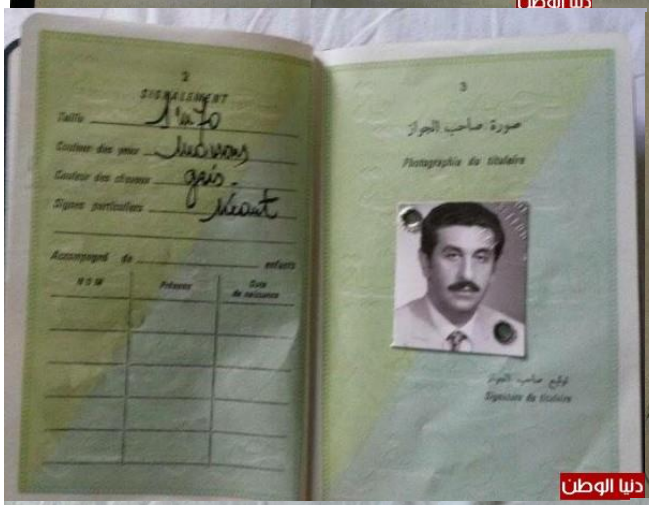
SIGNALEMENT
Taille 1m70
Couleur des yeux Marron
Couleur des cheveux Gris
Signes particuliers Moustache
Photographie du titulaire
Signature du titulaire
دنيا الوطن

01999
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DES AFFAIRES ETRANGERES
PASSEPORT DIPLOMATIQUE
N° 01999-A-71
BENYOUCEF
Mohamed
Conseiller
Alger 5.6. 71
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الخارجية
جواز سفر دبلوماسي
دنيا الوطن

01999
PHOTOGRAPHIE
Signature du Titulaire
هذا الجواز صالح للسفر الى البلاد الآتية
PAYS POUR LESQUELS CE PASSEPORT EST VALABLE
Tous Pays
جميع البلدان
LA VALIDITE DE CE PASSEPORT EXPIRE
4/6/1974
دنيا الوطن

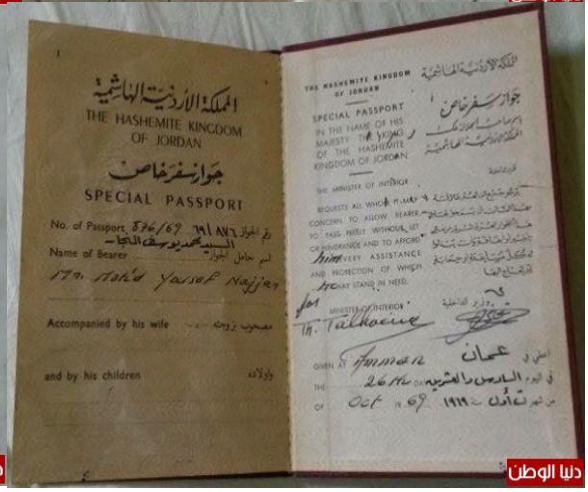
المملكة الأردنية الهاشمية
THE HASHEMITE KINGDOM OF JORDAN
جواز سفر خاص
SPECIAL PASSPORT
No. of Passport
Name of Bearer
Accompanied by his wife
and by his children
دنيا الوطن

البابا بولس السادس والقدس

بولس السادس.. أول من سافر بالطائرة خارج الفاتيكان
بقلم ميرا توفيق (البوابة القبطية- 2017/12/12)

دعا لحوار مسيحى إسلامى وأصدر وثيقة «حوار العلم»، رفض منع الحمل بالوسائل الاصطناعية وندد بسياسات تنظيم الأسرة المفروضة من الدول الغنية على البلدان الفقيرة .

البابا بولس السادس جلس على سدة ماربطرس فى الفترة من 1898-1978، وهو بابا الكنيسة الكاثوليكية رقم 262، وُلد جيوفانى باتيستا انريكو أنطونيو ماريا مونتينى فى كونشسيو فى 26 سبتمبر 1898 فى بلدة صغيرة قرب مدينة شمال إيطاليا .

بعد وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين فى 23 يونيو 1963، اجتمع الكرادلة لانتخاب خلف له، وقعت القرعة على الكاردينال جيوفانى باتيستا مونتيني.

بعد انتخابه لكرسى البابوية عام 1963، التزم بالمنهج الذى رسمه سلفه البابا يوحنا الثالث والعشرون فى إدارة شئون الكنيسة، واختار اسم بولس السادس تيمنًا باسم القديس بولس الذى جعل رسالته نشر المسيحية فى العالم.

عمل من أجل توحيد الكنيستين الغربية والشرقية، والدفاع عن رجالها، والتفاهم مع الحكومات الشيوعية، وزار الأراضى المقدسة (فلسطين) عام 1964، وعمل على الاجتماع برئيس الكنيسة الأرثوذكسية فى القدس، كما التقى بالبابا شنودة الثالث للأقباط الأرثوذكس عام 1973 .

كان أول بابا يسافر بالطائرة خارج الفاتيكان ويزور الأراضى المقدسة، وأول بابا يسافر إلى الولايات المتحدة، ويلقى خطابًا فى مقر الأمم المتحدة بنيويورك، ويدعو فيه إلى السلام العالمي.

لقد تخوّف العالم من أن تتوقف أعمال المجمع المسكوني، الفاتيكانى الثاني، بعد وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين، ولكنّ هذا التخوّف لم يكن فى موضعه، إذ صرّح البابا الجديد بأنه سيتابع بكل أمانة وإخلاص أعمال المجمع المسكونى الفاتيكانى الثاني، الذى بدأ به سلفه .

البابا بولس السادس كان يؤمن بأهمية الحوار مع الشريعة الإسلامية لما فيه من تحقيق الأمن والسلام فى الكرة الأرضية، وهو يهدف لخير البشرية وكان البابا بولس السادس منذ أن تسلم منصبه الكرسى الرسولي، قد صرف كل جهد ليقف على مبتدأ الشريعة الإسلامية، وجمع لديه العديد من المؤلفات التاريخية التى تتحدث عن الإسلام والمسلمين ولمضمون القرآن الكريم من آيات سماوية ومعانيها القيمة .

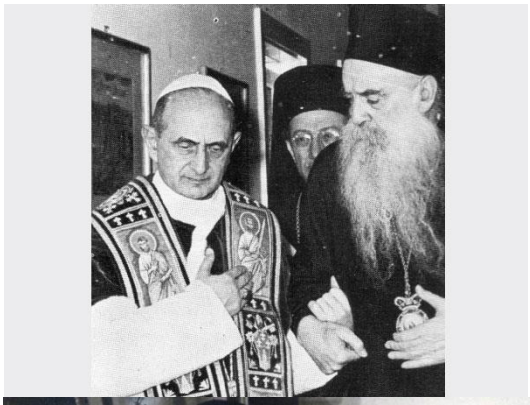

وجه البابا بولس السادس الدعوة أثناء انعقاد المجمع الفاتيكانى الثانى الذى شارك فيه كرادلة من جميع أنحاء العالم، مطالبا بإصدار وثيقة عن العلاقات المسيحية الإسلامية، وصدرت وثيقة تاريخية عن المجمع المسكوني، تضمنت توجهات حضارية تدعو لحوار مسيحى إسلامى وحملت الوثيقة عنوان «نور العالم.«

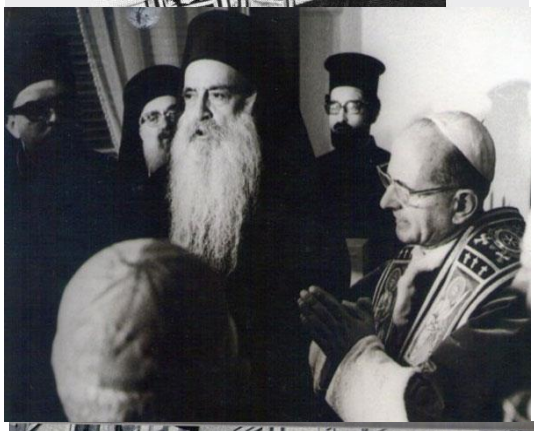

فى سنة 1968 وخلال حبريته طلب البابا كيرلس السادس بطريرك الأقباط من البابا بولس السادس إعادة جسد القديس مرقص لمصر وذلك بمناسبة الاحتفال بمرور 19 قرنا على استشهاد القديس مرقص فوافق البابا بولس السادس على الطلب إكراما للشهيد مار مرقص كاروز الديار المصرية وتم استلام الرفات يوم السبت 22 يونيو سنة 1968 م تسلم الوفد الرسمى الموفد من قبل البابا كيرلس السادس رفات القديس من يد البابا بولس السادس بابا روما فى القصر البابوى بمدينة الفاتيكان .

أشهر رسائله «حول أساليب تنظيم الأسرة» الصادرة فى 25 يوليو 1968، وقع البابا بولس السادس رسالته العامة «الحياة البشرية» يرفض فيها رفضا قاطعا منع الحمل بالوسائل الاصطناعية ويندد بعبادة الفرد وسياسات تنظيم الأسرة المفروضة من الدول الغنية على البلدان الأكثر فقرا وأثارت الرسالة العامة فور نشرها عاصفة من الانتقادات والمعارضة داخل الكنيسة وخارجها. فى 6 أغسطس 1978 تنيح عن عمر يناهز 80 عاما إثر نوبة قلبية وذلك بمقره بكاستل گاندولفو، بإيطاليا.

البابا بولس السادس من أجل الأرض المقدسة - رحلة حج إلى الأرض المقدسة، ١٩٦٤

(مسيحيو موطن يسوع 2016/10/16)

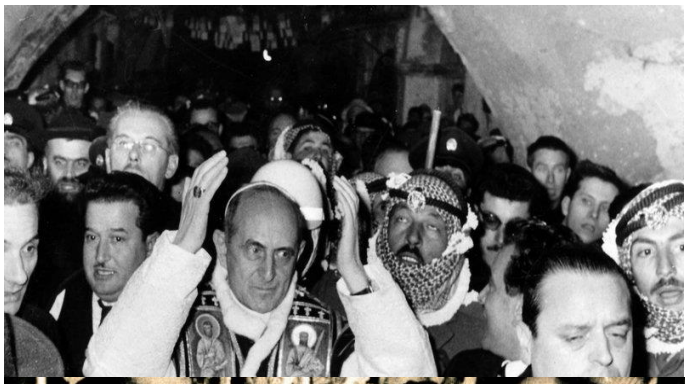

رحلة قال عنها البابا ذاته "إعتراف بطرس"، إنها تقدمة وبحث ورجاء، ولكنها كانت رحلة مثالية بجوانبها. وقد أضاف البابا بولس السادس إلى صلواته واحتفالاته، ملامح عملية ملموسة، من هبات وأعمال خيرية مستمرة.

عندما عاد إلى روما حرص على إقامة مؤسسات تقدم المساعدات العينية لمصلحة كل إنسان. نظرة إلى واقع هذه المؤسسات التي رغب في إنشائها هنا في أرض الإنجيل الخامس، البابا الذي سيتم إعلان تطويبه في التاسع عشر من تشرين الأول .

ميشيل صنصور/ نائب رئيس جامعة بيت لحم

السبب الرئيسي للشروع بهذه المبادرة كان بالطبع الافتقار إلى الجامعات. مما اقتضى على الشبان الذين أرادوا متابعة تعليمهم العالي بعد الثانوية، السفر إلى الخارج وخاصة إلى أوروبا. وكثيرون منهم لم يعودوا إلى البلاد. فكانت هذه طريقته للحفاظ على الشبان، خاصة المسيحيين في وطنهم، والتخفيف من نسبة الهجرة. والسبب الثاني كان توفير الفرص لتحصيل الثقافة والتعليم، وبلوغ مستوى علمي أعلى للجميع. والسبب الثالث هو أننا هنا في بيت لحم، حيث ولد المسيح. لقد اجتهد هذا البابا بكل ما بوسعه، لوقف أجواء الشك المتبادلة التي تزايدت على مر الزمن. فطلب الصفح من إخوته الأرثوذكس على إهانات الماضي، وعرض الصداقة العميقة، مظهرا الرغبة في السير معاً بتواضع.

الأب راسل مكدوغال/ مدير مؤسسة الطنطور المسكونية

أن يكون لنا مكان في الأرض المقدسة حيث يلتقي المسيحيون من التقاليد المختلفة ويعيشون معاً؛ فيحاولون العمل على تشكيل جماعة متجانسة ويشتركون في الصلاة. لقد أتى الجميع هنا للعمل معاً، والقيام بالأبحاث المشتركة، برامج تنشئة علمية. مركز يجمع بين ثناياه أشخاصاً من كنائس كاثوليكية وأرثوذكسية مختلفة. لقد اكتشف الناس هنا حضور المسيح.

الأخت لويجينا كارپينيدو/ مؤسسة "إفتح" البابا بولس السادس، بيت لحم

نحاول العمل على تحقيق حلم البابا بولس السادس حتى يصبح الأطفال، أطفالنا، أشخاصا قادرين على إدارة شؤون حياتهم وكيانهم، كمواطنين شجعان، بالرغم من مشاكل السمع التي يعانون منها .

نأمل من المؤمنين في العالم بأسره ألا يقللوا من مساهماتهم ودعمهم الأخوي، لكافة مؤسسات الكنيسة في أرض يسوع. حتى تتمكن من مواصلة تقديم شهادتها للإنجيل، ويصبح الوجود المسيحي حول المزارات المقدسة أشد قوة. البابا بولس السادس، "عقدنا العزم"

<u>علاقات إسرائيل مع الفاتيكان</u>
بقلم شحادة موسى/ منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث -1972

يرتكز اهتمام الفاتيكان على سلامة الأماكن المقدسة في فلسطين وإنقاذها. قام البابا بولس السادس بحملة واسعة من أجل ذلك وقد طرح موضوع وضع القدس تحت إدارة الأمم المتحدة كحل أفضل من أجل ذلك. وبعث برسائل شفهية إلى رؤساء الدول الخمس الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن يلفت نظرهم فيها إلى "حالة القدس القديمة ذات المواقع الدينية" وإلى بيت لحم وغيرها من الأماكن المقدسة وطلب في هذه الرسائل التي حملها السفراء البابويون من الدول الخمس توحيد موقفهم حيال انقاذ الأماكن المذكورة إما بمعرفة هيئة الأمم المتحدة أو بواسطة الدول الخمس الكبرى.

وفي 20 آب/أغسطس 1967 وزّعت السفارة البابوية في بيروت مذكرة على الصحف تشرح رأي قداسة البابا بولس السادس في وضع مدينة القدس واهتمامه بمستقبلها ومما جاء فيها "ولما كان هدف الكرسي الرسولي الحفاظ على المنطقة التي تضم معظم الأماكن المقدسة قد اتخذ مبادرة جديدة فتواسط لدى حكومات كثيرة بغية أن يكلف أعضاء لجنة الهدنة للأمم المتحدة وقناصل الدول في القدس كي يقوموا بأعباء المدينة المقدسة باسم جمعية الأمم المتحدة بانتظار تدابير لاحقة بيد أن الأحداث تخطت هذا المشروع بسرعة. وجاء في المذكرة أن البابا أراد أن تظل الأماكن المقدسة سليمة إذ من المصلحة العليا لأبناء ذرية ابراهيم الروحية: يهود، مسيحيون، مسلمون، أن تعلن القدس مدينة مفتوحةوأن تبقى في مأمن من الأعمال العسكرية والحربية. وقد كرر البابا حديثه عن القدس في خطابه في اجتماع الكرادلة السري، 26 حزيران/يونيو 1967 وعبّر عن فكرته هكذا .."يجب أن تبقى مدينة القدس على مستوى ما تمثل: مدينة الله، واحة حرة للصلاة والسلام، موعد لقاء وتسام واتفاق لجميع الناس، فتنعم بدستور خاص مكفول دولياً".

ومن جهة أخرى ذكرت "جيروزاليم بوست في عددها الصادر يوم 1967/7/2": أن أشكول بعث برسالة إلى البابا حول مشكلة القدس جملها مدير مكتب أشكول وسلمها إلى الكاردينال داليك بعد مقابلة مطولة. ولم يعلن عن محتوى الرسالة لكن من المحتمل أنها تدور حول حماية الأماكن المقدسة في القدس القديمة وعن موقف إسرائيل الواضح بشأن أخذ رأي رجال الدين المحليين والعالميين.

وقبل سفر البابا في أواخر تموز/يوليو إلى تركية قابل سفير إسرائيل في رومه وزير خارجية الفاتيكان وكان من مهمته تطمين دولة الفاتيكان عن الأماكن المقدسة وأن إسرائيل تسهر عليها فكان جواب الفاتيكان: "بأنها تنظر إلى الموضوع من الوجهة الدولية، من حق أصحاب هذه الأماكن أن يحددوا مطالبهم بشأنها".

ومن الواضح أن إسرائيل لا تقبل بموضوع التدويل فقد ذكرت "لانفورماسيون في 1967/7/6" تصريحاً لشمعون بيرس، نائب وزير الدفاع الإسرائيلي، أثناء جولته في عواصم أوروبية أنه رد على سؤال حول طلب الفاتيكان تدويل القدس فقال: "إن الفاتيكان لم ينفك عن تقديم مثل هذا الطلب إلا أنه كان قد قبل عملياً بالسيطرة الأردنية على الأماكن المقدسة. آمل بألا يفكر الفاتيكان بأننا أقل قدرة من الأردن على حماية مصالحه".

وذكرت النشرة بالعدد نفسه أن البابا بولس السادس استقبل يوم 7/5 سفير إسرائيل في إيطاليه وجرى حديث بينهما حول الأماكن المقدسة. وفي اليوم نفسه سافر السفير الإسرائيلي إلى إسرائيل لإطلاع جكومته على الحديث الذي دار مع البابا، وتجدر الإشارة إلى أنه لأول مرة يستقبل البابا سفير إسرائيل.

فقد ذكرت "جويش أوبزرفر في 1967/12/29": أن الحكومة الإسرائيلية قد ناقشت الأسبوع الماضي العلاقات مع الفاتيكان على ضوء التقارير المفصلة التي سلمت باليد الأسبوع الماضي من قبل سفير إسرائيل في رومه والذي قام بمحادثات حساسة مع الفاتيكان حول موقفه تجاه القدس والأماكن المقدسة. وتقول الجريدة أن هناك دلائل متزايدة على رغبة الكنيسة الكاثوليكية بالوصول إلى اتفاق حول السيطرة الإسرائيلية على القدس بأكملها ولكن هذا يبقى بعيداً ما لم تعترف الفاتيكان رسمياً بالدولة اليهودية التي لم تعترف بها عام 1948.

وكان المطران جيورجيوس حكيم قد عمل أثناء وجوده في الولايات المتحدة من أجل أخذ موافقة رجال الكنائس الكاثوليكة على دمج القدس ووجودها تحت السلطان الإسرائيلي. ويقال بأنه بعد سقوط القدس بأيام ذهب إلى الفاتيكان وقام بالمساعي هناك مع البابا من أجل القدس الكاملة وقد أثرت اتصالاته على موقف الفاتيكان في كثير من الحالات.

وبمناسبة مرور عام على حرب حزيران وجه الفاتيكان نداء عاجلاً إلى الذين يعنيهم الأمر بشأن خطورة الموقف في الشرق الأوسط من أجل الإسراع في إنجاز صلح دائم على أساس إنهاء المشكلة الفلسطينية واعتراف كل من الطرفين بحقوق الآخر في الحياة والاستقلال والحرية.

وكتبت جريدة الفاتيكان "أوبسر فاتوري رومانو في 1968/2/7": إنه منذ أن أصبحت الأماكن المقدسة المسيحية بيد إسرائيل فإن إقامة الحجاج المسيحيين أصبحت سهولة ومستحبة.

وذكرت "جويش كرونيكل في 1968/2/9": إن المونسنيور جيوسب مارفيني، المسؤول عن الأماكن المسكونية في مؤتمر الأساقفة الإيطاليين، قد عقد مؤتمراً صحيفاً في الفاتيكان قال فيه: إن كافة التعابير التي تنضح باللاسامية سوف تشطب من كتب التعليم والنصوص الكنيسية الكاثوليكية الرومانية. وأعاد المونسنيور للأذهان أن التكريم الديني لقديس مدينة ترنت "سيمون: هو طفل أُتِهِمَ بقتله اليهود في عام 1475 وأصبح شهيداً دينياً يُكرم عند الطائفة الكاثوليكية" قد ألقى بناء على تشجيع وتأييد الفاتيكان.

وذكرت "لانفورماسيون في 1968/3/10": أن الأب فلانيري، رئيس اللجنة الدينية من أجل التقارب اليهودي المسيحي قد وصل في 3/9 إلى إسرائيل في زيارة تستغرق أسبوعين بدعوة من وزارة الخارجية وأعلن الأب أن السلطات الإسرائيلية تحافظ على الأماكن المقدسة المسيحية أحسن مما كان يحافظ عليها في عهد السلطات الأردنية.

وفي 1968/7/17 استقبل البابا سفير إسرائيل في رومه لمدة 25 دقيقة في مقابلة ودية، ويعتقد أن الوضع للأماكن المقدسة في القدس قد بحث. وقد قدم السفير للبابا ثلاثة مصابيح زيتية قديمة من الخزف ترمز إلى الديانات الثلاث الكبرى الموحدة وقدم البابا للسفير ألبوماً مجلداً عن حجته إلى الأرض المقدسة عام 1964.

وذكرت "جيروزاليم بوست في 1968/9/5": أن البابا قد عيّن المونسنيور فيولاجي ممثلاً له في القدس وفلسطين وقد أعلن الفاتيكان عن ذلك رسمياً. والجدير بالذكر أن الفاتيكان لا يعترف بدولة إسرائيل ولكن الممثل البابوي يتمتع بمركز السفير الرسمي الكامل للفاتيكان.

وقد صرّح ممثل الفاتيكان لدى وصوله إلى إسرائيل في 1969/8/5 عن أمله في إقامة علاقات دبلوماسية بين الفاتيكان وإسرائيل في المستقبل القريب شريطة توفر روح الإخلاص والمحبة من كلا الجانبين.

في 1969/10/6 اجتمع أبا إيبان بالبابا وكتبت "جبيروزاليم بوست في 1969/10/10": تعلق على الزيارة أنه أصبح من الواضح بعد اجتماع إيبان والبابا، أن هناك تقارباً في التفكير لم يسبق له مثيل بين الفاتيكان وإسرائيل بشأن وضع الأماكن المقدسة.

فقد أكد إيبان أنه لم يستقبل كزائر خاص، وإنما كوزير خارجية إسرائيل، وكان جو الزيارة ودياً، وقد أصغى إليه البابا بانتباه. ويرى المراقبون الإسرائيليون أن أهم عنصر في الاجتماع كان أنه لم يعد هناك كلام عن تدويل القدس.

وذكر إيبان أن البيان الذي أصدره الفاتيكان عقب الزيارة أُعد بالتشاور معه هو وذكر ومما يذكر أن بيان الفاتيكان لم يتضمن أيه إشارة إلى تدويل القدس كما هو رأي الفاتيكان المعروف وإنما أشار إلى "الصفة المقدسة والفريدة للقدس" وتقول جويش أوبزرفر أن هذه الصيغة قريبة من وجهة النظر الإسرائيلية وتشكل إنجازاً كبيراً للدبلوماسية الإسرائيلية، ومما يذكر أن سفير المغرب الدائك في الأمم المتحدة عندما قابل البابا قبيل عقد المؤتمر الإسلامي في الرباط ذكر أنه لم يخرج متفائلاً من المقابلة,

وفي كانون الأول/ديسمبر 1969 كشف الكاردينال لورنس شيهان رئيس أساقفة بلتمور الأميركية أن الفاتيكان وزع وثيقة جديدة على الكنائس الكاثوليكية يطلب فيها اتخاذ تدابير خاصة لتحسين علاقة الكاثوليكية باليهود وإسرائيل, وهذه أول وثيقة للفاتيكان أعدت على أساس تنفيذ الوثيقة التاريخية التي أقرها المجمع الكاثوليكي المسكوني بشأن الأديان وتبرئة اليهود من جريمة قتل المسيح عام 65 ميلادية، كما تعتبر هذه الوثيقة الجديدة أوضح مستند ينشره الفاتيكان عن دولة إسرائيل. وفي الوقت ذاته أعلن ثلاثة مطارنة كاثوليك في نيويورك ببيان نشروه مؤخراً أن العلاقات بين الكاثوليك واليهود أصبحت أمتن وأوثق مما كانت عليه.

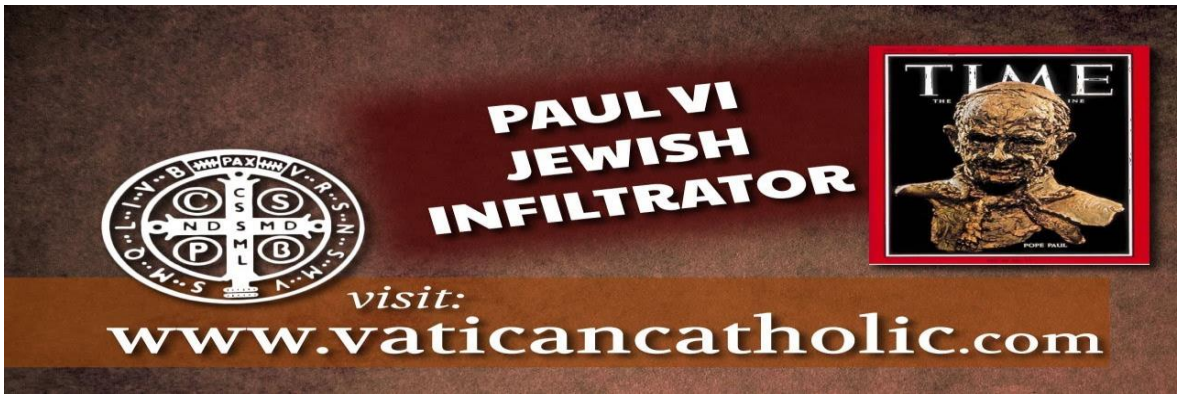

المقاومة المبدعة في الفكر المسيحي الفلسطيني المعاصر
بقلم القيس د.متري الراهب (المركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام -2017/1/21)

احتفلت المبادرة المسيحية الفلسطينية والمعروفة باسم كايروس فلسطين مؤخرًا بالذكرى السابعة لإطلاق وثيقة «وقفة حق»، وقد جاءت هذه الاحتفالية تحت عنوان "الإيمان، الصمود، المقاومة المبدعة". ولقد لعب المسيحيون الفلسطينيون وعلى مر العصور دورًا أساسيًا في النضال الوطني الفلسطيني وكانوا من أوائل الذين تصدوا للغزو الأوروبي من جهة وللإستيطان الاسرائيلي من جهة أخرى. ومن يتأمل تاريخ الفكر المسيحي الفلسطيني في الأراضي المقدسة في القرن المنصرم سيكتشف ستة أنماط من المقاومة المبدعة التي انخرط فيها المسيحيون الفلسطينيون والتي جاءت في سياق ست حقب رئيسية من تاريخ فلسطين الحديث، وقد برز في كل حقبة مجموعة من القيادات المسيحية الفلسطينية.

1- الحقبة الأولى 1917

في السنة القادمة 2017 ستحل الذكرى المئوية لوعد بلفور الذي أعطى فيه ما لا يملك الأرض لمن لا يستحق. وقد جاء هذا الوعد من اللورد البريطاني بلفور إلى اللورد اليهودي روتشيلد بإقامة وطن قومي لليهود كجزء من مخرجات الحرب العالمية الأولى. فلقد شكلت الحرب العالمية الأولى محطة مفصلية في تاريخ البشرية. فمع انهيار الإمبراطورية الاستروهنغارية ومع سقوط ألمانيا القيصرية وبروز الثورة الشيوعية وتفكك الإمبراطورية العثمانية سنحت الفرصة لكل من بريطانيا وفرنسا أن تتقاسما الشرق الأوسط فيما بينهما على يدي سايكس و بيكو لما فيه مصلحة القوتين العظميين.

وفي خضم هذه الأحداث وبينما كانت الجيوش البريطانية في شبه جزيرة سيناء مستعدة لاحتلال فلسطين، سارع بلفور بكتابة وعده لزميله روتشيلد. وكانت حركة الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين قد بدأت قبل ذلك بعقدين من الزمن. وقد كان المسيحيون الفلسطينيون من أوائل الأشخاص الذين تنبهوا لخطر الصهيونية، فكتب نجيب عازوري في عام 1905 كتابه الشهير عن يقظة الأمة العربية، والذي تصدى فيه إلى خطر الصهيونية ونادى بتأسيس كنيسة عربية وطنية فلسطينية واحدة بعيدًا عن الطائفية.

أما نجيب نصار رئيس تحرير جريدة الكرمل فقد أصدر في عام 1911 كتابه عن الصهيونية والذي حذر فيه من خطرها على مستقبل فلسطين. كما وانبرى نجيب نصار لمقاومة الطائفية وأدرك برؤيته الثابتة أن الطائفية والكولونيالية إنما هما وجهان لنفس العملة. وفي هذه الحقبة انبرى المطران غريغوريوس حجار من كنيسة الروم الملكيين بمهاجمة المشروع البريطاني في فلسطين مبينًا خطره وخطر الصهيونية على مستقبل المنطقة. وينقصنا الوقت للتطرق إلى شخصيات أخرى كثيرة مثل عيسى العيسى والقس الياس مرمورة الذين أسسوا لحركة وطنية فلسطينية تنبهت في وقت مبكر جدًا إلى خطر الصهيونية، والتغلغل الأوروبي، وراحت تحارب الطائفية والاستعمار بكل أشكاله.

2- الحقبة الثانية 1936- 1939

مع منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي أدرك الفلسطينيون أن الانتداب البريطاني لم يأت ليؤهل فلسطين للحرية السياسية ولبناء الدولة الفلسطينية وإنما جاء تلبية للمطامع البريطانية الاستعمارية من جهة وكمقدمة لقيام الدولة اليهودية على الأرض الفلسطينية.

ومع ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد اعتلاء هتلر سده الحكم في ألمانيا، بدأ الفلسطينيون إضرابهم الشهير عام 1936 والذي استمر زهاء ثلاث سنوات. في هذا الفترة نرى العديد من الشخصيات المسيحية الوطنية ترفع صوتها عاليًا في فلسطين كما في المحافل الدولية ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر توفيق كنعان، كبير الإثنوغرافيين الفلسطينيين الذي أصدر إبان فترة الإضراب الكبير كتابه "قضية عرب فلسطين" مبينًا خطر الاستيطان والهجرة اليهودية على مستقبل المنطقة. ومن يقرأ هذا الكتاب ضمن السياق الحاضر للإستيطان اليهودي سيظن أن هذا الكتاب قد كتب للتو ففيه من بعد النظر الكثير الكثير.

لم يكن توفيق كنعان الوحيد من بين أقرانه، بل هناك شخصيات أخرى كثيرة قبل عيسى البندك وغيرهم الذين راحوا يتصدون للسياسة البريطانية بتسليم فلسطين إلى اليهود. في هذه الفترة نجد كيف أن العديد من القساوسة اللوثريين أمثال القس حنا بحوث، وسعيد عبود، وشديد باز حداد، راحوا في عظاتهم ودروسهم الدينية يعالجون خطر الصهيونية ويدعون إلى مواقف وطنية محذرين من أساء استخدام الكتاب المقدس باسم الصهيونية لاحتلال الأرض.

3- الحقبة الثالثة 1947-1948

لقد صدر في 29-11-1947 قرار الأمم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة يهودية وأخرى عربية، مع وضع دولي خاص للقدس وضواحيها. ولم يلق هذا القرار قبولاً فلسطينيًا إلا من مجموعات صغيرة رأت فيه أصغر الشرّين.ولكن أطاحت النكبة والني جاءت ستة شهور بعد صدور القرار لتقلب الموازين. فجراء النكبة خسر الفلسطينيون قرابة 77% من الأرض ، وتهجر أكثر من 700,000 منهم وكان من بين المهجرين قرابة 47 ألف مسيحي فلسطيني.

في هذه الفترة تغير الدور المسيحي الفلسطيني. فقبل النكبة كان الدور المسيحي هو دور لأفراد أكاديميين أو رجال دين وطنيين راحوا يكتبون ويحذرون من خطر الاستعمار الأوروبي واليهودي. أما وقد تشرد الشعب ودكّت قراه فقد حان الوقت لجهد مسيحي وطني جماعي. في هذه الحقبة نرى المؤسسات المسيحية تنخرط في إغاثة المنكوبين. في هذا السياق تم تأسيس البعثة البابوية إلى فلسطين في 18-6-1949، كما وقام الإتحاد اللوثري العالمي بتحويل مستشفى المطلع لإغاثة المنكوبين وبدأ بحملة إغاثة واسعة النطاق.

كما وأسس مجلس الكنائس العالمي برنامجًا خاصًا لمساعدة اللاجئين. ولكن لم ينحصر الدور المسيحي في برامج الإغاثة، بل وبعد أن يئس الفلسطينيون من الدول العربية ورأوا بلادهم وقد ضاعت منهم، أسس نفر منهم أمثال جورج حبش ووديع حداد حركة القوميين العرب منادين بالمقاومة المسلحة عنوانًا لهذه المرحلة، على أساس إن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

وقد تميزت هذه المرحلة بمحاولات عدة لتعريب الكنيسة ومقاومة الهيمنية الأجنبية فيها. في هذه المرحلة تم رسامة الأب منصور جلاد من يافا كأول مطران مساعد للبطريرك اللاتيني، وذلك عام 1947 تبعه حنا كلداني كمطران مساعد آخر في الناصرة عام 1964، كما وتم دعوة المؤتمر الأرثوذكسي للإجتماع بهدف تعريب الكنيسة وذلك عام 1956 بعد أن فشلت محاولات مماثلة في الأعوام 1923، 1931، 1944. وفي هذا السياق تم رسامة أول مطران أسقفي عربي وهو المرحوم نجيب قبعين، كما وتم تأسيس أول مجمع (سنودس) لوثري عام 1959 حيث تم الاعتراف الرسمي بالكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن. وقد برز في هذه المرحلة القس د. زيد عودة راعي الكنيسة الإنجيلية الوطنية في بيروت الفلسطيني الأصل.

وقد تأثرت حركات التعريب هذه بالفكر القومي العربي الذي جسده جمال عبد الناصر خاصة بعد تأميم قناة السويس عام 1976. ولكن ومع خسارة عبد الناصر لحرب 1967، اتجه الكثير من المسيحيين الفلسطينيين إلى الفلسفة الشيوعية بأشكالها الماركسية واللينينية والماوية تماشيًا مع المد العالمي لهذه الحركات منتصف الستينيات.

4- الحركة الرابعة 1967

لقد شكل احتلال الضفة الغربية وغزة والجولان ضربة قاسية للحركات القومية العربية. وقد تمخض عن هذا الاحتلال بروز منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعيًا ووحيدًا للشعب الفلسطيني ولقد شكل المسيحيون الفلسطينيون جزءًا لا يتجزأ من حركة التحرر الوطنية هذه. وبرزت بيروت هنا مركزًا لا لمنظمة التحرير فحسب بل للإنتلجنسيًا الفلسطينية أيضًا.

وقبل أن تضع حرب 1967 أوزارها اجتمع نفر من اللاهوتيين العرب في بيروت نذكر منهم الأب جان كوربون، الأب جورج خضر، السيد ألبرت لحام، القس سمير قفعيتي، والسيد جابرئيل حبيب لكتابة أول وثيقة لاهوتية مسكونية بعنوان "نظرة لاهوتية على الصراع العربي الاسرائيلي". في هذه الوثيقة تصدى الكتاب إلى الفكر المسيحي الصهيوني الذي رأى في احتلال الضفة نصرا من عند الله. كما وأصدر الاتحاد العالمي للطلبة المسيحيين وثيقة العدل والسلام في الشرق الأوسط والتي كانت أول وثيقة لاهوتية تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية.

وقد أقام مجلس كنائس الشرق الأوسط في هذه الحقبة عشرات المؤتمرات والتي تمحورت حول القضية الفلسطينية والذي برز فيها بالإضافة إلى الشخصيات التي سبق ذكرها الأب بول ترزي والقس فؤاد بهنان وغيرهم.

كما وقامت منتديات كاثوليكية كثيرة مثل لجان العدل والسلام ومركز كيرلس بإصدار عشرات البيانات المنادية بعدالة القضية الفلسطينية واستحقاقها، هنا أيضًا كان الأب د. رفيق خوري والمطران لطفي لحام على رأس هذا الحراك.

ولقد مهدت حرب 1967 الطريق لصعود الحركات الدينية، فبعد أن فقد الكثيرون آمالهم بالقومية العربية توجه الكثيرون إلى الحركات الدينية، كما وشكل احتلال الضفة الغربية والقدس الشرقية بالتحديد مرتعًا خصبًا للحركات الدينية اليهودية الاستيطانية أمثال غوش إيمونيم وغيرهم، كما ونرى حركة المسيحيين الصهاينة وقد استعادت عنفوانها نتيجة الحرب.

ولقد رأى المسيحيون الفلسطينيون أنفسهم في مواجهة هذه الحركات الدينية قاطبه، فلم يركبوا موجة الحركات الدينية بل راحوا يقاومونها بكل ما أوتوا من قوة. وقد برز في هذه الحقبة شخصيات مسيحية وطنية أمثال المطران هيلاريون كبوجي والأب ابراهيم عياد.

5- الحقبة الخامسة 1987

مع نهاية الحرب الباردة ويأس الفلسطينيين من الدول العربية أخذ الأكاديميون الفلسطينيون في الضفة وقطاع غزة زمام المبادرة والتي تجلت في الانتفاضة الشعبية لعام 1987.

وقد تميزت هذه الانتفاضة الأولى بالمقاومة الشعبية والمظاهرات السلمية. وتصدر رجال الدين المسيحيين صدارة المظاهرات هم وإخوانهم رجال الدين المسلمين بالإضافة إلى القيادات السياسية الوطنية. وفي هذه الحقبة جسدت مدينة بيت ساحور مثالاً رائعًا في المقاومة السلمية تجسيدًا لهذا الدور المسيحي الوطني لتلك الحقبة.

ولقد دفعت الانتفاضة الأولى القيادات المسيحية ورؤساء الكنائس لإصدار بيانات المناصرة للانتفاضة والمدافعة عن الحق الفلسطيني حيث صدر البيان الأول في 22-1-1988 أي أسابيع قليلة فقط بعد منشور الانتفاضة الأولى. كما ودفعت الانتفاضة بالفاتيكان لرسامة ميشيل صباح أول بطريرك فلسطيني للديار المقدسة.

كما وقام مركز اللقاء للدراسات الدينية بإطلاق وثيقة اللاهوت والكنيسة المحلية والتي فتحت الباب لكتابه لاهوت مسيحي للسياق الفلسطيني. وقد اشترك في كتابة هذه الوثيقة وفي مركز اللقاء شخصيات كنسية، البطريرك ميشيل صباح، المطران لطفي لحام، القس منيب يونان، الأب رفيق خوري، القس د. متري الراهب، وشخصيات أخرى مثل يوسف زكنون، بيتر قمري، جورج هنتليان، شكري صنبر، عدنان مسلم ، لورنس سمور وغيرهم.

كما وتم في هذه الحقبة مأسسة اللاهوت الفلسطيني عبر مراكز ثلاثة: مركز اللقاء للدراسات الدينية والذي أسس عام 1982، مركز السبيل للاهوت التحرر عام 1989، ودار الندوة الدولية – ديار عام 1995. كما وتميزت هذه الحقبة بغزارة الانتاج الأدبي اذ تم إصدار ما يزيد عن 25 كتابًا لاهوتيًا باللغات العربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية.

6- الحقبة السادسة 2009

لقد جاء الانقسام الفلسطيني عام 2007 ليشكل تدهورًا خطيرًا في المشروع الوطني الفلسطيني. بل ولقد تميزت هذه الحقبة بيأس من مقاومة مسلحة لم تؤت أوكلها وعملية سلمية لم تأت بالسلم بل زادت المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية. في هذا السياق شعر مجموعة من المفكرين المسيحيين بضرورة رفع صوتهم عالياً منادين بطريق ثالث هو طريق المقاومة المبدعة.

لذلك قامت هذه الشخصيات المسيحية والمكونة من البطريرك ميشيل صباح، المطران عطا الله حنا، القس د. متري الراهب، الأب جمال خضر، القس نعيم عتيق، القس يوحنا كتناشو، القس فادي دياب، د. جريس خوري، والسيدات سيدر دعيبس، نورا قرط، لوسي ثلجية، والسادة نضال أبو الزلف، يوسف ضاهر، ورفعت قسيس بإطلاق وثيقة وقفة حق – كايروس فلسطين وذلك في دار الندوة الدولية في 11-12-2009. وقد أراد مؤلفو هذه الوثيقة أن يقولوا كلمة الإيمان ضد الأوصوليات الدينية على اختلاف أنواعها، وكلمة رجاء في زمن اليأس المحبط، وكلمة محبة عنوانًا لمقاومة مبدعة تبغي الحياة لا الموت. ولقد شكلت هذه الوثيقة صوتًا مسيحيًا فلسطينيًا وطنيًا واعدًا وموحدًا.

وإذ احتفلت المبادرة المسيحية الفلسطينية كايروس فلسطين في الأسبوع المنصرم بعامها السابع، إلا وأدركت أنها تواجه اليوم تحديات صعبة وعظيمة.

فمن جهة يواجه الفلسطينيون نظامًا سياسيًا اسرائيليًا إحلاليًا، هذا بالإضافة إلى صعود يمين متطرف جديد في أوروبا وأمريكا، ناهيك عن الداعشية الإسلاموية، وتعاظم الصهيونية المسيحية وتفتت الدولة القومية العربية بالصراعات الداخلية الطائفية منها والأثنية.

أمام هذه التحديات لا بد من وقفة حق والمناداة بإيمان واعٍ وعاقل، ولا بد من الصمود على الأرض ومحاربة الهجرة والانكفاء السياسي، ولا بد من مقاومة مبدعة تشكل المقاطعة أحد مقوماتها.

وهكذا شكل الفلسطينيون المسيحيون جزءًا لا يتجزأ من الحركة الوطنية الفلسطينية واعتمدوا أشكالاً مختلفة من المقاومة أتت متماشية مع السياق التاريخي والإقليمي والعالمي، وشكلت صوتًا نبويًا انسانيًا مميزًا

تاريخ العلاقة بين الفاتيكان وفلسطين
(جريدة الأنباء الالكترونية 2015/5/29)

شهد القرن العشرين علاقات ديبلوماسية وسياسية بين الفاتيكان والكرسي الرسولي وبين فلسطين متمثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

عام 1979 أول لقاء مباشر بين الفاتيكان والجانب الفلسطيني حين التقى البابا يوحنا بولس الثاني بممثلي منظمة التحرير الفلسطينية خلال زيارة في مقر الأمم المتحدة في مدينة نيويورك، ومنذ ذلك التاريخ تواصلت اللقاءات .

والتقى ياسر عرفات في 15 أيلول 1982 البابا يوحنا بولس الثاني في أول زيارة تاريخية له لمدينة الفاتيكان، تبعها العديد من الزيارات إلى أن أقيمت العلاقات الدبلوماسية مع منظمة التحرير الفلسطينية في 26 تشرين الأول 1994.

وفي 15 شباط 2000 وقع الكرسي الرسولي على وثيقة "اتفاقية أساسية"، والتي أتت فقط قبل حج البابا يوحنا بولس الثاني إلى الأراضي المقدسة. هذه الوثيقة رفعت العلاقات بين الكرسي الرسولي والسلطة الوطنية الفلسطينية إلى مستوى العلاقات مع إسرائيل، التي تم التوقيع على اتفاق مماثل معها عام 1993.

يتضمن الاتفاق الأساسي بين الكرسي الرسولي ومنظمة التحرير الفلسطينية نقطتين هامتين أولها دعوة الكرسي الرسولي إلى "حل عادل لقضية القدس" على أساس "قانون خاص لمدينة القدس، ذات ضمانات دولية ."

ستة لقاءات جمعت أبو مازن ببندكتس السادس عشر؛ خمس مرات في روما، وواحدة في الأراضي المقدسة خلال زيارته في العام 2009.

الأهم من ذلك، منذ أن أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بتغيير وضع "كيان" فلسطين إلى "دولة مراقبة غير عضو" في العام 2012، فإن الكرسي الرسولي يشير إلى فلسطين بـ"دولة فلسطين" كما أن البابا رحب في عام 2012 بالقرار الذي اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن الاعتراف بدولة فلسطين .

أما عام 2015 فشهد الانعطافة الاكبر بتاريخ العلاقات باعتراف الفاتيكان بدولة فلسطين وتطويب قديستين فلسطينيتين عاشتا في فلسطين خلال فترة الحكم العثماني في القرن الـ19.

علاقة الفاتيكان بمدينة القدس " الأراضي المقدسة"

كان موضوع القدس هو الموضوع الجوهري والأكثر حساسية بالنسبة للفاتيكان لما لديه من أهمية في التاريخ المسيحي

وعارض الفاتيكان في الأساس مبدأ العنف، وكان حريصاً على أن يسود التعقل مكان السلاح. بيد أنّ مقاربة الفاتيكان للحروب العربية الإسرائيلية كانت تنطلق بوحي تخوفه على الأماكن المقدّسة المسيحيّة بدرجة أولى، وهذا ما دفع بالعديد من المراقبين إلى اعتبار الموقف الفاتيكاني مفرغ من محتواه الإنساني والسياسي. إذ لم يخلُ تصريح في أثناء الحروب من المناشدة لتجنيب تلك الأماكن وخصوصاً القدس «آلام الحرب وأضرارها» في الوقت الذي كان الفلسطينيون يحتاجون إلى موقف أكثر طموحاً وقوة يحدد من خلاله وبشكل واضح لا لبس فيه على من تقع المسؤولية في هذه الحروب ومن هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه.

فمنذ حرب 1967، ركز البابا جهوده على موضوع القدس واقترح وضعها تحت إدارة هيئة الأمم المتحدة كحل مقبول عند جميع الديانات. وبعث برسائل شفهية إلى رؤساء الدول الخمس الأعضاء الدائمة في مجلس الأمن يلفت نظرهم فيها إلى "حال القدس ذات الأهمية الدينية"وإلى بيت لحم وغيرها من الأماكن المقدسة. وطلب في هذه الرسائل من الدول الخمس توحيد مواقفها حيال إنقاذ الأماكن المذكورة.

فالقدس التي كانت على الدوام مهداً للأديان السماوية الثلاثة، هي اليوم مهداً للاحتراب بفعل المصالح المتناقضة وبفعل موروثات دينية وحضارية وسياسية. والقدس منذ أن أطلق المسيح دعوته منها تعد مكوّناً أساسياً من مكوّنات الثقافة المسيحية، ووجود كنائس كالقيامة والمهد والجثمانية والبشارة وغيرها يزيد من ارتباط المسيحيين بها، والحروب الصليبية قامت في واحدة من أبعادها على إرادة استرجاع الأراضي المقدسة وعلى رأسها القدس.

وعلى هذا الأساس كان اهتمام البابوات بالقدس اهتماماً ينبع من تلك العلاقة التاريخية والدينية الوثيقة. يقول أحد المقربين من البابا الراحل يوحنا بولس الثاني لأحد الشخصيات الفلسطينية: «ثق أنّ تدخل البابا في المسألة الفلسطينية فاق تدخله في المسألة البولندية. وعندما سأله عن السبب أجاب: القدس هي السبب». وليس مستغرباً أن نجد الفاتيكان يبحث عن كل وسيلة تكفل حماية القدس وكل الإرث الديني والحضاري والتاريخي الموجود في هذه المدينة المقدسة، لذلك نراه على استعداد لتقبّل كل مبادرة تصب في هذا الاتجاه. وهو قد سعى عبر مراحل زمنية متعددة لتكييف موقفه مع الأوضاع القائمة والظروف السياسية حتى يحافظ على التراث المسيحي الموجود فيها، وقبل بالتالي بالعديد من الصيغ التي طُرحت على بساط الحل. فمن التدويل الى النظام الخاص، الى المدينة المفتوحة، الى المدينة الرمز، إلى المدينة المقدّسة للأديان الثلاث التي لا يجوز احتكارها من أي دين أو طرف لأنها إرث مشترك لها، الى مدينة الإنسان، وغيرها من الصيغ التي لم تجد لها طريقاً الى حيّز الواقع، كان الفاتيكان يسعى ليخلق في القدس مساحة للعيش والتعايش بين أتباع الديانات الثلاث

العامل الديني هو المحرك الأساس داخل الفاتيكان في وجه الحركة الصهيونية:

إنّ بيانات ومواقف الفاتيكان جاءت على خلفية دينية مباشرة. وهي تعبير حقيقي عن تيار داخل الكنيسة يراقب ما يدور حوله من أحداث وتحولات ويدرس انعكاساتها على المسيحيين، وبهذا المعيار يُعتبر العامل الديني هو المحرّك الأساس لرفض المشروع الصهيوني، حيث شكلّت النصوص الدينية مرجعية تاريخية اعتمدها البابوات في طريق تأكيد لا دينية ما تخطط له الحركة الصهيونية.

فقد وقف الفاتيكان في وجه مشروع الحركة الصهيونية لإقامة وطن في فلسطين، وقد تجلى ذلك عبر البيان الذي جاء عقب المؤتمر الصهيوني في بازل عام 1897 وفيه: «إن بناء القدس كي تصبح مركزاً لدولة إسرائيل يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه». ومن ثم جاء تصريح البابا بيوس العاشر عام 1904 الذي رفض بشكل حاسم ومباشر بعد لقائه مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هيرتزل إقامة الوطن اليهودي «لأنه يتناقض مع المعتقد المسيحي»، وما فعله البابا بندكتوس الخامس عشر الذي رفع شعار «لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة.«

عدم اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بالشعب اليهودي كشعب (أمة) له الخصائص والأوصاف المعروفة لدى الشعوب الأخرى، وهذا مردّه الى الجدل الذي قام حول البنية الدينية والثقافية والاجتماعية لليهود في أوروبا مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين واستمر لاحقاً بأشكال ومستويات متفاوتة وصولاً إلى لحظة إعلان الحركة الصهيونية عزمها إقامة وطن في فلسطين. إنّ عدم اعتراف الكنيسة هذا يستمد زخمه من عمق الخصومة بين الديانة المسيحية والديانة اليهودية التي امتدت لأكثر من ألفي عام حول مسائل لاهوتية أخطرها على الإطلاق مسألة صلب السيد المسيح وقتله

أنّ الكاثوليك في العالم «ستُجرح كراماتهم اذا سُلّمت فلسطين الى اليهود» أو وضعت بصورة عملية تحت السيطرة اليهودية المباشرة، غير أنّ سرعة الأحداث وتطورها الدراماتيكي وضبابية الموقف الدولي العام جعل الفاتيكان يلتزم الصمت إزاء الإعلان الرسمي لقيام دولة إسرائيل عام 1948 التي كانت حينها تمثّل المصالح الغربية والخيار البريطاني تحديداً.

الاتفاق الفاتيكاني مع الفلسطينيين من جهة، والاتفاق مع الكيان الإسرائيلي من جهة أخرى

منذ بداية الصراع العربي الصهيوني وسياسة الفاتيكان بصدد الشرق الأوسط تسير في اتجاهين: اتجاه يهدف إلى توطيد العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والعالم العربي و اتجاه يوازي الاتجاه الأول ويهدف إلى إيجاد صيغة للتفاهم بين المسيحية واليهودية رغم العداء المستحكم بينهما بسبب إيمان المسيحيين بثبوت جريمة اليهود في صلب المسيح.

فقد شهد عام 1971 أزمة حادة بين (إسرائيل) والفاتيكان. ففي 1971/3/13 وجه البابا بولس السادس نداء طالب فيه "بنظام دولي خاص لمدينة القدس". ثم تبع ذلك مقال في صحيفة الفاتيكان الرسمية ينتقد بشدة سياسة تهويد القسم العربي من المدينة المقدسة ويدين عملياً الطرد الجماعي التي تمارسها (إسرائيل) ضد السكان العرب

فشلت (إسرائيل) في محاولاتها استدراج الكرسي البابوي في الفاتيكان إلى الاعتراف بها رغم زيارة غولدا مائير للفاتيكان في 1973/1/15. وقد شددت وسائل الإعلام الصهيونية آنذاك على أن زيارة مائير للفاتيكان تعني تحولاً جذرياً في سياسة البابا نحو قضايا الصراع في الشرق الأوسط. وجه البابا بولس السادس نداء إلى حكومات الدول المتحاربة في الشرق الأوسط لالتزام الهدوء، وندد بالدول التي تجعل الحرب أكثر دماراً. كما عبر ابابا عن تعاطفه مع شعب فلسطين وقال انه سيصلي من أجله.

وقبيل وفاة البابا بولس السادس بأيام قلائل في عام 1978 قال بأن المسألة الفلسطينية لا يمكن اختزالها في مأساة اللاجئين، وإنما تتعداها إلى حق شعب كامل في أرض وفي وطن

وفي الخامس عشر من أيلول/سبتمبر 1982 استقبل البابا الرئيس ياسر عرفات بعد خروجه من بيروت مع منظمة التحرير الفلسطينية.من هذا ندرك أن الفاتيكان رغم تغير موقفه من اليهود كان يحاول أن يوازن ذلك مع موقفه من العرب، فهو لا يريد اغضاب الكاثوليك العرب مما عرضه إلى هجوم شديد من اليهود والصهاينة وبذل الكثير من الضغوط عليه حتى يرضخ لمطالبهم.

أصدر الفاتيكان في عام 1986 وثيقة في غاية الأهمية بالنسبة لليهود يعترف فيها "بارتباط اليهود ارتباطاً دينياً بأرض أجدادهم ويدعو المسيحين إلى تفهم سبب تمسك اليهود دينيا بأرض أجدادهم وهو أمر يضرب جذوره في التوراة."

لقد كان إصدار هذه الوثيقة حدثاً هاماً، وأكبر تحول للفاتيكان في مواقفه نحو اليهود وتجاه القضية الفلسطينية والصراع العربي – الإسرائيلي. وكانت هذه الوثيقة بمثابة تمهيد لما حدث في الثلاثون من كانون الأول/ ديسمبر 1993 حين اعترف الفاتيكان بإسرائيل وتبادل معها وثائق الاعتراف الرسمي ووثائق تتعلق بتنظم العلاقات بينهما الذي حصل بفعل المتغيرات التي تتالت منذ تسعينيات القرن الماضي. فمن سقوط الاتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي مروراً بحرب الخليج الثانية إلى مؤتمر مدريد وغيرها من التطورات الدولية التي كان لها صلة مباشرة في الوصول الى هذه النتيجة، وفي مطلع العام 1994 أقام معها علاقات ديبلوماسية، وشارك في شباط/ فبراير من العام نفسه في أول مؤتمر مسيحي – يهودي عقد في مدينة القدس بمبادرة من الفاتيكان حضره ممثلون عن 97 دولة. وفي عام 1997 عقد اتفاق إسرائيلي – فاتيكاني يشرع للمرة الأولى وضع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في الأراضي المقدسة.

وثيقة الاعتذار

ولعل من أبرز ملامح تطور العلاقات بين إسرائيل والفانيكان ما حدث في السادس عشر من آذار/ مارس 1998 حينما أعلن الفاتيكان عن وثيقة الاعتذار حول ما سمي بمحرقة اليهود في ألمانيا النازية في أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي هذه الوثيقة أعلن الفاتيكان عن استنكاره اضطهاد اليهود وما أصابهم في القرن العشرين من التنكيل وتعذيب وتقتيل خصوصاً في "المحرقة النازية البشعة

وفي مارس/ آذار 2000 قام البابا يوحنا بولس الثاني بزيارة للأماكن المقدسة في فلسطين وقد أثيرت الكثير من الشكوك حول هذه الزيارة وأهدافها إلا أن الفاتيكان حاول أن يجعل منها دينية محصنة. والتزم

البابا جانب الحذر في كل كلمة بقولها وفي كل خطوة يخطوها، ولذلك اتسمت أقواله بالعمومية ولم تخرج عن إطارها الديني أو الإنساني. ففي أثناء زيارته لمخيم الدهيشة الفلسطيني القريب من بيت لحم*

يوم الأربعاء 2000/3/22 خاطب البابا اللاجئين بقوله "لا يمكن أن يتجاهل إنسان قدر معاناة الشعب الفلسطيني في العقود الأخيرة

<u>زيارات بابوات الفاتيكان إلى فلسطين</u>

زيارة البابا بولس السادس في كانون الثاني (يناير) 1964
زيارة البابا يوحنا بولس الثاني في آذار (مارس) عام 2000
زيارة البابا بندكتس السادس عشر في أيار (مايو) عام 2009
زيارة البابا فرنسيس الأول في أيار (مايو) عام 2014
تواريخ ذات صلة

تصريح البابا بيوس العاشر الذي رفض بشكل حاسم ومباشر بعد لقائه مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هيرتزل إقامة الوطن اليهودي 1904
أزمة حادة بين (إسرائيل) والفاتيكان نتيجة سيلسة تهويد القدس 1971
أول لقاء مباشر بين الفاتيكان والجانب الفلسطيني 1979
استقبال الفاتيكان للرئيس ياسر عرفات بعد خروجه من بيروت 1982
وثيقة اعتراف الفاتيكان باربتاط اليهود تاريخيا بأرض فلسطين 1986
عقد اتفاق إسرائيلي – فاتيكاني يشرع للمرة الأولى وضع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في الأراضي المقدسة 1997
"وثيقة اعتذار الفاتيكان لليهود" حول ما سمي بمحرقة اليهود 1998
توقيع الكرسي الرسولي على وثيقة "اتفاقية أساسية" مع السلطة الوطنية الفلسطينية 2000
اعتراف الفاتيكان بدولة فلسطين وتطويب قديستين فلسطينيتين 2015

إريك فراتّيني: عملية لا أحد ينام

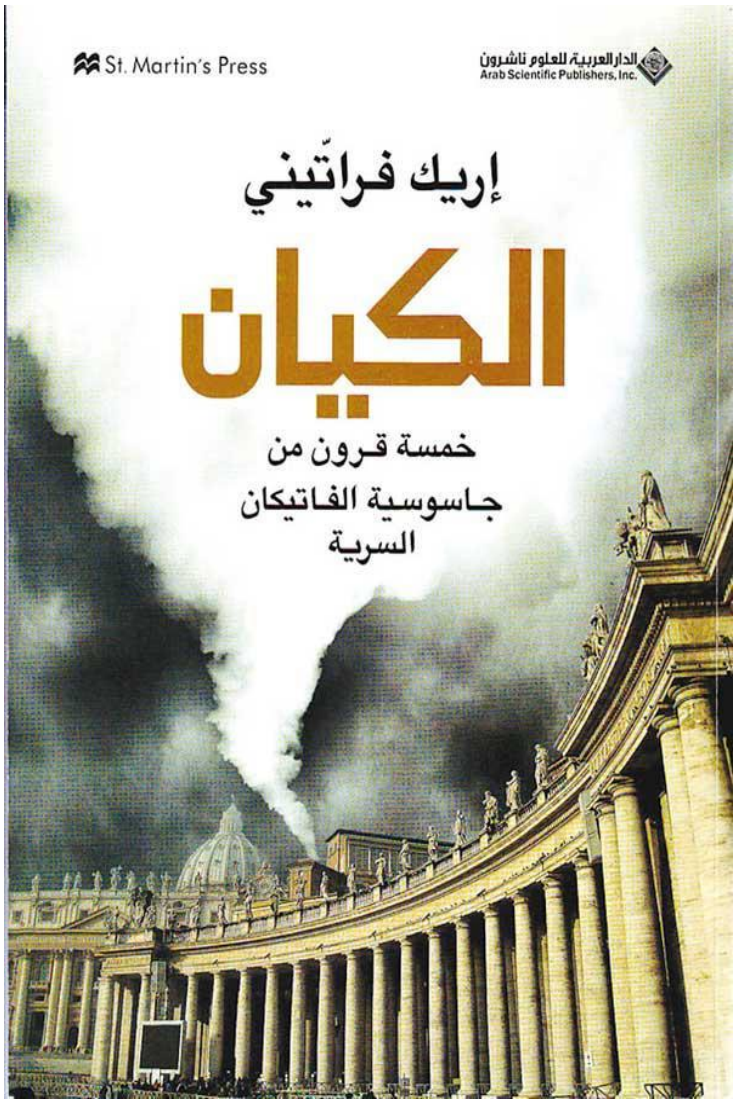

في أوائل شباط / فبراير، طلب الحبر الأعظم من رئيسي الحلف المقدس وجمعية بيوس عقد اجتماع معه في غرفة الطعام الخاصة به. والتقى الرجال الثلاثة لمدة حوالي ثلاثة ساعات ونصف، ولم يعلم أحد سواهم بما قيل وكيف قيل، ولكن بولس السادس طلب من مديري مخابراته في أثناء الاجتماع وضع ما بات معروفاً باسم "عملية لا أحد ينام" موضع التنفيذ.

وتمثّل هدف هذه العملية بوضع تقرير عام يُظهر متطلبات وعيوب كل دوائر الفاتيكان، ويفصّل الاتهامات الموجّهة إلى مسؤولي الفاتيكان باعتماد سلوك فاسد. وبالرغم من تكليف الحلف المقدس مهمة التحقيق، عُهد بوضع التقرير النهائي إلى رئيس الأساقفة إدوار غانيون والمونسينيور استفان مستر، رئيس الإكليروس.

طيلة شهور، قطع عملاء الحلف المقدس كيلومترات وهم يتنقلون في أروقة الفاتيكان سائلين ومستجوبين كل المسؤولين في عدة إدارات بابوية. وفي غضون أسابيع قليلة، كان لدى جواسيس البابا مئات الاتهامات الموجّهة إلى الأساقفة والكرادلة بالشذوذ والجرائم. وأخيراً، أمضى رئيس اللجنة، المونسينيور غانيون، ثلاثة أشهر في تنظيم المعلومات التي جمعها الحلف المقدس. وحمل التقرير الضخم الذي كشف عن النشاطات داخل الإدارة البابوية عنوان لا أحد ينام، وهو العنوان نفسه لعملية الحلف المقدس، وكان عملاء الحلف المقدس وجمعية بيوس يتناوبون على حراسته كل ليلة، في حين أن قوى أخرى عقدت العزم على ألا يصل التقرير أبداً إلى بولس السادس.

عندما انتهى المونسينيور غانيون من كتابة التقرير، طلب من أمانة سر الدولة إجراء مقابلة رسمية مع البابا. لقد أراد غانيون إبلاغ بولس السادس شخصياً بما وقّع عليه عملاء الحلف المقدس. ومرت الأسابيع من دون أن يتلقى جواب. أخيراً، أجابت أمانة سر الدولة بأنه نظراً إلى الطبيعة الحساسة للمسألة، يُفترض تسليم الملف إلى مجمع الإكليروس برئاسة الكردينال جون جوزيف رايت حيث يبقى برعاية المونسينيور استفان مستر إلى أن يُستدعى غانيون لعقد اجتماع مع البابا.

لقد تمّ إخفاء الملف في صندوق ذي أقفال معدنية داخل إحدى الغرف الخاصة بمجمع الإكليروس. وفي صباح 2 حزيران / يونيو 1974، فتح المونسينيور مستر باب هذه الغرفة ووجد كتباً مبعثرة على الأرض، وأوراقاً في حالة من الفوضى، وصناديق مفتوحة. فاتصل على الفور بالمونسينيور غانيون الذي اتصل بدوره برئيسي الحلف المقدس وجمعية بيوس. ولدى وصولهما، وجدا مستر على ركبَتيه أمام الصندوق الذي كان تقرير لا أحد ينام قد وُضع فيه بعد ظهر 30 أيار / مايو. لقد تمّ انتزاع الأقفال من مكانها واختفى التقرير الذي يتضمن التحقيق الكامل. فاستنتج جهاز التجسس المضادأن اللصوص يمتلكون مفاتيح قسم مجمع الإكليروس لأن اياً من أقفال الباب لم يتم فتحها بالقوة، وأن الدخلاء المجهولين ارتكبوا عملية السرقة في وقت ما يوم السبت 31 أيار / مايو والأحد 1 حزيران / يونيو.

وعندما علم البابا بولس السادس بأمر الاعتداء، أمر كل من له صلة بالقضية، بمن فيهم عملاء التجسس المشاركون في التحقيق، اعتبار أنفسهم خاضعين لقانون "السرية الحبرية".

وأبلغ المونسينيور غانيون أمانة سر الدولة بأنه على استعداد لوضع تقرير جديد. والغريب في الأمر أنه طُلب منه تسليم ملاحظاته إلى أمانة السر (كان لا يزال خاضعاً لقانون "السرية الحبرية") وتعليق أي عمل إضافي حتى تلقّى أوامر جديدة. وتسلّم كاميلو سيبين، رئيس هيئة الحراسة (شرطة الفاتيكان)، التحقيق في شأن السرقة، ولم يتم إشراك أجهزة المخابرات التي جمعت المعلومات في أثناء عملية لا أحد ينام.

كان على سيبين إبلاغ أمانة السر فقط من دون إعداد ملف بتقارير مكتوبة حول أي جزء من التحقيق. وأمر البابا إبقاء الأمر برمّته طيّ الكتمان،، ولكن شائعات عن سرقة ملف سري كانت قد بدأت تسري خارج الفاتيكان وداخله.

وفي يوم الثلاثاء 3 حزيران / يونيو، بدأت الصحافة تورد خبر "قيام لصوص باقتحام غرفة مُحكمة الإغلاق في مكان ما داخل الفاتيكان، ويُعتقد أن تقريراً أُعدّ نزولاً عند رغبة البابا قد اختفى". ولم يتمكن الدكتور فيديريكو أليساندريني، المتحدث باسم الفاتيكان، من تجنّب أسئلة الصحافيين المتكررة. وأخيراً،

أوردت الصحيفة الرسمية للكرسي الرسولي، الأوسرفاتوري رومانو، خبر السرقة: "إنها سرقة حقيقية ومُخزية. اقتحم لصوص مجهولون مكتب أحد الأساقفة وسرقوا ملفات من صندوق مُحكم الإغلاق بقفل مزدوج. إنها فضيحة حقيقية"، جاء في المقالة.

وفي الأيام التالية، طُرد من الفاتيكان أربعة عشر عضواً من الإدارة البابوية كانوا قد تحدّثوا إلى عملاء للحلف المقدس وزوّدوهم بمعلومات عن حالة الفساد المستشري في دوائر مختلفة. أُرسل خمسة منهم إلى افريقيا في "مهمة تبشيرية".

وبالرغم من عدم الطلب من الموسينيور غانيون وضع تقرير جديد، أعدّ رجل دين سراً نسخة بديلة للتقرير المسروق. ولدى انتهائه، طلب ثانيةً إجراء مقابلة رسمية مع البابا بولس السادس، ورُفض طلبه مجدداً. فطلب بعد ذلك من أمانة سر الدولة إرسال التقرير إلى الحبر الأعظم، ولكن الملف لم يصل إلى هناك. وأخبر شخص ما في أمانة سر الدولة البابا بأنه لم يكن بالإمكان العثور على تقرير لا أحد ينام. وأشارت كل الشائعات التي تناول وجود مؤامرة إلى الكردينال جان فيلو، أمين سر الدولة السابق وكبير الكرادلة السابق في المكتب الرسولي المعروف باسم "نائب البابا" في الفاتيكان.

أخيراً، طلب المونسينيور إدوار غانيون الإذن بالتقاعد وغادر الكرسي الرسولي إلى وطنه الأم كندا. وفي عام 1983، قام يوحنا بولس الثاني باستدعائه إلى روما ورفعه إلى درجة الكردينالة في 25 أيار / مايو 1985.

ولم يُسمع أي شيء آخر عن عملية لا أحد ينام في أروقة الفاتيكان. ولم يقم أي بابا آخر بتكليف الحلف المقدس وجمعية بيوس بإجراء تحقيق مماثل. ولكن أجهزة مخابرات الفاتيكان استمرت بالعمل بأقصى طاقتها في أثناء ولاية بولس السادس الحبرية، مواجهة أعداء جدداً. وأحد هؤلاء منظمة أيلول الأسود.

لقد أظهرت "عملية القدس" التي قام بها الحلف المقدس و "عملية الماس" التي قام بها الموساد أن جهازي التجسس يعملان معاً. وأتى هذا التعاون ثماره بعد سنوات قليلة عندما كشف الموساد النقاب عن عملية لاختطاف البابا بولس السادس أو اغتياله، كان جهاز المخابرات الإسرائيلية في حالة حرب مع منظمة أيلول الأسود بسبب قتل لاعبين رياضيين إسرائيليين في أثناء الألعاب الألولمبية في ميونخ 1972.

ففي أواخر خريف العام 1972، تلقت رئيسة الوزراء الإسرائيلية غولدا مائير رسالة سرية من البابا بولس السادس قال فيها أنه يوّد إجراء مقابلة شخصية ووجيزة معها في الفاتيكان. وفي 11 كانون الأول / ديسمبر، اجتمعت مائير بحكومتها وبرئيس الموساد زفي زامير طلباً للنُصح في شأن لقاء الحبر الأعظم والإجراءات الأمنية المطلوبة.

وأوضحت مائير أنها "لم تكن تريد الذهاب إلى كانوسا"، وهو تعبير إسرائيلي شعبي يُلمح إلى القصر الإيطالي حيث ألحق رأس الإمبراطورية الرومانية هنرى الرابع بنفسه العار عام 1077 لدى إعرابه عن توبته في حضرة البابا غريغوريوس السابع.

كان زامير (من خلال الحلف المقدس) ووزارة الخارجية الإسرائيلية (من خلال أمانة سر الدولة) يعرفون أن 15 كانون الثاني / يناير 1973 هو الموعد المحدد للاجتماع. وقال الكاردينال جان فيلو إن اللقاء سيدوم خمساً وثلاثين دقيقة يليه تبادل الهدايا. ولن يتسع الاجتماع المقرر بين بولس السادس وجولدا مائير جدول أعمال محدد، أي أنه بإمكان الجانبين طرح أي موضوع. ولأسباب أمنية، أوكلت مهمة المراقبة إلى الموساد بإشراف زامير، وإلى الحلف المقدس. ولن يكون هناك أي تصريح علني في أي حال من الأحوال، سواء قبل الحدث أو بعده، يتناول الاجتماع بين المسؤولين رفيعي المقام.

ووفقا للخطة، تسافر مائير جواً إلى باريس لحضور مؤتمر للاشتراكية الدولية في ؤ13 و 14 كانون الثاي / يناير. ومن هناك، تُقلها طائرة لا تحمل أي علامة مستأجرة من قبل خطوط العال الجوية، إلى روما. ولن يعرف معاونو مائير ومرافقوها وجهتهم النهائية حتى إقلاع الطائرة. وبعد لقاء البابا، تسافر مائير إلى ساحل العاج لمدة يومين للاجتماع بالرئيس فيليكس هوفويه – بوانيه، وتعود من هناك إلى إسرائيل.

فقرر زامير الوصول إلى روما قبل أسبوع من الموعد المحدد لإعداد الإجراءات الأمنية وإنشاء قناة اتصال بينه وبين عملاء الحلف المقدس. لقد بدت المدينة الأزلية منطقة محتملة لهجوم إرهابي, ومنذ الاعتداء الذي استهدفت به منظمة أيلول الأسود وفداً إسرائيلياً إلى الأعاب الأولمبية في ميونخ، أصبحت العاصمة الإيطالية ملتقى لإرهابيين من مختلف الفصائل يبحثون عن معلومات، ولمهرّبي أسلحة يسعون وراء زبائن.

وكانت صلتا الوصل بين الموساد والحلف المقدس مارك هسنر من الجانب الإسرائيلي، والأب كارلو جاكوبيني من جانب الحلف المقدس. وانضم شاي كاولي، عميل جهاز المخابرات في مركز الموساد في ميلانو، إلى هسنر. وفي اجتماع سري، أوجز زفي زامير لجاكوبيني، وكاولي، وهسنر، كل تفاصيل رحلة جولدا مائير للقاء البابا بولس السادس. لم يكن يُسمح بتسرّب أي من هذه المعلومات إلى الخارج كما يبدو تجنّباً لتعرّض القائدة الإسرائيلية لمحاولة اغتيال محتمّلة.

وبعد يوم، أعلم جهاز التجسس الفاتيكاني المضاد جاكوبيني بأن شخصاً ما، من المحتمّل أنه كاهن مُلحَق بأمانة سر الدولة، مرّر معلومات عن مائير إلى أحد مصادر المعلومات في روما يُعرَف بعلاقاته مع متطرفين.

فحذَر عميل الحلف المقدس زامير الذي اتصل بغولدا مائير شخصياً محاولاً إقناعها بأنه يكون من الحكمة بمكان إلغاء زيارة بولس السادس. ولكنه كان على يقين بأن مجرد تهديد لن يُثني رئيسة الوزراء على الفوز باعتراف الفاتيكان بإسرائيل حتى وإن كان يتعيّن عليها المجازفة بالتعرض لمحاولة اغتيال على أيدي إرهابيين. وكان جواب مائير لزامير: "يا رئيس الموساد، يقضي عملك بالحؤول دون حدوث ذلك. لا يمكن إيقاف إسرائيل لمجرد تهديد".

وعيّن الفاتيكان خبيراً إضافياً من وحدة التجسس المضاد، جمعية بيوس، لتوفير الأمن المطلوب للاجتماع. إنه الأب أنجيلو كاسوني الذي اكتشف في الواقع أن خبر الرحلة السرية لجولدت مائير للقاء البابا بولس السادس في الفاتيكان قد يكون بلغ مسامع أبو يوسف. وكان كارلو جاكوبيني من الحلف المقدس وزفي زامير من الموساد يعلمان أن مجموعة إرهابية ما ستظهر عاجلاً أم آجلاً. في الواقع، كان يوسف قد وجّه رسالة إلى علي حسن سلامة، المعروف باسم الأمير الأحمر، وهو القائد الأعلى للمجموعة الفلسطينية أيلول الأسود وللعقول المدبرة للعملية التي استهدفت اللاعبيين الرياضيين الإسرائيليين في ميونخ. وجاء في نص الرسالة: "لننل من الذين أراق دمنا فوق أوروبا". والأسلوب الذي يتعيّن اتّباعه والموقع الذي يتعيّن اختياره في محاولة اغتيال مائير رَهن بسلامة. ففي حين يُعتبر اغتيال غولدا مائير إنجازاً كبيراً في سياق القتال الدائر بين الأمير الأحمر والإسرائيليين، يبقى بالنسبة إلى أبو يوسف طريقة رائعة ليُظهر للعالم أن منظمة أيلول الأسود مجموعة إرهابية قوية يجب أخذها في الاعتبار. ومن شأن اغتيال القائدة الإسرائيلية في الفاتيكان أن يدفع باسم هذه المحوعة إلى العناوين الرئيسية لكل وسيلة إعلامية.

في 10 كانون الثاي / يناير، أي قبل خمسة أيام من الاجتماع، دخل رئيس الموساد زفي زامير، وضابط المخابرات الإسرائيلية مارك هسنر، وشاي كولي، سيارة سوداء عبرت شوارع روما في اتجاه الفاتيكان. فتأهّب الحرس السويسري عند البوّابة لدى دخول السيارة إلى المنطقة الإدارية للكرسي الرسولي. وعندما ظهر الركاب، قام الأب كارلو جاكوبيني باستقبالهم. واستناداً إلى التقرير الذي وضعه عن جاكوبيني، علم زامير بأن الكاهن تلقى علومه في الولايات المتحدة وحضر عدة مقررات دراسية عن العمل المخابراتي في لانغلي، مقر قيادة السي آي أيه في فرجينيا. وكان عميل الحلف المقدس يجيد ست لغات بطلاقة، ويُعتبر

في الفاتيكان "نبيلا" حقيقياً بسبب صلاته العائلية بالكاردينال دزمينيكو ماريا جاكوبيني، والكردينال لودوفيكو جاكوبيني (الذي كان أمين سر الدولة إبّان ولاية البابا لاون الثالث عشر الحبرية)، والكاردينال أنجلو جاكوبيني. ومما لا شك فيه أن زفي زامير كان يعرف أن كارلو الشاب مصدراً مفيداً جداً للمعلومات في متاهات الفاتيكان، ولا سيما منذ أن فقد الحلف المقدس الثقة بالسي آي أيه.

ولا يُعرف شيء عن محتوى هذا الاجتماع السري بين الموساد والحلف المقدس داخل الفاتيكان، ولكن زامير غادر راضياً بالتأكيد عمّا سمعه. ولدى عبور ساحة القديس بطرس، أخبر رئيس الموساد سائقه بأنهم ذاهبون إلى المطار للّحاق بالرحلة الجوية المنطلقة إلى تل أبيب.

وباتت "المؤسسة"، وهو الاسم الذي يُعرف به جهاز المخابرات الإسرائيلية، على علم بأن علي حسن سلامة أُبلغ بالرحلة الوشيكة لغولدا مائير إلى روما, وبفضل العمل الذي قام له الأب أنجيلو كاسوني، أدركوا أن عليهم الاستعداد لهجوم محتمَل.

كانت المجموعات سابقة الذكر على علاقة ككيّزة بالكيه جي بي. لقد تم تلقينها المبادئ الأساسية في موسكو، إضافة إلى التدرب على تقنيات الاغتيال واستخدام المتفجرات التي وضعتها في وقت لاحق في مراكز التسوق ومباني الوصول والمغادرة في المطارات المزدحمة.

وكان الموساد والحلف المقدس يعلمان أن ليس باستطاعتهما الاعتماد على الكيه جي بي لاكتشاف أي محاولة اعتداء على حياة غولدا مائير تقوم بها منظمة أيلول الأسود. وإذا أراد منع حدوث ذلك، لا يمكنهما الاعتماد إلا على جهودهما الخاصة,

لم يكن السوفيات ينوون الكشف عن أن رجال حسن سلامة يملكون صواريخ روسية مخبّاة في مبنى صناعي في ميناء يوعوسلافي. وتمثلت الخطة بشحن الصواريخ في مركب صيد من دوبروفنيك إلى باري على بحر الأدرياتيك الإيطالي. ومن هناك، تتجه الصواريخ إلى روما بالشاحنة لتصل في الوقت المحدد قبل جولدا مائير. وواصل زامير والأب جاكوبيني العمل جنباً إلى جنب لاكتشاف موعد الهجوم وكيفية حدوثه، وكل ما كان بإمكانهم القيام به هو الانتظار.

بدأ الهجوم ضد إسرائيل في 28 كانون الأول / ديسمبر 1972 عندما هاجم فدائيو أيلول الأسود السفارة الإسرائيلية في بانكوك. لقد أراد سلامة تشتيت انتباه الموساد عن عملية روما، وكان شنّ هجوم على البعثة الدبلوماسية اليهودية في مكان بعيد هو الوسيلة لتحقيق ذلك.

وقال أنجيلو كاسوني من وحدة التجسس المضاد الفاتيكانية إن أحد مصادره رفع تقريراً مفاده أن الهجوم الذي قامت به منظمة أيلول الأسود على سفارة إسرائيل في تايلندا لم يكن سوى خدعة لإلهاء الرأي العام. فلم يصدّقه حاكوبيني بخلاف زامير. كان الموساد يعرف أن باستطاعة الوحدات الخاصة الإسرائيلية تحرير الرهائن هناك، ورفضت مائير قيام التيلنديين بقطع طريق السفارة عليهم. وأخيراً، وبعد ساعات من المفاوضات، مُنح المهاجمون حرية مغادرة البلد إلى مطار القاهرة. ونصح كارلو جاكوبيني بمواصلة الاستعداد لضربة محتملة للسياسة الإسرائيلية على أراضي الفاتيكان.

وفي وقت مبكر جداً من 14 كانون الثاني / يناير، وقبل يوم واحد من الاجتماع المخطط له بين بولس السادس وغولدا مائير، أبلغ عميل في وحدة التجسس المضاد الفاتيكانية أنجيلو كاسوني بأن أحد المُخربين أخبره بشأن شائعات تتناول حدوث عملية فدائية فلسطينية في أوستيا أو باري. وفي الوقت نفسه، أطلع مُخبر للموساد مؤكز قيادته في السفارة الإسرائيلية في إيطاليا على محتدثة قال في أثنائها رجل ذو لكنة عربية واضحة لرجل آخر ستحدث باللكنة نفسها أن ينتظر شحنة من الشموع.

في الوقت نفسه ايضاً، أبلغ مركز الموساد في لندن زفي زامير بأن أحد المُخربين أشار إلى أن هدف مجموعة أيلول الأسود "تغتيال شخص من اختيارك". زكان رئيس الوساد واثقاّ من أن شحنة الشموع ليست سوى صواريخ، ولكنه كان يعلم أيضاً بأن أياً من غولدا مائير أو بولس السادس سيلغي اللقاء.

فاتصل زامير بهستر وكاولي بينما كان يطلب عقد اجتماع مع الأب جاكوبيني وكاسولي. وكان على أجهزة المخابرات الفاتيكانية البقاء على اطلاع على كل خطوة في العملية لأنها تملك بالتأكيد مصادر أفضل من مصادر الإسرائيليين في روما.

كان علي حسن سلامة المعروف بأبو حسن والأمير الأحمر، قاسي القلب وعلى درجة عالية من الثقافة والنشاط. لقد قيل إنه قتل أخاه من زوجة أبيه بطلق ناري في عينه عندما وجده يمرر معلومات لمنظمة التحرير الفلسطينية، فتح، بقيادة ياسر عرفات. وسلامة متزوج بملكة جمال لبنانية تدعى جورجينا رزق حازت على لقب ملكة جمال العالم للعام 1971.

ووفقاً للموساد، فإن الأمير الأحمر هو وراء محاولة اغتيال غولدا مائير، ولكن الحلف المقدس كان يشك في إمكانية تواجد المهاجم الفلسطيني في روما من دون علمهم.

بزغ فجر 15 كانون الثاني / يناير، وهو اليوم المحدد للقاء، بارداً ممطراً. وكان الموساد، والحلف المقدس، والديغو (الوحدة الإيطالية المضادة للإرهاب) على أهبة الاستعداد. وكان الأب جاكوبيني على ثقة بأن منظمة أيلول الأسود لن تسمح لمائير بمغادرة روما على قيد الحياة، فأطلع البابا بولس السادس

على ذلك. كان زامير وجاكوبيني يعلمان بأن المناطق المجاورة للمطار هي الأماكن الفضلى لتنفيذ الخطة إذا كانت على صورة هجوم صاروخي، وذلك لدى هبوط الطائرة أو إقلاعها. فنشر الموساد والحلف المقدس عملاءهما في المطار والمنطقة المجاورة له لمراقبة أي نشاط مريب.

جاء التنبيه الأول قبل ساعات قليلة من وصول طائرة غولدت مائير. لقد حذّر أحد عملاء جمعية بيوس كان يقوم بمراقبة محيط المطار الأب أنجيلو كاسوني قائلاً إنه رأى سيارة ستايشن، فاقترب منها، وسأل عما إذا كان الركاب بحاجة إلى أي مساعدة. فأجاب الرجال الموجودون في داخلها بعصبية أنهم اتصلوا بشاحنة قّطر. نقل كاسوني هذه المعلومة إلى زامير وهسنر عبر جهاز اللاسلكي، فتوجّها إلى المكان المحدد. وعندما وصلا، وجدا سيارة ستايشن من طراز فيات. فاستلا سلاحيهما وطلبا من السائق الخروج من السيارة والتعريف عن نفسه. وكان كاولو جاكوبيني، عميل أجهزة المخابرات البابوية، يراقب ما يجري من مسافة تقيه مخاطر التطورات المحتملة.

في تلك اللحظة، فُتحت البوابة الخلفية للعربة وانطلق وابل من الطلقات النارية. فنجا عملاء الموساد من أي إصابة تاركين وراءهم مهاجمين مصابين بجروح بالغة، في حين خرّ السائق على الأرض، فقبض عليه العملاء الإسرائيليون ووضعوه داخل سيارة تحمل لوحة الفاتيكان كما يبدو. وجلس هسنر في المقعد بجانب السائق، وإلى جانبه جاكوبيني، في حين جلس زامير في المقعد الخلفي مع المهاجم وضرب رأسه بعقب مسدسه طالباً منه معرفة مكان الصواريخ الأخرى. وعندما لاحت أمامهم الطائرة وهي تقترب من بعيد، شاهد العملاء سيارة ستايشن أخرى بيضاء وقد أُدخلت تعديلات على سطحها الذي خرجت منه عدة أنابيب متجهة نحو السماء.

فانطلق هسنر بأقصى سرعة واصطدم بالسيارة من الجانب مما أدى إلى انقلابها. وفي داخلها، كان هناك عنصران من جماعة أيلول الأسود عالقين تحت ثقل الصواريخ. وطلب زامير من الأ[جاكوبيني الانصراف ليتمكن من إعدام المهاجمين. ولكن عميل الحلف المقدس قال لرئيس الموساد إنه إذا قام بقتلهم، لن يكون هناك خيار آخر سوى إطلاع الحبر الأعظم هلى الأمر فتجد إسرائيل نفسها في وضع صعب.

وآثر زامير عدم جعل العلاقات المعقدة بين إسرائيل والفاتيكان أكثر تعقيداً، لذلك سلّم الإرهابيين إلى الديغو الإيطالي.

عقدت غولدا مائير اجتماعها بالبابا بولس السادس. وبالرغم من إبلاغها بأن الوقت غير مناسب لترسيخ العلاقات، تعهّد البابا بزيارة القدس. ولدى مغادرة الفاتيكان، قالت غولدا مائير لزفي زامير إن " ساعة الفاتيكان تشير إلى وقت مختلف عن الوقت المعتمد من قبل بقية العالم"، كما هو الحال في الوقع.

ومذاك الحين، حافظ الموساد والحلف المقدس على علاقات وثيقة استمرت حتى ولاية يوحنا بولس الثاني الحبرية. واستمر الأبوان كارلو جاكوبيني وأنجيلو كاسوني، عميلا جهازّي التجسس والتجسس المضاد الفاتيكانية. في العمل كصلتي وصل مع أجهزة المخابرات الإسرائيلية في السنوات التالية حتى مغادرة جاكوبيني الحلف المقدس. أُطلق سراح المهاجمين الذين اعتقلهم الإيطاليون وأُرسلوا إلى ليبيا. وبعد أشهر، أُعدم معظمهم على أيدي وحدة كيدون، وهي الذراع العملانية للميتساد الموكلة مهمة الاغتيال والاختطاف لصالح الموساد. أما بالنسبة إلى هوية الشخص في أمانة سر الدولة الذي قد يكون أبلغ مهاجمي أيلول الأسود برحلة مائير السرية، فقد أشارت شبهات جمعية بيوس إلى الأب عيدي عياد. وما لم تعرفه الموساد في ذلك الوقت، ولم تعرفه أبداً ربما، هو أن عياد لم يكن عضواً في الحلف المقدس فحسب، بل صلة وصل غير رسمية بين البابا بولس السادس وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

في غضون ذلك، وفي مكتب ضائع وسط أروقة الفاتيكان التي تمتد مسافة كيلومترات، وضع رجل ختماً على ملف يحمل لصاقة "عملية القدس" زأمر بدفنها في محفوظات الفاتيكان السرية، وهو قسم من مكتبة الفاتيكان. بالنسبة إلى العالم، ‘ن العملية التي هدفت إلى إنقاذ حياة غولدا مائير لم تكن موجودة أبداً. ولكن الموساد لن ينسى أبداً أن رئيسة وزراء إسرائيل مازالت على قيد الحياة بفضل الحلف المقدس.

وثعد ثلاث سنوات، قام الموساد بمبادلة المعروف. لقد حانت الفرصة في نيسان / إبريل 1976.

وفي 25 كانون الأول / ديسمبر 1971، كان كارلوس الثعلب قد نفّذ عملية ضد ممثلي أوبيك في فينيا. ومذاك الحين، دخل في مواجهة مفتوحة مع المجموعات الفلسطينية التي كانت تقدم له العون في السابق. فبالنسبة إليها، كان كارلوس مجرد مرتزق جمع قدراً كبيراً من المال "أنفقه على الرفاهيات البورجوازية". لقد حصل كارلوس وشركاؤه على حوالي عشرين مليون دولار من الفدية التي دفعها السعوديون لقاء تحرير ممثلهم في أوبيك الشيخ أحمد زكي اليماني.

فطلب وديع حداد، قائد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، من كارلوس الحصول على جزء من هذا المال، ولكن الثعلب رفض. لم يُسر حدان الفدائي الملتزم، بالهتمام الذي خظي به كرلوس لا سيما وأنه كان بالنسبة إليه مجرد "ممثل سييء يريد أن يصبح نجماً سينمائياً". وبعد العملية التي استهدفت أوبيك في

فيينا، انتقل كارلوس والمتحالفون معه إلأى الجزائر ومن ثم إلى اليمن حيث استُقبلوا استقبال الأبطال ورحّبت بهم فرقة موسيقية. واستمرت أسطورة كارلوس الثعلب بالنمو.

وفي صباح أحد أيام أواخر آذار / مارس 1976، رنّ الهاتف في أحد الأقسام الإدارية في الفاتيكان, فأجاب أحد الكهنة، وكان على الجانب الآخر من الخط متحدث عرّف بنفسه بأنه إسحق حوفي، الرئيس الجديد للموساد الذي حل مكان زفي زامير قبل عامين. فقال حوفي للكاهن إنه بحاجة إلى عقد اجتماع في مكان آمن.

بعد ظهر ذلك اليوم، نوجَّه الكاهن مشياً إلى فندق وسط المدينة روما. وعندما عرّف الكاهن بنفسه، اصطحبه رجلان إلى غرفة الضيوف حيث إسحق حوفي بانتظاره جالساً على كرسيّ. وجلس الوافد الجديد أيضاً، وأخبره رئيس الجواسيس الإسرائيلي بأن الوقت قد حان لمبادلة المعروف الذي قدّمه الحلف المقدس عندما ساعد على إنقاذ حياة غولدا مائير في كانون ثاني / يناير 1973.

فأجاب الأب كارلو جاكوبيني قائلاً إن في إمكانه تعريف الإسلائيليين إلى شخص ما في جهاز التجسس البابوي لأنه لم يعُد يعمل لصالح الحلف المقدس. فرفض حوفي ذلك العرض، مشيراً إلى الأوامر الصادرة عن سلفه زفي زامير والتي تقضي بالعمل مع جاكوبيني فقط. وقبل سماع المعلومات المنقولة عن الموساد، أجاب جاكوبيني بأنه يتعيّن عليه الحصول على أمر خاص من الفاتيكان. فكرر حوفي بأنه لا يستطيع التعامل إلا مع حاكوبيني أو أنجلو كاسوني من جهاز التجسس الفاتيكاني المضاد.

فبدّل إسحق حوفي كرسيّه وأخبر جاكوبيني بأن أحد مراكز الموساد كشف النقاب عن خطة وضعتها مجموعة إرهابية لاختطاف البابا بولس السادس أو اغتياله. وشرح الإسرائيلي أن ضالط مخابرات الموساد التابع له واثق من أن المخطط للعملية هو كارلوس الثعلب. فجرى دم بارد في عروق جاكوبيني لأنه علم من تقارير الحلف المقدس بأن كارلوس نادراً ما يفشل في تحقيق أهدافه، وإن فشل فهو يخلّف وراءه الدم والموت على الدوام.

في الواقع، لم يكن مصدر معلومات حوفي مركزاً للموساد يل مُلحقاً سياسياً في السفارة الأميركية في طهران، جون دي. ستمبل. كان هذا الدبلوماسي قد أبلغ السي آي أيه بأنه في أثناء اجتماعه بالسكرتير الثاني بالسفارة السوفياتية في إيران، غيناي كازانكين، أخبره هذا الأخير بأن الكيه جي بي اكتشف خطة محتملة لاختطاف البابا بولس السادس أو اغتياله، وأن عدداً من أعضاء عصابة بادر–ناينهوف الذين اشتركوا مع كارلوس الثعلب بعملية اختطاف ممثلي أوبيك في فيينا قد يكونون متورطين في الأمر. وأنهى

حوفي تقريره الموجز لكارلو جاكوبيني واعداً الحلف المقدس بأن يقوم الموساد بكل مستعدة ممكنة لإحباط هذه الخطة.

ولدى انتهاء الاجتماع، استقل الكاهن سيارة أجرة إلى الفاتيكان، وكان يفكر في ما سمع وبحاجة إلى مشاطرة شخص ما بالمعلومات. وعندما عبر بوابة الفاتيكان، توجّه إلى مكاتب أجهزة المخابرات البابوية، وقال إنه بحاجة ماسّة إلى التحدث إلى صديقه الأب أنجلو كاسوني. وفي الساعتين اللتين أمضياهما معاً، أطلع جاكوبيني كاسوني على ما أخبره به رئيس الموساد.

وتمحورت فكرة كارلوس حول خطتين محتملتين تقضي أولاهما بالسيطرة على باسيلكا القديس بطرس من خلال اقتحامها في أثناء احتفال الحبر الأعظم بالقداس الإلهي. وتتمثل الثانية بقيام القناصة بإطلاق النار على بولس السادس عندما يظهر على شرفته المطلة على الساحة ليرحب بالمؤمنين يوم الأحد. كانت الفكرة الأولى موضع دراسة طوال عدة أسابيع نظراً إلى نجاح هذا التكتيك لدى اختطاف ممثلي أوبيك في فيينا. وخامر الثعلب الشك بأن هذه المجموعة ستقابل بمقاومة شديدة من قبل الحرس اليويسري وإن كانوا مسلحين بالحراب ورماح الطّبّر.

وحظي الخيار الثاني بتأييد ويلفريد بوز، وهو ألماني فوضوي وصديق لكارلوس الثعلب، وغابريال كروش، وغربريال كروش–تيدمن، وهو شاب في الثالثة وعشرين من العمر شارك في عملية فيينا إلى جانب كارلوس في العام الأسبق. واعتبر بوز أنه سيكون من السهل على بندقية من عيار ثقيل مزَوَّدة بمنظار تلسكوبي للتسديد واستخدامها ضد "هدف غي متحرك يرتدي ثوباً أبيض". لقد أُعجب كروش–تيدمن بالخطة لأن قتل الحبر الأعظم لدى مباركة المؤمنين المجتمعين في ساحة القديس بطرس، وبمرأى من كاميرات تلفزيونية من مختلف أنحاء العالم، سيوَفر لكارلوس الثعلب أكبر دعاية حظي بها مهاجم يوماً.

كان الحلف المقدس في سباق مع الزمن للحؤول دون وقوع الكارثة الوشيكة بالتعاون مع الموساد. وكان جاكوبيني بحاجة إلى مزيد من المعلومات، لذلك اتصل بحوفي شخصياً. ووعد رئيس الموساد بإرسال نسخات عن ملفات الرجال والنساء الذين رافقوا كارلوس في كل عملياته. وفي اليوم التالي، ظهرت على مكتب الأب أنجلو كاسوني كومة من الملفات تحمل أختاماً. ومرت أمام عينيه صور فوتوغرافية بالأبيض والأسود لجثث ووجوه التُقطت عن بُعد بعدسات آلات تصوير الجواسيس.

بعد مدة وجيزة، تلقى جاكوبيني وكاسوني رسالة أخرى من الموساد جاء فيها أن ويلفريد بوز وغابريال كروش – تيدمن شوهدا في البحرين، وشوهد كارلوس راميريز في اليمن. حتى ذلك الوقت، لم يكن عميلا الفاتيكان وأيضاً إسحق حوفي يعلمون بأن منظمة الثعلب قررت تبديل هدفها. فاختطاف أو قتل بولس

السادس لم يعد يهم كارلوس راميريز. لقد قرر عوضاً عن ذلك، وفي نزوة عابرة، اختطاف طائرة نفاثة تابعة للخطوط الفرنسية تقوم بالرحلة أيه أف 139 بين تل أبيب وباريس مع توقف في أثينا.

لقد اكتسبت هذه الطائرة شهرة عالمية في يوم 4 تموز / يوليو 1976 عندما اقتحمت فرقة من المغاوير الإسرائيليين وأفراد وحدة كيدون التابعة للموساد الطائرة وحرروا الركاب الرهائن في عملية خاطفة في مطار عنتيبيد الأوغاندي. وفي أثناء تبادل إطلاق النار في مدارج الطائرات ومبنى المطار، قُتل ويلفريد بوز وغابريال كروش–تيدمن وخمسة إرهابيين آخرين برصاص الإسرائيليين.

وبعد أيام قليلة من عملية عنتيبيد، تلقى الأب كارلو جاكوبيني اتصالاً هاتفياً من حوفي الذي أخبره عن الإرهابيين القتلى وأكد له أن " الأزمة التي تتناول بولس السادس قد انتهت". وفي 22 كانون الثاني / يناير 1979، اكتشف الموساد أخيراً مكان إقامة علي حسن سلامة، القائد الأعلى لمجموعة أيلول الأسود والمعروف بالأمير الأحمر، في بيروت، وقتلت متفجرة يتم التحكم بها عن بعد سرمة، وكان قد زرعها ضابط مخابرات الموساد إريكا شامبرز التابع لوحدة كيدون، الذراع المنفذة للموساد. وقتلت المتفجرة أيضاً أربعة من حرّاسه الشخصيين، والعديد من المارين، وسوزان ويرهام، إحدى السكرتيرات في السفارة البريطانية في لبنان.

وجاء في بعض الشائعات أنه تم تتبع أثر سلامة في العاصمة اللبنانية بفضل أجهزة المخابرات الفاتيكانية وتسريب معلومات للسي أي أيه كان عميل للحلف المقدس أو جمعية بيوس قد جمعها ومررها لرئيس الموساد إسحق حوفي. ومن المحتمل أن يكون ذلك العميل كارلو جاكوبيني أو أنجلو كاسوني. ولكن على غرار أي شيء آخر في الفاتيكان وأجهزة مخابراته، "كل ما ليس مقدساً يبقى سراً".

أصبح بوا كازيمير مارسينكوس، وميشال سيندونا، وروبرتو كافي الشخصيات الرئيسية في إحدى أكبر الفضائح في تاريخ الكرسي الرسولي، كان انهيار مصرف الفاتيكان على وشك التسبب بصدمة للعالم. وأظهرت التحقيقات اللاحقة التي أُجريت مع مؤسسات مالية وفي محاكم في الولايات المتحدة وإيطاليا، إضافة إلى ما ذكره كتّاب من دول عدة في كتبهم، إنه وبالرغم من عدم تورّط الحلف المقدس مباشرة ورسمياً بالأعمال المشبوهة التي قام بها مصرف الفاتيكان برئاسة المونسينيور بول مارسينكوس، فإن بعض عملائه شاركوا في بعض العمليات. وبالنسبة إلى العديدين منهم، إن الدفاع عن "شركات الفاتيكان" هي مسألة ولاء للحبر الأعظم.

مقال بعنوان: تعرية الإرهاب

إن لم تكن مع النظام فأنت ضده، لا يوجد حياد فإما أنت تكون عميل للنظام أو إرهابي تعمل على هدم النظام! هذه القطبية الصعبة التي تفرض على الشعوب لكي تختار بين نقيضين، دون أن يكون لها حق طرح خيار ثالث، أو حتى تعديل إحدى الخيارين ضمن التفاوض الديموقراطي للأفكار التي تسبق العملية الانتخابية، إنها قانون القوة الداروينية، فالأقوياء يحسنوا نسلهم بالتهجين والتطوير المستمر بينما بينقرض الضعفاء وينقل تاريخهم من علم الحياة إلى علم الآثار للشعوب والكائنات المنقرضة.

إن عملية الفرض هذه ليست عنيفة فحسب، بل أن كل بذور الإرهاب تشكلت عند منعطف فرض الاختيار بين أن تكون معنا أو ضدنا، وحتى لا تكون معنا سهلة أو أن تكون ضدنا صعبة تم إضافة قوانين الاستعباد لكل الضعفاء فهم معنا لكنهم ليسوا جزء منا بل هم جزء أملاكنا التي نتصرف بمصيرها كيفما نراه مناسبا لمصالحنا نحن، أما هم فمجرد أرقام تتحرك بشكل لا إرادي وفق مشيئتنا، وأكثر من عملية الاستعباد هناك عملية الاستلاب التي تفرض على العبيد أن يتحولوا إلى أكثر من عبيد، فهي شوفينية تقدس الأنا على حساب سحق التابعين من أجل سحب مجموعة القوى من كل العبيد ومنحها إلى السيد القوي الذي يحتاج أن يكون أقوى وأقوى أكثر، كما تفعل العنكبوتة بذكرها أو ملكة النحل بذكورها. إنها امتصاص القوة من الآخرين كما تفعل البعوضة بدماء الحيوانات ذو الدماء الحارة.

عند ميلاد ديك جديد في حظيرة ما تبدأ عملية تغيير حادة في كل مسلكيات الدجاج والديك، ولا يكون الديك الصوص يعرف أنه أحدث انقلاب على والده، فهو يلعب ويلهو ولا يعرف ما ينتظره بالمستقبل، إنها حتمية التغيير في قانون البقاء، فبينما يرى الديك الأب نفسه وقد حلفظ على نوعه وأنه أنجب ولي العهد له، يكون يعلم أن هذا يعني أن الحياة ستكون مختلفة في حظيرة لا تقبل إلى بديك واحد، وعلى الديك الآخر مغادرة الحظيرة في عملية انشطار للمجتمع ضرورية وإن أي تأخير في حدوث هذا الانشطار سيؤدي إلى معارك طاحنة، سيسقط قتلى وتفتت مشاعر الأخوة والمحبة، فكل الدجاج يراعي أن عليه أن لا يمارس الجنس إلا مع الديك الأب وأن أي شيء غير ذلك سيؤدي إلى عقوبات جمة قد تؤدي إلى الموت نقراً، كما أن الدجاج يقوم بنقر أي دجاجة لها رائحة مختلفة، أي أنها لم تمارس الجنس مع ديكها، وهذا الحصار الذي يفرضه الموروث الفكري ضد أي تغيير في الحظيرة يجعل موقف الديك الصوص صعباً للغاية، وعليه أن يتصرف بشكل ذليل وأن يرفض أن يقترب من أي دجاجة لحين أن يسمح له الديك الأب بذلك، وهي عملية الانشطار الطبيعي، حيث يختار الديك الأب مكان محدد ودجاجات معينيين ويعلنها حظيرة جديدة ويقدمها هدية لصوصه الديك، والذي يقبل هذا العرض دون أن يكون له القدرة على تعديله أو رفضه! لكن هذه النهاية السعيدة لا تشكل إلا خمسة بالمائة من ظروف تشكيل حظائر جديدة خصوصاً أن الديوك الصغار تتكاثر بشكل مستمر ولا يملك الديك الأب القدرة على تشكيل حظائر جديدة بنفس سرعة قدوم أعداد جديدة من الديوك الصيصان، بل أنه أحياناً يفرض على الديوك الصيصان أن يقتلوا بعضهم البعض تحديد من ينال منهم حق الحصول على الحظيرة الجديدة في مفهوم مصارعة الديوك الطبيعية، حيث أن الديوك المتصارعة تكون عذراء ولا تمتلك دجاج خاص بها ولا حتى حظيرة، وأبوهم الديك الوالد يمنع عنهم الماء والطعام، وهو يسعى لقتل أحد الديوك وتكريم الآخر.

منذ عرفت البشرية الوشم كثقافة للرسم على الجسم، عرف الجسمُ سياسة المكر به والاعتداء عليه، سواء بالكلمات المؤذية أم باليد الخفية. يقع الاغتيال بين الحياة والموت الطبيعي. وله مسميات عديدة تعتمد على وجهة النظر السياسية من المقتول، فبينما ينعته ذويه بالمغدور الفقيد الذي قدّم روحه دفاعاً عن مُثل عُليا آمن بها، ودافع عنها باستماتة، مما جعله قاب قوسين أوأدنى من تحقيق هدفه، لكن سقط شهيداً، وهو نوع من الشهداء تم قتلهم بالحيلة والخداع باستخدام أساليب مخابراتية جبانة، فلم يمنحوا حق الدفاع

عن النفس أو حتى المحاكمة القانونية، لقد صدر قرار الأعداء بضرورة إنهاء حياتهم بأي طريقة ممكنة وتحت أي ظرف وفي أي مكان، إن القتل اغتيالاً لا يُميز بين عسكري متمرس بالدفاع عن نفسه وبين مدني لا يُجيد استخدام أي نوع من أنواع السلاح.

وقد يكون غريباً أن تاريخ الاغتيال يسبق تاريخ الجاسوسية بقرون، دون أن نقلل من أهمية التجسس لإنجاح عمليات الاغتيال، ومن أجل هذا تُشكل الأجهزة الأمنية جهاز مكافحة التجسس لصيد الجواسيس ومنع الخروقات الأمنية وتعطية الثغرات الأمنية، إلا أن هذه الحرب والحرب المضادة لها تتطور بشكل سريع في عصر حرب المعلومات، الذي يُبيح الوصول للهدف بأي طريقة مشروعة أو غير مشروعة، ولا يوجد جهاز استخبارات وخاصة فرع مكافحة التجسس لا يستخدم الطرق الغير مشروعة للوصول إلى المعلومة، وقد كشف كتاب الكيان: أن أجهزة أمن الفاتيكان كانت تستخدم الرشاوي للحصول على ما تريده من معلومات، بل أنها شارك في عمليات تزوير للمستندات وتهريب الأسلحة وغيرها من القضابا الممنوعة.

لعل أخطر أنواع الاغتيال هو التصفية الجسدية لأنه يُعاقب الأفراد على كونهم منتمين لفكر سياسي محدد أو أنهم من عرق بشري معين، وقد حاول الكثيرون تبرير التصفية إذا كانت تهدف إلى التهجير القسري، فيتم اجتثاث أقليات مخربة، كما فعلت روسيا القيصرية باليهود الخزر، إلا أن التصفية لم تصل في أي حال من الأحوال لدرجة الصفر، إلا بقتل جميع قبائل سكان جزيرة تازمانيا الاسترالية، دون أن يعني ذلك أن هذا الأمر تكرر في بلاد أخرى، فلا يوجد تصفية كاملة وهي لا تخضع لقانون أو سلطة ما، وحتى خبراء القانون الدولي لم يتوصلوا إلى تعريف التصفية الجسدية ولا حتى التطهير العرقي، فهي مجرد شروحات لسياسة التمييز العنصري، ولكن لا يوجد مادة قانونية صريحة تجرم التصفية الجسدية، حتى في حالات واضحة موثقة مثل التطيهر العرقي الذي مارسه صرب البوسنة على سبيل المثال.

فالقانون الدولي يعزز سلطة الدولة ويعتبر أن عنف دولة شرعي لأنه لحماية النظام أما أي عنف آخر فهو تمرد على سلطة الدولة ومن حق الدولة التعامل معه بعنف. وهذا التمرد تم تقسيم إلى ثلاث أنواع أبسطها التمرد الجنائي وهو خاص بتجار المخدرات وتزوير العملات وتجارة اللحم الأبيض وكل أشكال العصابات المنظمة حتى نصل إلى أخطرها على الإطلاق وهي المافيا. والنوع الثاني هو التمرد العقائدي وهو مرتبط بالعرق البشري أو المعتقد الديني وهو تمرد عابر للحدود ويوصف بأنه إرهاب لأنه يخالف النظام وما يشرعه للعلاقة بين الأديان والأجناس دون أن يسمح بتغيير جوهري إلا من داخل النظام وسلطة الدولة، فقد نجح الأمريكان الأفارفة في تحقيق الكثير من حقوقهم في فترة الستينات من القرن الماضي، لأنهم التزموا بتقديم واجباتهم اتجاه النظام واحترام سلطة الدولة بمعظم القضايا، فخرج تمردهم من كونه إرهاب إلى تصنيفه ضمن ثورة اجتماعية لتحسين حقوق المواطنة، لكن الأفارقة في جنوب افريقيا بنفس الفترة تعرضوا لقمع تعسفي، وأعتبر تمردهم همجي وإرهابي ومدعوم من أطراف معادية لسلطة الدولةن وهذا ما روّج له الإعلام الغربي الليبرالي، حين ما اعتبر أن تمرد همجي لا يعد نضال طبقة فقيرة لأنهم ليسوا طبقة فهم لا يدفعون الضرائب!

أما النضال الفلسطيني فهو الصنف الثالث من التمرد، وهو يدعو إلى هدم سلطة الدولة وإعادة تشكيل نظام الحكم، كما هي الحركات الانفصالية التي تدعو لتشكيل دول جديدة عن طريق انفصال مقاطعة أو أكثر من دول قائمة لتشكيل كيان سياسي جديد، وهذا ما يسمى بالإرهاب السياسي أو التمرد الانفصالي وهو بالنسبة لأي دولة أكبر جريمة وعقابها التصفية الجسدية والاغتيال السياسي. والأمثلة على ذلك كثيرة وخاصة في منطقة المشرق العربي التي تعج بالحركات الانفصالية الرافضة لاتفاقية سايكس بيكو مثل الأكراد والأهواز وعرب الترابين والموارنة والفلسطينيين والدروز. أما وجهة نظر هذه الحركات أنها تطالب بحق تقرير المصير وهو حق مكفول لكل إنسان ولكل قومية حسب اتفاقية جنيف.

كارلوس هل هو صناعة فلسطينية

بقلم مجدي كامل

يرى البعض أن كارلوس هو أولاً وأخيراً صناعة فلسطينية يقف مع هذا اللواء أحمد جلال عز الدين مساعد وزير الداخلية ونائب رئيس أكاديمية الشرطة السابقة، والذي كان أحد أربعة مستشارين للسكرتير العام للأمم المتحدة لشئون مكافحة الإرهاب الدولي والجريمة المنظمة والذي أعدّ دراسة وافية عن كارلوس.

وقد سئل د.عز الدين ذات مرة منذ سنوات في مقابلة صحيفية عن كارلوس فقال: "لا أعتقد أن كارلوس يمارس دور الإرهابي النشط، أي المنفذ، حتى الآن، فهو من مواليد 1949، أي أن عمره (وقتذاك) 41 سنة، والإرهابي النشط يعتزل قبل هذه السن بكثير، فهو في العادة يعتزل في سنة 34 على الأكثر.

على كل حال، الحقائق تؤكد أن الإرهابي الدولي الشهير كارلوس ماريجيلا هو صناعة فلسطينية 100% كيف؟.. هناك قصة تقول: أن اسمه الحقيقي هو "إيليخ أرميز سانشير من أب فنزويلي، وينتمي إلى أسرة كبيرة، والده كان محامياً واسع الثراء وذا ميول ماركسية، وقد انفصل عن والدته التي عاشت في لندن مع أولادها، وكان الأب ينفق عليهم بسعة واقتدار، عندما بلغ كارلوس العشرين من عمره أرسله أبوه إلى موسكو ليتعلم الماركسية على أصولها في جامعة (باتريس لومومبا)، وفيها تعرف كارلوس على زملاء له بالجامعة من دول العالم الثالث مثله، من بينهم طلبة ينتمون إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتنامت علاقة كارلوس بهؤلاء الذين دعوه لزيارة معسكرات المنظمة في الشرق الأوسط، وقبل الدعوة ونفذها عام 1970، وهناك تم تجنيده بمعرفة جورج حبش ووديع حداد.

عاد كارلوس بعد ذلك إلى أوروبا حيث عاش حياة مترفة كلها ترف وعبث ومجون وخمر ونساء، إلى أن بدأت علاقاته بأجهزة مخابرات معينة ومعروفة، حيث دفع لتنفيذ بعض العمليات الإرهابية لحساب هذه الأجهزة وأثبت كارلوس كفاءة عالية في التنكر وانتحال الأسماء والجنسيات المختلفة، وكان بين وقت وآخر يجري جراحات تجميل بلاستيكية لتغيير ملامحه حتى يفلت من جهات الأمن الكثيرة التي تطارده بشدة في كل الدنيا.

عمليات كارلوس الإرهابية الأولى تمت تحت إشراف محمود أبو رَيّة، وكان رئيساً لمكتب منظمة الجبهة الشعبية لتحرير في باريس، وهو الذي لقن كارلوس كل ما يعرفه عن الإرهاب، بعد ذلك أرسل كارلوس للتدريب في معسكرات الجبهة في عدن، ثم انتقل إلى البقاع في لبنان لاستكمال تدريبه، ثم قام ببعض العمليات الإرهابية الصغيرة، وكانت أولى عملياته بالاشتراك مع إرهابيين من منظمة الجيش الأحمر الياباني الذين خطفوا –وهو معهم-الطائرة اليابانية المتجهة من باريس إلى طوكيو عن طريق امستردام،

وكانت المجموعة تضمه هو وثلاثة آخرين ويابانية عريقة في الإرهاب هي (أوزاجر شيجينو برا) وكان معهم للعلم اثنان من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هما محمد أبو الحسن ويحيى حسن.

بعد ذلك كُلف كارلوس باغتيال بريطاني يُدعى (آلان دوارتر) وفي 18 نوفمبر عام 1973 تربص له عند إشارة مرور في قلب لندن، وأطلق عليه النار، ولكن بعد العملية تبين أن كارلوس أخطأ الشخص، وأطلق النار على شخص آخر أصيب إصابات سطحية.

وفي 30 نوفمبر أي بعد 13 يوماً فقط من العملية السابقة اقتحم منزل (جوزيف سيل) وهو يهودي بريطاني شهير وقتله وفر هارباً.

وفي 25 يناير عام 1975 ألقى قنبلة على أحد البنوك في لندن، حيث أحدث بعض الخسائر وقتل أحد الأفراد.

ثم عاد إلى باريس في أغسطس عام 1974، حيث شارك في بعض العمليات الإرهابية ضد بعض المكاتب الصحفية هناك، من بينها عملية تفجير في مقر إحدى الإذاعات الفرنسية.

كان كارلوس حتى ذلك الوقت إرهابياً عادياً، ولكنه كان يتقدم نحو الشهرة العالمية بسرعة كبيرة.. وقد بدأ في اكتساب هذه السمعة العالمية فعلاً بعد هجومه بالصواريخ على مطار أورلى، حيث قصف برج المطار وطائرة يوغوسلافية كانت رابضة فيه، وبعد هذا الهجوم بستة أيام فقط عاد إلى اقتحام المطار مرة أخرى، بل نجح في احتجاز رهائن وحصل على طائرة وهرب بها.

ثم ذاع صيته أكثر بعد عملية اقتحام السفارة الفرنسية في لاهاي ومطالبته بالإفراج عن عدد من الإرهابيين الفرنسيين المنتمين إلى منظمة (العمل المباشر) ونجح في إرغام السلطات الفرنسية على تنفيذ مطالبه.

ورغم هذا عاد كارلوس إلى حياة اللهو في باريس بالذات، ونجح رجال الأمن الفرنسيون في رصده وتحديد مكانه بل اقتحموا الشقة التي يُقيم فيها، ولكن هؤلاء، كانوا ثلاثة من أبرع رجال الأمن، وقعوا في الخطأ القاتل، وحاولوا القبض عليه سليماً مُعافى، ولكن كارلوس قتلهم جميعاً وهرب. وكان ثأراً بين كارلوس وجهاز الأمن الفرنسي كله.

ثم كانت آخر أكبر عملياته جميعها، وهي التي جعلته الإرهابي الأول في العالم شهرة، وهي عملية احتجاز وزراء بترول دول الأوبك، بمقر المنظمة في فيينا عام 1975.. وهي عملية محيرة وغريبة لا تصدق.. وبعد ذلك لم يشارك كارلوس في عمليات ذات قيمة.

نشأة منظمة أيلول الأسود
بقلم ويلهلم ديتل

بدأ الجيش الأردني بقصف المخيمات في مدينة الزرقاء
قرر الملك حسين أن يخطوا الخطوة الثانية فاعلن الأحكام العرفية
وسلم الحكومة للعسكريين برئاسة فلسطيني وشكل غرفة عمليات
فيما يصل مستشار الرئيس الروسي
للشؤون الفلسطينية إلى تل أبيب

كان علي حسن سلامة أهم رؤوس عرفات التي مالت إلى العنفوهو معروف باسم (أبو حسن)، محمد عودة المعروف باسم "أبو داود" وفكري العماري المعروف باسم "أبو محمد"، ويوجد القيادة الأصلية أيضاً فؤاد الشمالي وهو فلسطيني مسيحي، توفي في أغسطس 1972 بالسرطان ويوسف النجار "أبو يوسف" الذي قام الإسرائيليون باغتياله عام 1973، وينتمي إليهم غازي الحسيني الذي يميل إلى السلام، وهم من قيادة أركان حرب أيلول الأسود.

نشأ علي حسن سلامة من عائلة لها مكانتها إلى حد ما، انتمى الابن البالغ من العمر 29 عاماً للزعيم الفلسطيني الشيخ حسن سلامة الذي اغتاله الإسرائيليون سنة 1948. انتمى إلى فتح سنة 1967، وهو لا ينسجم نوعاً ما مع الصورة المألوفة لرجال المقاومة الفلسطينيين الذين يتسلحون بالمدتفع الرشاشة.

فهو يرتدي بدلة تفصيل إيطالي رائع، يبدو كما لو كان عاطلاً بالوراثة ويتصرف على هذا النحو. ومع ذلك كان عرفات يحبه.

على مر السنين تقرب سلامة من زعيمه، كما لو كان هذا الزعيم يتبناه وقاد قوات الحرس الخاصة بعرفات "قوة17"، وتم إرساله بمفرده لعدة مهمات رسمية خاصة. كان علي حسن بمثابة رئيس عمليات في "أيلول الأسود" وكان يهتم بشغف كبير بالعمليات الأوروبية. وساعده أبو داود في ذلك، بينما رأس فكري العماري قسم الخدمات الخاصة حيث كان يهتم بتوصيل الأسلحة والمواد الناسفة إلى المواقع المختصة باستعمالها في الوقت المناسب.

تكونت "أيلول الأسود" في أيامها الأولى من عشرين عضواً نشطاً على أقصى تقدير، أما في أشد موجات المقاومة لرجال أبو إياد وأبو حسن فقد بلغ تعداد المنظمة حوالي 400 رجل. كان تجنيدهم يتم في بادئ الأمر في فتح ووكالة الأنباء الخاصة بها. ولكنهم جاؤوا أيضاً من التنظيمات السرية اليسارية الاتجاه في منظمة التحرير الفلسطينية.

وقد أعلن أبو إياد تأسيس أيلول الأسود في مجموعة وثائق بالتلفزيون الألماني فقد كانت بمثابة ردة فعل لحرب أيلول الأردنية. ففي المعارك الأخيرة في شمال الأردن لاذ خمسة عشر فدائياً بالفرار عبر الحدود إلى إسرائيل واستسلموا هناك.

(هذه الأحداث تدل على أنه لم يكن ياسر عرفات ولا أي قائد فلسطيني آخر، في الوضع الذي يتيح له السيطرة على ردود الأفعال. فقد أصبح الأمر بمثابة نوع من اليأس. فعندما تتجه الأمور إلى العنف يكون الدافع دائماً هو اليأس. وأيلول الأسود كان بمثابة مرحلة أكثر منه منظمة، فعندما اعترفت جامعة الدول العربية والأمم المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية اختفى "أيلول الأسود").

وحتى ذلك الحين كان لا يزال هناك طريق واسع مرصوف بالقتلى والمشوهين الذين لا حصر لهم.

ومن البديهي أن تكون أول عملية رائعة موجهة ضد الأردنيين. ففي 28 نوفمبر 1971 اشترك رئيس الوزراء الأردني، "وصفي التل" السياسي الضخم المؤثر، في اجتماع للجنة العسكرية لجامعة الدول العربية في القاهرة. وعندما عاد إلى شيراتون القاهرة مع وفده حوالي الساعة 12,25 دقيقة، انفصل "عزت رباح" الفلسطيني البالغ من العمر 23 سنة عن مجموعة السياح الأوروبيين والأمريكيين وأطلق خمس رصاصات على "وصفي التل" فأرداه قتيلاً.

وفضلاً عن ذلك أُصيب وزير الخارجية الأردني وضابط بوليس مصري، وقد جثى الجاني الثاني "منذر سليمان" خليفة البالغ من العمر 27 عاماً، على ركبتيه أمام أعين السياح المذعورين وبدأ يلعق دم رئيس الوزراء.

نجح البوليس المصري في إلقاء القبض على هذين الرجلين وعضوين آخرين من فريق القتل خلال دقائق قليلة. وأعلن منذر خليفة بمنتهى الفخر: (أنا في غاية الفخر إذ استطعت إنجاز المهمة الأن. لقد كنّا خلفه طوال ستة أشهر. والآن أخذنا بثأرنا من الخائن). وأعلن "عزت رباح" علانية في محضر البوليس: (لقد كنّا نريد الحصول عليه لوجبة الإفطار، ولا ضير أننا نلناه في وجبة الغداء)، ولم يترك الفاعلون مجالاً للشك فيمن قام بإرسالهم، فقد أعلنوه صراحة في بهو الفندق: (نحن أعضاء "أيلول الأسود")، هدفهم كما أباحوا به للمصريين، الانتقام لمقتل العديد من إخوانهم في عمان.

وقد أدان "خالد الحسن"، أحد المستشارين المقربين لعرفات وكان وزيراً للخارجية في منظمة التحرير سابقاً، هذا الهجوم، لكي يدفع التهمة عن فتح (هذه العملية ذات نوايا إرهابية فاشية، تتعارض مع أفكار الثورة).

ودخل الليبيون في العملية الآن. فقد مارسوا ضغطاً على جيرانهم المصريين وطالبوهم بإطلاق سراح القتلة. وقد توصل البعض إلى حل وسط، حيث تم الإفراج عن الفلسطينيين الأ{بعة بكفالة ولم تتم إدانتهم مطلقاً. وعادوا بعد عام إلى بيروت كأبطال للثورة.

وقد اعترف أبو داود فيما بعد للأردنيين بأن اغتيال رئيس الوزراء الأردني تم تنظيمه بمعرفة أبو يوسف، الذي كان آنذاك عضواً رسمياً للقسم السياسي في منظمة التحرير وعضواً دائماً للشؤون الفلسطينية في لبنان.

كان علي حسن سلامة هو التالي في قيادة العمليات، فقد خطط لاختطاف طائرة، تلك العملية التي فاجأت بما فيها من مغامرة حتى الإسرائيليين، لا سيمل الإسرائيليين الذين لاضمير لهم. وقد كانت العملية

تستهدف رحلة طيران –سابينا 517 ليوم 8 مايو 1972. وكانت الكائرة من طراز بوينغ 707 في طريقها من فيينا إلى تل أبيب، عندما قام شابان من الهواة باختطافها. وتعجب الطيار الانجليزي، حيث أجبروه على الالتزام بسير الطائرة إلى هدفها الأصلي وهو مطار تل أبيب- وهبطوا هناك كما كان محسوباً، واعتقلوا 87 راكباً وعشرة من أعضاء الطاقم كأسرى. وطالب الخاطفون بعملية تبادل 317 سجيناً فلسطينياً، وأغلبهم من أعضاء "فتح". ومن المحتمل أن بعضهم قام بنسف الطائرة بكل ركابها في الجو في حالة رفض التبادل. وقد امتدت المفاوضات لمدة 24 ساعة وكانت بقيادة وزير الدفاعه الإسرائيلي الأسبق "موشي ديان". وكان غريمه "علي شفيق أحمد طه"، المعروف باسم "كابتن رفعت" في الدائرة المكافحة للإرهاب.

كان فيما مضى ينتمي للجبهة الشعبية التابعة لجورج حبش، وقام بالفعل في عام 1968 باختطاف إحدى الطائرات التابعة لشركة "العال" إلى الجزائر.

وقد تم البحث عن طه بسبب الهجوم على مكتب لشركة "العال" في بروكسل وبسبب اختطاف طائرة إلى الأردن في سبتمبر 1971. وفي 1971 انضم إلى "أيلول الأسود".

كان الخاطفون الثلاثة الآخرون هم السوري عبد العزيز الأطرش، المعروف باسم "زكريا"، وريما طنوس البالغة من العمر 21 عاماً، وتريزة حلاوة البالغة من العمر 19 عاماً. وقد تدلابت كلتاهما على التمريض، وحصلتا على تدريب على السلاح في أحد المعسكرات، وتم انتدابهما فيما بعد مباشرة لعملية خطف هذه الطائرة.

وبينما كانت المفاوضات ممتدة، سيطرت على الفتاتين بشكل خاص العصبية، فقد لغموا الطائرة بمواد بلاستيكية ناسفة، بينما سيطر على الزعيم طه، على العكس من ذلك منتهى التحكم والاتزان.

وقد اتفق البعض على أن عملية تبادل الأسرى تتم في القاهرة، وحلقت طائرة ثانية إلى جانب البوينغ- سابينا، وتم إحضار العديد من الرجال الحالقين رؤوسهم ومرتدين زي السجون في إحدى عربات المطار، وبمنتهى الرضا اتبعوا الخاطفين إلى متن الطائرة مثل المساجين الوهميين. ولم يلاحظ الخاطفون أنهم يتعاملون مع جنود إسرائيليين. وقد وصل فريق من ثمانية عشر رجلاً عنيداً، لكي يجعلوا الطائرة المخطوفة تنطلق في وضوح وليهتموا بالركاب الذين نفذ صبرهم. وقد كان هناك تكنولوجي وممثل عن الصليب الأحمر بين أعضاء هذا الفريق وبالكاد انفتحت أبواب الطوارئ، وبذلك بدأت الوحدة المكافحة للإرهاب 269 عملية "اسوتوب" بالهجوم على الطائرة. وبعد ذلك بعشر ثوان كان الرجلان الخاطغان قد لقيا مصرعهما. وأصيبت تريز حلاوة وثلاث من جنود المضلات وخمسة ركاب وتمت محاكمة الفتاتين في 14 أغسطس 1972 وحكمتا بالسجن مدى الحياة.

كارلوس والحرب وديع حداد السرية

بقلم مجدي كامل

رسالة من القائد الراحل الرفيق جورج حبش إلى كارلوس

في مقرات الجبهة الشعبية في أوائل السبعينيات كانت هناك صورة منتشرة على الجدران تجمع الرفاق جورج حبش ووديع حداد وكارلوس، لقد كانوا أشباحاً مثيري الرعب للغرب وتُحاك حولهم الأساطير وتنسج القصص الخيالية بعد سلسلة طويلة من عمليات خطف الطائرات الناجحة، وبعد عملية ميونخ الشهيرة التي قتل فيها بعض أعضاء الفريق الرياضي الإسرائيلي خلال الألعاب الأوليمبية.

كان وديع حداد هو مهندس العمليات الخارجية وعمليات خطف الطائرات، وكان حبش هو الزعيم الذي يتبنى الكثيرون أفكاره الثورية، ومنهم كارلوس نفسه الذي أصبح بعد ذلك رئيس قسم العمليات بالجبهة.

وبعد إعلان حبش من خلال مؤتمر صحفي عالمي بمخيم شاتيلا انتهاء عمليات خطف الطائرات، وانتهاء مرحلة العمليات الخارجية بدأ نجم كارلوس يصعد بقوة، ونسبت إليه ست عمليات متتالية كانت أفكار حبش وحداد التي تبناها كارلوس في ذلك الوقت تنادي بأن الرأي العام وحش هائج، وأن العنف الثوري المتمثل في العمليات الخارجية هو القادر على تهييج الرأي العام. وإخراج القضية الفلسطينية من حالة السكون والجمود التي تعرضت لها بعد نكسة 1967. ثم بعد أحداث أيلول الأسود الدامية. ولكن حبش توقف عام 1972- واستمر كارلوس.

وذكر أحد مسئولي الجبهة الشعبية أن علاقة كارلوس بالفلسطينيين بدأت في الأردن عام 1969 خلال أحداث أيلول الأسود على يد أبو داود أحد رجال أبو إياد "صلاح خلف" والمساعد الرئيسي ل "علي حسن سلامة"، قائد القوة 17 ورئيس عمليات أيلول الأسود.

ورغم أنه من فنزويلا التي لا صلة لها من قريب ولا من بعيد بقضايا الشرق الأوسط وبصفة خاصة القضية الفلسطينية إلا أن كارلوس سرعان ما اعتنق أفكار وديع حداد وقرر الدخول في عالم الحرب السرية حسب تسمية وديع حداد الذي كان يرتبط بعلاقات وثيقة مع الرئيس السوفيتي الأسبق يوري اندروبوف وقت إن كان رئيساً لجهاز الكي جي بي.

وذهب كارلوس إلى دورة تدريبية في لبنان لمدة ثلاثة أشهر وتعلم فيها كل شيء من خطف الطائرات إلى احتجاز الرهائن.

وذهب إلى باريس للعمل في البداية مساعداً للمسئول الأول عن الاتصال بالمنظمات الإرهابية في أوروبا واسمه محمد بوضيا وهو مناضل جزائري سابق بجبهة التحرير الوطني، اعتنق هو الآخر أفكار وديع حداد، وانتقل للعمل معه وكان مقرباً بشدة منه ومن الأمير الأحمر، علي حسن سلامة، لدرجة أنه كان يشاركهما مقر إقامتهما في باريس.. وتعلم كارلوس الكثير على يد الجزائري بوضيا الذي تمكنت إسرائيل من رصد تحركاته وتحديد مكانه، ووضع الموساد قنبلة في سيارته مزقت جسده وتناثرت

أشلاؤه، وأثر الحادث كثيراً على كارلوس الذي أحب بوضيا وتعلم على يديه وزاد من حدة العنف الثوري والدموي بداخله.

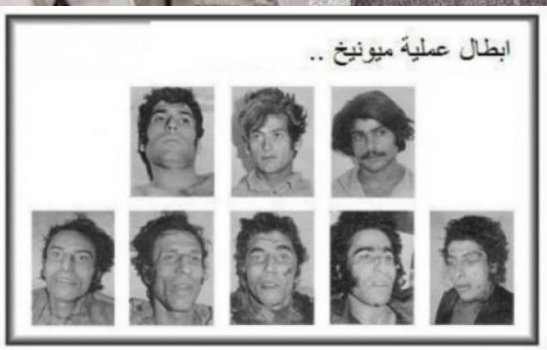

وتولى كارلوس مهام بوضيا وأصبح كسئول الاتصال بالمنظمات الإرهابية، وتمكن – حسب رصد مكتب مكافحة الإرهاب بالولايات المتحدة- من إقامة علاقات وطيدة بكل من- لا حظ العدد الضخم- حركة تحرير مورو في الفلبين والجيش الجمهوري الإيرلندي، وحركة إم19 في أمريكا اللاتينية، وجبهة الساندينستا في نيكارجوا، وحركة الهنود الحمر والألوية الحمراء في إيطاليا، والباسك في أسبانيا، والبريتون في فرنسا، ومونترنيرو في الأرجنتين، ومتمردي كوباماروس في أورجوي ومتمردي كورسيكا وسادينا وصقيلية.

شبكة ضخمة من العلاقات أقامها كارلوس الذي يجيد سبع لغات" الانجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والروسية والعربية والأرمنية، وأجاد كارلوس عمليات الظهور والاختفاء والتخفي والتنكر لدرجة أنه في كل بلد له اسم وشكل معين، وكان اسمه الحركي في سوريا ولبنان سلم وفي المجر عادل. كان كارلوس يتجول بباسبورات مزورة وأسماء مستعارة وكان لدى وديع حداد معمل كامل لانتاج الجوازات والتأشيرات.

لم يكن كارلوس عميلاً ل كي جي بي أو لأي استخبارت أخرى حين كان يعمل مع وديع حداد، ولكن العلاقة بين الرجلين تراجعت بعد عملية خطف وزراء النفط أثناء اجتماع أوبك في فيينا. تعليمات حداد الذي كان موجوداً في بغداد آنذاك كانت تقضي بعد التوصل إلى أي تسوية والتمسك بحرفية المطالب ولو أدى الأمر إلى إعدام بعض الوزراء خلال العملية. أبرم كارلوس تسوية وحين عاد إلى بغداد استقبله حداد بعبارة حاسمة، أدخل إلى غرفتك وأغلق الباب، وكان يريد أن يفهمه أن دوره انتهى ولن يكلف بمهمات جديدة.

بعد غياب حداد انتهى كارلوس عملياً وحاول أن يؤسس تنظيمه وانشغل بالعثور على ملجأ في الشرق الأوسط أو أوروبا الشرقية وتمكن سليم أبو سالم الذي أخذ مكان حداد من ترتيب إقامة في سورية فأقام فيها جزءاً كبيراً من الثمانينات وبعد بدء عملية السلام طالبت الولايات المتحدة سورية بترحيله لكن ليبيا أعادت الهدية ورفضت صنعاء استقباله بعدما أمضى أسبوعاً في المطار مع طفلته وزوجته ووالدتها وحقيبة تحوي نحو مليون دولار، رفضت اليمن استقباله ووافق السودان، خصوصاً وأن كارلوس كان أقام بعض الصلات مع عناصر أصولية.

ومن علاقة كارلوس بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، قال أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: في مجال معرفتنا بكارلوس، بدأت هذه المعرفة مع مناضل جاء من أمريكا اللاتينية في وقت كانت فيه الثورة الفلسطينية في سنواتها الأولى والتحق فيها شباب من مختلف أنحاء العالم، وكانت قد جذبت قوى وأطرافاً كثيرة من حركات تحرر عربية وعالمية، وهذا لم يكن موضوعاً استثنائياً بالنسبة للجبهة الشعبية، كان هذا الوضع العام، ولو عدنا غلى تاريخ الالتحاق بالثورة الفلسطينية لوجدنا المئات والآلاف في مراحل ما، كانوا يلتحقون في صفوف الثورة الفلسطينية، كارلوس كان من الذين التحقوا وكانت اختياراته في صفوف الجبهة الشعبية من خلال بعض الطلبة الدارسين في جامعة لومومبا، وهو جاء في نهاية الستينات للالتحاق بالقواعد العسكرية بالأردن، هناك فعلاً حظى بفرصة التدريب والقتال في صفوف الدوريات التي كانت تقوم بعمليات ضد الاحتلال الإسرائيلي. وأما أن تقوم بعمليات دفاع عن النفس ضد النظام الأردني عندما كانت الصدامات بيننا وبينه. وكارلوس كان شخصاً مثل كل الأشخاص لا يختلف كثيراً عن بقية المقاتلين، وإن كان هو أيضاً مثل العديدين يتميز بالشجاعة والصلابة، والإخلاص، لاشك، لكنه مثقف ومطلع على حركات التحرر ومُسَيّسْ ويبدو أنه اكتسب هذه الصفة من والده السياسي المعروف في فنزويلا، كارلوس اكتسب وضعاً جديداً بعد الخروج من الأردن حتى استقروضعه في بيروت، وكانت صلاته في الجبهة من خلال مسؤولية المرحوم وديع حداد ولم يستمر طويلاً هذا العمل باعتباره بدأ يتعرف على قوى وفصائل عالمية صارت تجتذبه، وصار يعتبر نفسه بعد بيروت ليس شخصاً وإنما تياراً يعبر عن الثورة العالمية، وفعلاً بدأ يشق طريقه الخاص منذ منتصف السبعينات.

كان الرجل نشيطاً، ويتقن لغات كثيرة، ويستطيع التعاون مع قوى متعددة وأقام لنفسه طرائق عمل، ليست من مسؤوليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كما كان منطلقاً، يقوم بضربات عالمية ضد الرأسمال العالمي والاضطهاد لكن قد لا تستطيع أن توافق على أن هذه الأعمال قد تخدم غرضاً سياسياً، قد تكون نتائجها عبثية، في كل الأحوال نحن نعتبر أن هذا الرجل مناضل، يتميز بصلابة كبيرة، إلا أنه بدا يشق طريقه الخاص بتوجهه إلى عمل خارجي وبذلك لم يعد لنا صلة به، فقد أصبح يتنقل بجوازات سفر مختلفة، وأصبح يتنقل بحرص شديد وحذر يتقنه جيداً، ولم يكن هناك صلات لنا معه في هذا الجانب، وهذا ما نعرفه عن هذا الشخص الذي نستطيع أن نصفه ب "المناضل الأممي".

نفذّ الموساد أكثر من خمسين

مُحلل إستراتيجيّ إسرائيليّ يتساءل: قبل وبعد عملية فردان نفذّ الموساد أكثر من خمسين عملية ولكنّه أعلن 25 فقط ولماذا أصبح يوليو 73 الشهر الأسود للجهاز الـ"أسطوريّ"؟

September 18, 2016

الناصرة – "رأي اليوم" – من زهير أندراوس:

برغم أنّ جهاز الموساد حقق الكثير من العمليات الناجحة في عام 1973، إلّا انه أرتكب الكثير من الأخطاء أثناء حربه الأمنية مع الفلسطينيين. يقول رونين بيرغمان الخبير المقرب من المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، في صحيفة (يديعوت أحرونوت) إنّ جهاز الموساد نفذّ خلال 14 شهرًا التي سبقت وتلت عملية فردان أكثر من 50 عملية، استهدفت قادة العمل الوطني الفلسطيني من اغتيال ومحاولة اغتيال وتصفية، ولم يعلن إلّا عن 25 عملية، وهناك الكثير من الضحايا الذين قضوا في تلك العمليات ولم يعرف حتى الآن أنهم كانوا ضحايا لعمليات الاغتيال من قبل فريق كيدون.

وبالعودة إلى إخفاقات الموساد، قال نضال سعيد السبع، فلسطينيّ من جامعة لبنان لـ"رأي اليوم" فإنّ اكتشاف أبو باسل في أواخر حزيران من عام 73 لعملية تصوير منزله دفعته لإبلاغ الأمن العام اللبناني، وهذا يعتبر الإخفاق الأول، ثم تلته محاولة اورلخ لوسبرخ خطف جول مسعد قنصل ألمانيا الغربية في مدينة طرابلس (لبنان) ومحاولة لوسبرخ إلصاق التهمة بسعيد السبع في محاولة من الموساد لافتعال مشاكل بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الألمانية، خاصّةً أنّ هذه المحاولة جاءت بعد عملية ميونخ الشهيرة، ومن ثم إقدامه على تدبير عملية خطف نفسه بالتعاون مع ثلاثة لبنانيين وخطيبته جميلة معتوق، وإصدار بيان باسم منظمة وهمية كان قد أنشأها في طرابلس تحمل اسم منظمة ميونخ 72 تتبنى عملية خطفه وتطالب الحكومة الألمانية بدفع مبلغ 15 مليون ليرة لبنانية، في محاولة أخرى من جانبه لاتهام سعيد السبع أنّه وراء عملية خطفه بسبب موقف الحكومة الألمانية المتماهي مع الإسرائيليين خلال تنفيذ عملية ميونخ، فتمّ اعتقاله من قبل النقيب عصام أبو زكى.

وتابع نضال قائلاً إنّه اعترف أمامه أنّه كان مشاركًا في عملية فردان، وأنّه كان يراقب منزل سعيد السبع تمهيدًا لاغتياله، جميع هذه الإخفاقات ودور بعض الجهات الأمنية اللبنانية والأطراف الفلسطينية التي كانت على تعاون وتنسيق مع شبكة اورلخ لوسبرخ، والذي كان يتلقي التمويل عبر جهات فلسطينية في لبنان وتحويلات بنكية من سويسرا وألمانيا عبر بنك علي جمال في بيروت.

ولفت نضال في سياق حديثه إلى أنّ الجهات الفلسطينية المتورطة معه سهلت دخوله إلى مخيم البداوي في شمال لبنان لتدريب عناصر الكفاح المسلح الفلسطيني، كل هذا المعطيات والاعترافات ظهرت بعد اعتقال عصام أبو زكى له في سير الضنية فتمّ تكليف إبراهيم البطراوي مسوؤل الكفاح المسلح في شمال لبنان بالاتصال مع عصام أبو زكى ومحاولة التوسط لديه للإفراج عن اورلخ وإغلاق ملفه، بحجة أنّه مناضل أممي مناصر للقضية الفلسطينية، لكنّ النقيب أبو زكى ابلغ المسوؤل الفلسطيني أنّ ملف اورلخ أصبح في المحكمة العسكرية، وأنّه اعترف بمشاركته في عملية فردان، ومراقبته لمنزل سعيد السبع تمهيدًا لاغتياله، كما ابلغه أنّه انهار في المحكمة العسكرية واعترف أنّه نقيب في الجيش الإسرائيلي واسمه الحقيقي حاييم روفيل.

يُشار إلى أنّ اعترافات لوسبرخ أو حاييم رؤفئل كما ادعى وافتضاح دوره وشبكاته دفعت الموساد لتنفيذ عملية اغتيال أحمد بوشيقي بمدينة ليلهامر فى بالنرويج يوم 21 يوليو 1973، أي بعد 10 أيام من اعتقال حاييم روفيل. وأعلنت إسرائيل من تل أبيب أنّها قتلت علي حسن سلامة مسوؤل القوة 17 لدوره في عملية ميونخ مع أنّ صلاح خلف أكّد أنّ لا دور له في عملية ميونخ أبدًا.

إسرائيل التي أعلنت أنها أخطأت الهدف بقتل بوشيقي الذي يشبه أبو حسن سلامه، كان هدفها التستر على دور أطراف عديدة انكشفت في طرابلس وفردان، فمن يدقق في صور الشخصيتين علي حسن سلامة و أحمد بوشيقي لا يجد أنّ هناك تشابهًا بين الاثنين، كما أنّه من المعروف عن أفراد الموساد أنّهم يسكنون بجانب الـ"هدف" قبل ستة أشهر على الأقل من تنفيذ الجريمة، فيقوم برصد الضحية واخذ العديد من الصور له ولعائلته وزواره، كما أنّه يرسم مجسمًا لشقته، كما حدث في فردان حيث استأجر الموساد عدّة شقق حول منزل القادة الثلاثة.

وهذا ما حدث عند محاولة اغتيال سعيد السبع، فقد استأجر الموساد عددًا من الشقق حول منزله وفوق شقته، ولا يمكن أنْ يقوم جهاز محترف بحجم وكفاءة الموساد بتصفية شخص لمجرد تشابه كما يدعي، الشيء الآخر الملفت، هل من المعقول أنْ يسافر رئيس أمنى فلسطيني إلى قرية ليلهامر النرويجية ليعمل في فندق ويتنكر بشخصية نادل مغربي، ويقوم بتقديم القهوة والشاي للزبائن؟

كارثة الموساد في ليلهامر لم تكن بسيطة، اعتقال ستة ضباط من جهاز الموساد في النرويج. إضافة لإخفاقات الموساد في لبنان التي تكللت باعتقال حاييم رؤفيل فى طرابلس، دفعت رئيسة الوزراء آنذاك، غولدا مائير، لإصدار أوامرها بوقف العمليات الخارجية فورًا، كما أنّ شبتاي شافيت قدّم استقالته إلى مدير الموساد تسفي زامير. ولم يتوقف الأمر هنا، بل أنّ مايك هراري مدير وحدة كيدون قدّم استقالته أيضًا. بناءً على ما تقدّم، يُعتبر شهر تموز (يوليو) من العام 1973 شهر الكوارث لجهاز الموساد، الذي أصبح يُدرِس في مناهجه خطأ طرابلس الذي تسبب باعتقال سبعة ضباط من وحدة كيدون.

توفي أحد أشهر جواسيس إسرائيل، مايك هراري، الذي أشرف على العديد من الاغتيالات ضد مسلحين فلسطينيين في الخارج. وقد أشرف هراري البالغ من العمر 87 عاما على مهمات استهدفت فلسطينيين تتهمهم إسرائيل بقتل رياضييها في الألعاب الأوليمبية عام 1972.

وأدى هراري دورا رئيسيا في عملية تحرير الرهائن في عنتيبي بأوغندا عام 1976.

واتهم في النرويج في قضية قتل، لخطأ في هوية المقتول.

وقع ذلك عندما أطلق مسلحون يعتقد أنهم من الموساد النار على نادل مغربي في مدينة ليليهامر عام 1973، لاعتقادهم أن الرجل من الضالعين في اعتداء الألعاب الأوليمبية.

وكان القتل ضمن عملية اطلق عليها اسم "غضب الرب"، استهدفت مسلحي أيلول الأسود في أوروبا مدة عام كامل.

وقد قتل المسلحون رياضيين إسرائيليين اثنين في مدينة ميونيخ، وقتل تسعة آخرون أخذوا رهينة، في اشتباكات بينهم وبين الشرطة الألمانية الغربية، في مطار، أثناء محاولتهم إخراج الرهائن من البلاد.

وأشاد وزير الدفاع الإسرائيلي، موشي يعلون، بخصال هراري، قائلا إن تأثيره على الموساد "لا يزال حيا، وسيبقى لسنوات طويلة."

وقد ولد هراري عام 1927 قرب تل أبيب تحت الوصاية البريطانية، وانضم إلى المليشيا الإسرائيلية قبل أن ينضم إلى الموساد.

ورفضت رئيسة الوزراء الإسرائيلية، غولدا مائير، استقالته عقب عملية القتل في ليليهامر،

أمريكا تطلق عضواً في منظمة "أيلول الأسود" حاول اغتيال جولدا مائير
صحيفة العرّاب الالكترونية

اطلقت السلطات الأمريكية سراح أحد اعضاء منظمة "أيلول الأسود" التي كانت تتبع حركة "فتح" في سبعينات القرن الماضي بعد ان قضى فقط نحو نصف فترة محكوميته البالغة 30 عاما لوضعه ثلاث سيارات مفخخة في مدينة نيويورك عام 1973 وسلم إلى مسئولي الهجرة لترحيله .

وذكرت صحيفة " القدس" انه لم يعرف على وجه التحديد ما إذا كان هذا الرجل فلسطينياً ام عراقياً، فقد كان ينتحل اسماء عديدة ويحمل جوازات سفر مزورة لبلدان مختلفة. وكانت "أيلول الاسود" تضم اشخاصاً من بلدان عربية اضافة الى الفلسطينيين. وخاض ذلك التنظيم حرب اغتيالات مع الاستخبارات الاسرائيلية.

وقال كارل روسنوك، الناطق باسم دائرة الهجرة والجمارك الأمريكية، انه تم اطلاق سراح خالد الجواري (63 عاما) من سجن "سوبر ماكس" الذي يخضع لحراسة امنية مشددة في فلورينس بولاية كولورادو. واضاف ان قاضي هجرة فيدرالياً وقع على أمر لترحيل الجواري. ورفض روسنوك تحديد المكان الذي يحتجز فيه الجواري بانتظار ترحيله. ولم يتضح متى سيرحّل الجواري او الجهة التي سيرسل اليها. ويملك الرجل الغامض العديد من الأسماء المستعارة واشتهر باستخدام جوازات سفر مزورة من الأردن والعراق وفرنسا.

وكان الجواري قد نفى الضلوع في مؤامرة التفجير بمدينة نيوريورك عام 1973، ويدعي ان اسمه الحقيقي هو خالد محمد الجاسم. وما زال مكتب التحقيقات الفيدرالية "اف بي آي" غير متأكد حتى الآن من هويته الحقيقية. ويذكر ان اسمه الحركي هو ابو وليد العراقي.

وأدين الجواري، تحت هذا الاسم، عام 1993 بزرع عبوتين ناسفتين قويتين في الجادة الخامسة وعبوة ثالثة في مطار جون كينيدي الدولي قبل 20 عاما في عام 1973. وجرى توقيت القنابل، التي لم تنفجر، لتتزامن مع وصول رئيسة الوزراء الاسرائيلية في ذلك الحين، غولدا مائير. وجذبت القضية اهتماما واسعا لأن تحقيقا لوكالة انباء "اسوشييتدبرس" اثار تساؤلات الشهر الماضي حول ما اذا كان للجواري دور في حملة الرسائل المفخخة الدامية وتفجير رحلة "تي دبليو ايه" الجوية عام 1974 التي اسفرت عن مقتل 88 شخصا.

وكان الجواري عضوا في منظمة "ايلول الأسود" المسؤولة عن تنفيذ العديد من الهجمات القاتلة، ومن بينها قتل 11 اسرائيليا خلال الالعاب الأولمبية في ميونيخ عام 1972. وفي عام 1979، اعتقل الجواري في ألمانيا اثناء محاولته تنفيذ هجوم على اهداف اسرائيلية ويهودية محتملة. وفي العام التالي، نجا من محاولة اغتيال في بيروت اسفرت عن اصابة اثنين من مساعديه واحتراق سيارته.

واتهم الجواري جهاز الاستخبارات الاسرائيلية "موساد" بتنفيذ الهجوم. وفي وقت محاولة الاغتيال الفاشلة، كان يعمل مع ابو اياد (صلاح خلف)، القيادي البارز في حركة "فتح"، اكبر فصائل منظمة التحرير الفلسطينية. وقتل ابو اياد في تونس على يد فصيل فلسطيني منافس عام 1991. وجرى اعتقال الجواري اثناء مروره عبر روما لحضور جنازة ابو اياد في يناير/ كانون الثاني 1991. ويعتقد ان ابو اياد ساعد في التخطيط لعملية ميونيخ.

وقال عميلا "اف بي آي" المتقاعدان جون سايرون وجيم فيلان، اللذان عملا على القضية عام 1973، ان اطلاق سراح الجواري هو خطأ. واضافا انه لو ان القنابل انفجرت لاوقعت قتلى.

وقال فايلن: "هذه خطوة سيئة. وهو لن يتغير". وقالت السلطات ان عائلة الجواري تعيش في الشرق الاوسط، ولكنها رفضت تحديد المكان. وقبل تسليمه الى مسؤولي الهجرة، كان الجواري معتقلا في سجن "سوبرماكس" الاتحادي الذي يخضع لأشد الاجراءات الامنية في الولايات المتحدة.

عميلة الموساد ياعيل (العربي الجديد)
كتاب يكشف دور عميلة الموساد بتنفيذ عملية "الفردان"

القدس المحتلة ـ نضال محمد وتد

4 سبتمبر 2015

كشفت مقابلة مطولة نشرتها صحيفة "يديعوت أحرونوت"، الجمعة اليوم، تفاصيل جديدة عن عملية "الفردان" التي نفذها كوماندو إسرائيلي، ضد ثلاثة من قادة منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت، وهم: كمال عدوان وأبو يوسف النجار وكمال ناصر، وقادها رئيس الحكومة الأسبق إيهود باراك، عندما كان قائداً لسرية هيئة الأركان في جيش الاحتلال، في العام 1973.

أفردت الصحيفة سبع صفحات لمقابلة مع العميلة الإسرائيلية، التي تدعى ياعيل، والتي كانت تقطن آنذاك في العاصمة بيروت، وشكلت خط المراقبة الأول لشقة القادة الثلاثة، لترسل المعلومات لوحدة الكوماندو عن تواجدهم في شققهم ليلة الاغتيال.

وجاءت المقابلة مع ياعيل عميلة الموساد، مع صدور كتاب خاص عنها وثق نشاطها في "الموساد" الإسرائيلي، وتحديداً في الوحدة قيسارية، التي جندها لها مسؤول الموساد السابق، ميكي هراري .

ويحمل الكتاب اسم "ياعيل مقاتلة الموساد في بيروت"، وقد تم وضعه بعد عامين من المقابلات المكثفة مع ياعيل.

وتقول الصحيفة إن ياعيل التي تبلغ من العمر اليوم 79 عاماً، لا زالت تتمتع بقسط من الجمال، وإن كان نشر صورها بسنها الحالي، لا يزال ممنوعاً لأسباب أمنية، وبطبيعة الحال فإن "ياعيل" هو اسمها السري في الموساد وليس اسمها الحقيقي.

ويشير ما قالته عميلة الموساد لمراسلة الصحيفة، إلى سهولة تحرك الموساد في تلك السنوات (1973) في العاصمة بيروت، لدرجة أنها استأجرت شقة في البيت المجاور لبيت الشهداء الثلاثة، كما أنا كانت بحسب تصريحاتها تتجول بحرية في بيروت، وتلتقي المسؤول عنها من الموساد، في فندق بونينسيان .

وتذكر ياعيل أن الشهيدين، محمد يوسف النجار وكمال عدوان، مثلا قطنا في شقتين في الطابق السادس مقابل شقتها تماماً، بينما سكن الشهيد كمال ناصر في المبنى الملاصق لهم في الطابق الثالث.

وكانت إسرائيل شنت في العام 1973 سلسلة عمليات اغتيال استهدف قادة من اعتبرتهم إسرائيل المسؤولين عن منظمة "أيلول الأسود"، التي تبنت عملية قتل الرياضيين الإسرائيليين في أولمبياد ميونخ، وعلى رأسهم الشهيد علي حسن سلامة، الذي عرف بكنية الأمير الأحمر.

ووفقاً للمعلومات التي أوردتها الصحيفة، فإن العميلة "ياعيل" من أصول كندية، ولدت في كندا وترعرعت في نيو جيرسي، حيث كان والدها أستاذاً للفيزياء، إلا أنه بحسبها كان بعيداً عن اليهودية، كما أن أسرتها اعتادت تزيين شجرة الميلاد. مع ذلك هاجرت ياعيل إلى فلسطين في العام 1968، وتم تجنيدها للموساد أول مرة في العام 1971.

<u>حوار مع أمنية المفتي؟</u>
وكالة يورو عرب برس (2015/9/23)

الموساد طلب من العميلة تقصي أخبار المنظمات الفلسطينية في بيروت

–كم مرة استدعيت لمكتب الأمن..؟
–مرة واحدة.. لكن ضابطاً اسمه أبو يعقوب كان يزورنا دائماً ويجلس معي كثيراً ليؤكد تبريراته.
–ما اسمك الرسمي في أوارقك الإسرائيلية..؟
–آني.. آني موشيه بيراد.

–متى خبرت بسقوط طائرة زوجك موشيه بيراد..؟

–في 11 أبريل 1972 .

–من أخبرك..؟

–أبو يعقوب.

–هل قال لك أنه مات..؟

–لا.. أخبرني أن السوريين أسقطوا طائرته، ولم يعلنوا بعد عن أسره، بما يعني أنه ربما هرب.

–هل طلبوا منك التوجه الى سوريا ولبنان للبحث عنه..؟

–ليس صراحة.. لكنهم أوحوا إلي أنه ربما التجأ الى أحد الكهوف الجبلية بسوريا في انتظار النجدة، أو أن إحدى المنظمات الفلسطينية المنشقة عن منظمة التحرير تحتفظ به سراً للمساومة عليه. ولما أنبأوني بأنهم يبحثون عمن يتقصى أخباره، طلبت منهم أن أقوم بنفسي بالمهمة، وعلى ذلك سمحوا لي بمغادرة تل أبيب الى فيينا بجواز سفري الإسرائيلي، والسفر الى بيروت من هناك كأردنية.

–هل دربت على كيفية تقصي المعلومات للبحث عن زوجك..؟

–لا.. هم فقط طلبوا مني الاحتراس والحذر.

–وكيف جندت بعد ذلك..؟

–أنا لم أجند.. فقد استدعوني الى فيينا وتقابلت مع ثلاثة إسرائيليين من جهاز المخابرات، أقنعوني بأنهم جاءوا لتسهيل إجراءات إرث زوجي والتعويض الذي تقرر له.

–صرف تعويض يعني أنه مات بالفعل. فعلام كان سفرك إذن لبيروت..؟

–لم أكن أعرف ذلك بالضبط. لكنهم نصحوني بتقصي أخبار المنظمات الفلسطينية في بيروت فقد أستدل عليه.

–تستدلين عليه في بيروت أم في دمشق..؟

–من خلال المنظمات الفلسطينية في بيروت.

–وكيف تدربت للقيام بتلك المهمة..؟

–لمدة شهر وأربعة أيام في فيينا علموني كيف أكتب الرسائل بالحبر السري، وأظهر الرسائل الواردة الي منهم، وأساليب التشفير والتصوير، وتلقط الأخبار والالتزام بالحس الأمني، وتحميض الأفلام والهرب من المراقبة، والتمييز بين الأسلحة وأساليب إثارة المتحدث ليفشي أسراره. واستقدموا لي من إسرائيل أحد الضباط المتخصصين في تقوية الذاكرة وتخزين المعلومات والأرقام والأسماء والصور "الاعتراف بالتجسس واضح جداً هنا."..

–إذن كان المطلوب منك تقصي أخبار الفلسطينيين وليس تقصي أخبار زوجك..؟

–تقصي أخبار الفلسطينيين بغرض تسقط المعلومات منهم عن موشيه. "وهنا كانت تحاول المراوغة."

–هل حددوا لك مهام بعينها..؟

–نعم.. طلبوا مني التحري عن مقار إقامة القادة الفلسطينيين، والتغلغل داخل رجال المقاومة لمعرفة أخبارهم.

–ماذا كانوا يريدون بالضبط..؟
–كانوا يريدون معرفة الطريق التي يسلكها الفدائيون للتسلل الى إسرائيل، وأعدادهم، وتدريبهم، وأسلحتهم، ومواعيد هجماتهم المرتقبة، وكذلك مخازن الأسلحة والإعاشة.
–قلت إنهم هددوك في فيينا في مايو 1972.. كيف..؟
–قال لي أحدهم إنني الآن وحيدة لا حول لي، وأن المخابرات الأردنية تسعى ورائي، ولأنني أصبحت يهودية ومواطنة إسرائيلية، فهم سيعملون على حمايتي مهما كلفهم الأمر. فكان المطلوب مني أن أستغل هويتي الأردنية للسفر الى بيروت حيث لن يشك الفلسطينيون بي.
–فوافقت على التعامل معهم من أجل حمايتك أم لإنهاء موضوع الإرث والتعويض..؟
–من أجل حمايتي.. فقد كنت خائفة من المخابرات الأردنية"!!" .
–لذلك تسلمت أربعة آلاف دولار فقط من الموساد وتنفقين من جيبك كل تلك المدة..؟ (!!) أين تدربت على استعمال اللاسلكي..؟
–في تل أبيب.
–متى..؟
–في الفترة من 20 سبتمبر الى 3 أكتوبر 1973.
–من قام على تدريبك..؟
–ضابط مهندس اسمه يوسف بن بورات.
–هل 13 يوماً تكفي لتدريبك على استعمال اللاسلكي..؟
–كان الجهاز تقنياً متقدماً جداً.. وبسيط في طريقة بثه وإرساله.
–ما سر صفحات المصحف الناقصة..؟
–كانت توجد مكانها أوراق الشفرة.
–كيف تعرفت بمارون ومانويل..؟
–عرفتني عليهما خديجة زهران.
–وكيف جندت الثلاثة لمعاونتك..؟
–تعرفت أولاً بمانويل ثم جاءني بمارون بعد ذلك.
–هل مارسا الجنس معك..؟
–نعم.. وكان ذلك قبل أن يعملا معي.
–هل نصحك ضباط الموساد بذلك..؟
–لا.. فعلت ذلك لأضمن ولاءهما لي.
–هل خديجة زهران شريكة لك منذ البداية..؟
–لا.. لم تكن تعرف بمهمتي إلا منذ فترة وجيزة. لكنها ساعدتني قبل ذلك عن غير قصد.
–كم أنفقت على شركائك الثلاثة من أموال..؟
–لا أدري كم بالضبط. لكن مارون تسلم مني ما يزيد عن الثلاثة آلاف ليرة قبلما ينضم لي.
–تقصدين قبل أن يكتشف أنه يعمل لصالح الموساد. وماذا قدم لك مارون..؟

–عرفني بـعلي حسن سلامة، وجاءني بأرقام التليفونات السرية للزعماء الفلسطينيين. كان يشاركه. وكان مارون مسؤولاً عنه. ومانويل..

–وما دور خديجة معك..؟

–كانت تمدني ببعض المعلومات التي تجلبها من زوجات الضباط الفلسطينيين من المترددات على محلها .

–هل طلب منك رجال الموساد اغتياله..؟

–لا.. مطلقاً. لم يطلبوا مني ذلك. لكنهم أمروني أن أوطد علاقتي به وأقوم بتصويره.

–وهل فعلت ذلك..؟

–نعم.. فهم كانوا يجهلون ملامحه وكانوا يلحون في ذلك.

–كم تقاضى منك أبو ناصر..؟

–أبو ناصر..؟ إنه لا يعرف أي شيء. كنا أصدقاء فقط.

–هل مارس معك الجنس..؟

–ثلاث مرات فقط ثم اختفى وعلمت بعد ذلك أنه سافر للعمل في قبرص.

–من هم الأجانب الخمسة الذين ضاجعتيهم..؟

–إنهم رجال من جنسيات مختلفة يعملون للموساد، وكانوا يجيئون إلي ليتسلموا الأفلام والخرائط التي بحوزتي.

–هل تدلينا عليهم..؟

–أنا لا أعرف أسماءهم الحقيقية، فهم يتعاملون معي بأسماء حركية، ويتصلون بي دون أن أعرف مكانهم.

–وأين كانت تتم لقاءاتكم الجنسية..؟

–في شقتي ببيروت.

–هل بينهم عرب..؟

–مغربي قال لي إن اسمه عازار وكان يعيش في تطوان.

–هل زرعت أجهزة تنصت بمكتب ياسر عرفات..؟

–كانوا يفكرون في ذلك عندما كنت بإسرائيل.. لكنني لم أفعل.

–ما الدور الذي قمت به لمحاولة اغتيال القائد أبو إياد في أكتوبر 1973؟

–أبلغت الموساد عن الموقع العسكري الذي كان يتفقده، وقد كنت أحمل يومئذ جهاز اللاسلكي بحقيبتي، وأتابع عن قرب الطائرات الإسرائيلية وهي تضرب الموقع. "أجهشت بالبكاء" سيدي أبو الهول.. كنت لم أزل بعد غبية حمقاء، أجرمت في حق وطني وعروبتي.. وديني. وارتكبت أفظع الجرائم لأنني كنت مهددة.. شريرة لا وطن لي. لقد صدقتهم وآمنت بما كانوا يقولونه دون أن أحترز أو أفكر.. وأتحسس الطريق الصواب، ولم يكن أمامي سوى الانصياع لأوامرهم خوفاً على حياتي. فهم زرعوا الخوف بداخلي من المخابرات الاردنية.. لا.. بل ومن أجهزة المخابرات العربية كلها التي تطاردني لتغتالني، ولم يكن لي مأوى سوى في إسرائيل. هكذا أوهموني وأخافوني.. وكنت مغيبة الوعي لا أدري أين هي الحقيقة، أو لأي طريق أقاد. سيدي.. لقد كنت أمدهم بالمعلومات ليس حباً في إسرائيل أو كراهية بالعرب، بل لأجل أن أضمن وطناً يؤويني ويحميني، بعدما ضيعت نفسي بغبائي.. ووقعت أسيرة مؤامرة أحبكت إسرائيل حولي شباكها بمساعدة سارة وموشيه "أمينة هنا تحاول كسب عطف المحقق ليس إلا."

عملية فردان

وبدأت عملية "فردان" أو عملية "ربيع الشباب" لاغتيال الشهداء كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار في العاشر من نيسان عام 1973، بنقل سفن سلاح البحرية لجنود إسرائيليين متنكرين بزي مدني إلى ميناء بيروت ، ثم نقلهم بواسطة عربات عملاء الموساد إلى أهداف مختلفة لتنفيذ العملية .

وترأس المهة "سييريت متكال" وكان من منفذيها إيهود باراك وعمرام ليفين، واللذان تنكرا بثياب نسائية. واستشهد في هذه العملية وفقا للصحيفة نحو 40 فلسطيني أهمهم أبو يوسف النجار من الرملة وهو أول قائد عام لقوات العاصفة وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس اللجنة السياسية لشؤون الفلسطينيين في لبنان.

كما استشهد كمال عدوان من عسقلان وهو أحد قادة حركة فتح، وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح وعضو المجلس الوطني الفلسطيني وكان مسؤولا عن الإعلام في منظمة التحرير الفلسطينية، ومسؤولا عن العمليات في إسرائيل والضفة الغربية. بالإضافة الى كمال ناصر من بير زيت، وأشغل عضوية الهيئة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأسس دائرة الإعلام والتوجيه فيها منظمة التحرير الفلسطينية، وترأس دائرة الإعلام الفلسطيني وكان الناطق الرسمي بلسان منظمة التحرير الفلسطينية.

<u>تفاصيل العملية:</u>
تنكر باراك بزي امرأة سوداء وتنكر نائبه موكي بتسار بزي امرأة شقراء ، قبل ان يقود بارك الجنود إلى داخل مبنى سكني ضمن المقرات التي كان يقطنها قادة فتح في الساعة 01:07 بعد منتصف الليل .

وتوجهت في نفس الوقت قوة إسرائيلية أخرى إلى المقر الرئيس للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، والذي يقع ضمن مؤلف من 7 طوابق في شارع رئيسي ، حيث اندلع اشتباك عنيف ، تمكن اثنائه بزرع عشرات الكيلوغرامات من المتفجرات في داخل المبنى ، لتنهار اجزاء كبيرة من المبنى .

التغطية الإعلامية:

وفي تصريحات الناطق باسم الجيش اللبناني في تلك الفترة ، والذي قال أن الإسرائيليين وصلوا إلى بيروت عن طريق البحر وعن طريق الجو بالمروحيات، وغادروا بنفس الطريقة ، حيث سقط عدد كبير من القتلى والجرحى، واضرار شديدة في المكان .

كما اشارت الى اعلان إذاعة بيروت في ذلك الوقت عن استشهاد اثنين من قادة منظمة التحرير الفلسطينية ، واعلانها في وقت لاحق عن العثور عن جثة ثالث قرب احد الفنادق ، بالاضافة الى تأكيدات ياسر عرفات - رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في حينه - نبأ استشهاد القادة ، وتصريحات احد مساعديه بقيام قوات اسرائيلية بتفجير عدة مبان كان بداخلها مقاتلون فلسطينيون .

كما نقلت صحيفة يدعوت أحرنوت الإسرائيلية قول أحد جيران الشهيد أبو يوسف أنه شاهد من شباك منزله رجالا بلباس مدني يقفون بالقرب من ثلاث مركبات من طراز "مرسيدس"، قبل أن يبدأ اطلاق النار . ووصفت لحظات استشهاد أبو يوسف النجار فقالت: أنه تم تفجير منزله أثناء نومه، ثم دخلت الوحدات الإسرائيلية إلى الشقة والتي كان بداخلها زوجته وخمسة من أطفاله، ووجهت القوات السؤال إلى ابنه الاكبر يوسف (16 عاما في ذلك الحين) وسألته باللغة العربية عن والده، فركض باتجاه غرفة والده الذي استيقظ على صوت الانفجار، وأُطلقت القوات النار على النجار رغم محاولة زوجته حمايته وإعطائه السلاح، واستشهد وهو يصرخ "جبناء".

وقالت أن القوة الإسرائيلية عادت الى إسرائيل في الصباح، وكان في استقبالهم رئيس أركان الجيش في حينه دافيد إلعازار وكبار الضباط في الجيش، في حين كانت تُرسل التقارير إلى رئيسة الحكومة غولدا مئير حول سير العملية. وأوضحت أنه بعد هذه العملية قررت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وقف نشاطها في بيروت، وطالبت قادة المنظمة من عناصرها بالتفرق في كافة أنحاء لبنان، خصوصاً بعد اكتشافهم إختفاء عدد كبير من الوثائق من مكاتب حركة فتح في بيروت، والتي من شأنها أن تؤدي إلى الكشف عن مجموعات فدائية في داخل إسرائيل والضفة الغربية. واختتمت الصحيفة بقولها أن رئيس الحكومة اللبنانية في حينه، صائب سلام، قدم استقالته لرفض الرئيس اللبناني إقالة عدد من كبار الضباط في الجيش لفشل الجيش في التصدي للعملية .

ابنة الشهيد القائد ابو يوسف النجار تكتب لكم:

من قلب الحدث، ومن وسط المأساة، تكتب ابنة الشهيد أبو يوسف النجار بقطرات من دموعها، عن تلك الليلة النكدة حين استفحل الجنود الاسرائيليون الغزاة وربابنة الإرهاب في جريمتهم باغتيال والدها ضمن مذبحة القادة الثلاث في بيروت يوم الاثنين التاسع من إبريل لعام 1973، وتروي الابنة المنكوبة وقائع ذلك الحدث الجلل لحظة بلحظة، منذ أن فّجّرَ الغزاة باب الشقة وحتى سقوط والدها شهيداً بعد أن إفتدته والدتها (أم يوسف) بجسدها، مُسجلة أروع نماذج التضحية والفداء دفاعا عن زوجها، ثم تبرز هذه الابنة مشاعر إخوتها الصغار الذين أذهلتهم المأساة وأدمت طفولتهم وذكرياتهم فيما بعد..

وبكل ما في النفس من ألم، تحكي ابنة الشهيد أبو يوسف قصة التعاطف الأبوي من القيادة الفلسطينية والقادة العرب مع أبناء الشهيد.. وإليكم الرواية:

كان يوم الاثنين التاسع من ابريل مثل قبل ايام كثيرة عادية ، يوم مطر جميل من ايام بيروت طلبت مني امي ان نخرج لنتمشى قليلاً ونستمتع بوقع المطر على المظلة والأرصفة و كيف لا وهي ابنة يافا الساحلية والتي ما تعبت يوماً من وصف كل ما فيها البحر، الرمال، بساتين البرتقال، مطرها الذي يشبه

أمطار بيروت مشينا نتحادث كانت تقول لي دائما أنني الصديقة والأخت كان الفرق بيننا خمس عشرة سنة كثيرا ما كانت تسر العائلة وتقول أن والدي أكد لها على عدم إخبار أحد لكن كانت تقول أخواتي بعيدات أمي أراها مرة في السنة كنت استمع دون تعليق، كنت أظن أنها تريد أن ترتاح من عبء كتم الأسرار لكن بعد صباح العاشر من إبريل فهمت...

عدنا إلى البيت بعد مشوار قصير في شوارع بيروت عدنا إلى البيت قبل أن نصل إذا بوالدي خارج هو الآخر ليمشي قليلاً.

يوم عادي هادئ في العاشرة مساءاً كنا جميعا في فراشنا حتى نستعد ليوم دراسي جديد، صحونا بعد ساعات على صوت إطلاق رصاص بعيد وخافت، أخي يوسف سأل: ما هذا؟ قلت له: أن هذه الأيام فيها أعياد للأخوة المسيحيين وفي لبنان كما في غيرها من دول بلاد الشام يحبون إطلاق الرصاص في المناسبات، بعدها فهمت أن هناك كواتم للصوت تُوضع على المسدسات، قبل أن نُمعن في التفكير إذا بصوت انفجار قريب قريب، فيما بعد عرفنا أنه باب شقتنا، وبدأ اطلاق نار كثيف، وخرج والدي بسرعة من غرفة نومه محاولا إغلاق باب يفصل بين غرف النوم الثلاث وبقية المنزل.

اعتقد أن حديثا دار عصراً بين والدي وكل من كمال ناصر وأبو إياد وهم يتحادثون في الشارع الضيق الذي يفصل بين العمارة التي نُقيم فيها والعمارة التي يُقيم فيها كمال عدوان وكمال ناصر، قال والدي ممازحاً رفيقه أن المساحة أمام المنزل واسعة تكفي لإنزال طائرة مروحية اسرائيلية وتخطفنا نحن الثلاثة.

أعتقد أن هذا الحديث الذي جرى قبل ساعات دفعه لمحاولة إغلاق الباب الذي لم يمنع رصاصات القتلة من الوصول إلى جسده الطاهر ودفعوا الباب بقوة أجبرت والدي للتراجع إلى باب غرفته حيث تبعه عدد من الرجال بعضهم غطى وجهه والبعض كان كاشفاً، وقف أمامه رجلان وقد حمل كل منهما رشاشا يطلقون منه الرصاص بغزارة لا يفصلهم عنه سوى طول الرشاش عندها كنت أحاول الخروج من الغرفة لكن منعتني رصاصات مرت من أمام عيني، لمحت أختي الصغرى هيام تقف في الغرفة صرخت فيها لتختبئ.

لا أدري كم مر من الوقت حسبته حسبته حين إذ دهراً، ثم أيقنت بعدها أنها دقائق وربما ثواني خرجت أمي من الغرفة فجأة ربما لأنها أيقنت أنه ليس هناك خطف بل قتل وغدر، وبدأت تضرب المجرمان بيديها العاريتين، وإذا بها تندفع من أمام والدي إلى باب غرفتي، تلقيْتُها وجلست أرضاً ورأسها في حُضني، عرفت أنها أُصيبت لم أستطع أن أفعل شيئاً، ما زلت أذكر ملمس شعرها الناعم على كتفي و عيناي لا تفارقان والدي الذي صرخ [عملتوها يا كلاب] ثم وقع أرضا نصف جسده في غرفته ونصفه الاخر خارج الغرفة، حينها دخل اثنان آخران وقفا بجانبه و بدا بإطلاق الرصاص من رشاشان، حينها سمعت الجملة الوحيدة باللغة العربية قال احدهما للاخر (خليك اضرب تايبطل يتحرك)، أما باقي ما سمعناه فكان كلاماً غريباً لم يكن مفهوماً أظن أنها العبرية.

هذه الجملة كانت بالنسبة لي رصاصة أصابتني في عقلي لست أدري كيف صور لي هذا العقل: أن والدي سيقوم ويقف ويكلمنا كما يفعل دائما ، هذه الجملة وقعت على مسامعي كالصاعقة خرجوا بعدها، وضعت رأس أمي على الأرض وقفت وقد خرج أخوتي من الغرفة الأخرى ختام خالد ياسر هيام، مازال صوت الرصاص مسموع في الشارع لم نفهم ماذا حصل؟ وماذا سيحصل؟ قررنا الذهاب إلى المطبخ حيث يوجد مخزن صغير ملحق به، كنت أخشى أن يعودوا إلى الشقة وخاصة حين شاهدنا باب الشقة ملقى على الأرض بفعل التفجير، وإذا بالهاتف قد وقع على الأرض أمسكت بالسماعة وأدرت الرقم الوحيد في ذاكرتي في ذلك الوقت مكتب والدي في مخيم صبرا، رد عليَّ صوت رجل بمنتهى

الهدوء: نعم من يتكلم، كنت أشعر أن ما جرى في بيتنا قد أيقظ كل بيت وشارع في بيروت صرخت فيه: كيف تسأل؟ ألم تعلم أن أبو يوسف وأم يوسف وكمال عدوان و كمال ناصر قتلوا ..... طبعا لم يقل شيئاً و لا أعلم كيف ذكرت ـــــــ لم أنظر من نافذة أو شرفة و لم أكلم أحد لا أملك تفسيراً .....

دخلنا بعدها المطبخ ومنها إلى المخزن، طلبت منهم الصمت كنت أخشى عودة القتلة، سألني ياسر: ماذا أقول لو سألني أحد أين أبوك؟ وكأنه لا يصدق ما حدث! قلت له قل له: أبي بطل وشهيد. بقينا صامتين لفترة ساعة أو أكثر لا أدري لم يكن للزمن معنى.

هدأ اطلاق الرصاص سمعنا صوتاً نعرفه إنه أحد أصدقاء الوالد كان يسكن قريباً في المنطقة خرجنا معه بملابس النوم حفاة لم نفكر كيف سنسير بهذا الشكل في الشارع كنت أسير أنظر الى البيوت والشرفات الجميع ينظر لكن الواضح أن ما جرى كان فقط في شقتنا. الجميع يسأل ماذا هناك؟ ماذا جرى؟ نحن فقط كنا الحدث و الشهود عليه . لم يكن معنا أخي يوسف لم نعلم أين هو هل أخذوه؟ هل قُتل ولم نره حتى السادسة صباحاً .

جلسنا في بيت صديق الوالد، رفضت أن أُغيّر ملابسي التي كانت مليئة بدماء أمي أحدهم أخبرنا أن أمي نُقِلَتْ إلى مستشفى الجامعة الأمريكية وما زالت تتنفس بقينا ننتظر.. ليتهم لم يفعلوا كانت أنفاس ضعيفة لم تكفي لعودتها إلى الحياة. وقفت على الشرفة أنظر إلى الشارع تعجبت صاحبة المنزل وسألتني ماذا أريد؟ قلت لها أريد صحيفة أي واحدة لم أقل لها لماذا .... لكنها فهمت فيما بعد فقد نظرت الى العنوان الرئيسي فقط أردت التأكد أننا لا نعيش كابوساً و أن ما حصل واقع و حقيقي.

ما أن بدأت الشمس ترتفع في السماء حتى غص المنزل بأصدقاء الوالد ورفاق دربه كانت صدمتهم لا تقل عن صدمتنا. ما زلت أذكر أبو عمار يحاول أن يخفف عنا ويقول أن الشهادة التي نالها هؤلاء الكرام أمنية له شخصياً وشرف يتمناه كل مناضل. أبو عمار تعرفنا عليه في قطر قبل حرب 1967 كان والدي حينها يعمل بسرية، فقد قدّمه لنا على أنه طبيب ويعمل في الكويت ويحب أن يزور أصدقاء له في الدوحة هذه الصداقة الوطيدة جعلت والدي يطلق إسم ياسر على أصغر إخوتي وهو من مواليد عام (1962) هذا يوضح أن العلاقة تعود الى أبعد من هذه السنة.

العم العزيز أبو مازن عرفناه وعائلته كأصدقاء للعائلة نتبادل الزيارات العائلية وكثيراً ما كان يتردد على المنزل ويرافقه العم العزيز أبا شاكر (وفيق النتشة) وكثيرا ما كانوا يصطحبون معهم والدي ويخرجوا ثلاثتهم إلى وقت متأخر وعندما كانت تسأل الوالدة عن سر هذا الخروج يومياً كان مع أنهم يعملون معاً في قطر في نفس الوزارة (وزارة التربية و التعليم) كان والدي يقول لها: أننا نتسلى بلعب الورق! فهمنا كل شيء بعد حرب (1967).

العم خالد الحسن (أبو السعيد)، أبو طارق (سليمان الشرفا)، أبو إياد الجميع كانوا حولنا يحاولون التخفيف عنا وكنّا نشعر بهم يتألمون كما نتألم كانت الصدمة سيدة الموقف.

تم تحديد موعد الجنازة كان يوماً مهيباً، قالت الصحف في حينها: أن المشاركين تراوحت أعدادهم بين 350 و 400 ألف إحدى الصحف كتبت: لم نر جنازة أضخم منها، سوى جنازة الزعيم جمال عبد الناصر. قرر الجميع أن أشارك أنا وأختي ختام وأخي يوسف فقط أما البقية فكان الموقف أقسى من أن تتحمله طفولتهم وصلنا إلى مقبرة الشهداء.

كانت المرة الأولى التي ندخل فيها مقبرة جلسنا ومعنا بعض أفراد العائلة والأصدقاء، نظرت كان هناك قبر غسان كنفاني و ابنة أخيه التي استشهدت معه، كان إطلاق الرصاص كثيفاً و هتاف المشيعين يهز بيروت، وصل موكب الشهداء أبي كان أول الواصلين لمحت خطاً من الدماء على جبهته.. جدتي لأبي

لم تصرخ كانت تردد عبارة رثاء موجعة كانت تقول: [يا عقد لولو وقع مني وانفرط] وصلت أمي حين قرر أخي يوسف (أصغر مني بخمس سنوات) أن يمنعني من النظر فوضع كفه على عيني وأصبح رجلاً يشعر بالمسئولية مبكراً جداً. انتهت مراسم الجنازة عدنا إلى البيت الكل صامت لم نبكي لم نصرخ. لفت نظري في المقبرة مجموعة من الشبان يبكون بحرقة سلمواعلينا و قالوا نحن أيضاً أبناء أبو يوسف نحن أيضاً أبطال عملية ميونخ .

عدنا لنبدأ تلقي العزاء كانت المرة الأولى أعود فيها إلى منزلنا لم أكن أشعر بساقاي..هذا المنزل الذي طالما أحببناه ونعمنا فيه برعاية الوالدين كأجمل وأكمل ما يكون، أصبح مكاناً مخيفاً جلست إلى جانب جدتي صامتة مثلها وهل يوجد أي كلمات يمكن أن تصلح لتُقال أو تسمع.

سمعنا هتاف شبان يسيرون في مظاهرة في الشارع خرجت جدتي ومعها عمتي الكبرى فإذا بالشبان يرددون أغنية من أغاني الثورة المعروفة (يا أم الشهيد زغردي) ، نظرت جدتي إلى عمتي وقالت لها: زغردي ... لم تفعل ... أعادت جدتي الطلب وزغردت عمتي حينها صمت الشبان لم يعد هناك هتاف ولا أغاني وجلس كثير منهم قبالة العمارة على الرصيف.

ارتاحت جدتي بعد أن نفذت المهمة الوصية. حدثتنا فيما بعد أن والدي كان قد زارها في دمشق قبل أيام كانت كالعادة تسمع إذاعة فلسطين وسمعت ووالدي إلى جانبها أغنية أم الشهيد قال لها: يا أمي إذا استشهدت إياك أن تلبسي الأسود إياك أن تلبسي الأسود ...لا تغيري الأبيض الذي تلبسيه (كانت تلبس ثوباً فلسطينياً أبيض)، وإياك أن تصرخي إنما زغردي. لم تكن تعلم أنها ستسمع من نفس المذياع نبأ استشهاده بعد أيام قليلة.

بعد الجنازة بأيام كان لابد من التفكير بمكان للإقامة لم يعد مقبولاً البقاء في منزل أصدقاء ومن المستحيل العودة إلى منزلنا القديم، بحثنا عن شقة مفروشة وأقمنا فيها . لم يكن المكان هو المشكلة الوحيدة بل الأهم سؤال يدور في أذهاننا هل يمكن أن نعيش حياة عادية و نكمل المسير بدون أب وأم؟ خلال أيام شعرت برغبة شديدة بأن أُنادي أبي اللفظ فقط أريد أن أنطقها (بابا أو ماما) هل يمكن أن نكمل المسير؟

الحقيقة أن زخم التعاطف معنا من كل أنحاء العالم العربي ساعدنا على الصمود، سفراء جميع الدول العربية وأخص بالذكر سفارات قطر والسعودية والكويت كان التعاطف الجزء الأبسط في مواقفهم كان هناك إصرار على المساعدة، تكررت العروض بإصرار عجيب ورغم محبتنا لتلك المنطقة التي عشنا فيها سنوات طويلة كانت الإجابة شكرا لا نستطيع. اتخذت قراري بإصرار كان لدينا خالد أخي الصغير بسنواته الاثنى عشر وما يعانيه من أزمات الربو الخانقة الطبيب قال: أن الغبار وأجهزة التكييف تضره أكثر، لا شيء يعلو فوق مصلحة أخوتي والخمسة أصغر مني وعن العطف والمساندة لا يمكن أن أنسى المغرب والجزائر، سفير الجزائر في بيروتقال لي ذات مرة: أن الرئيس الجزائري هواري بومدين - رحمه الله - بكى عندما سمع باستشهاد أبي وكانت حسب رواية سعادة السفير (محمد بايذيد) هي المرة الثانية التي يبكي فيها أحداً، فهو المقاتل و الثائر الصلب كما هو معروف.

أما المغرب فالوضع اختلف فقد كان سفيرها في بيروت (السيد أحمد بن سودة) رحمه الله صديقا للعائلة زرناه و زارنا في البيت لذا لم يسأل إن كنا نوافق أو لا بل أبلغنا بقرار الملك الراحل (الحسن الثاني)- رحمة الله - لقد قرر أن يتبنانا و يرعانا حتى تتزوج الفتاة و يُنهي دراسته الشاب. كان يحب الوالد الشهيد جداً، لقد كان من أسس وبنى علاقة منظمة التحرير مع المغرب حسب ما أخبرنا السيد بن سودة مستشار جلالة الملك بعد انتهاء عمله في السفارة، لقد قصّ علينا أكثر من مرة كيف، أنه بذل جهداً لتقديم واحد من أفضل رجال المنظمة (أبو يوسف النجار) ولم يكن الأمر سهلاً كان هناك البعض من لا يرغب ببدء

مثل هذه العلاقة لكن السيد بن سودة بذكاء و حنكة استطاع ترتيب الزيارة، وحسب روايته أيضاً أن والدي بدء يشرح فكر المنظمة وأهدافها للسيد بن سودة ليُوصلها لجلالة الملك على اعتبار أن اللقاء يكون في العادة قصيراً، رفض بن سودة الاستماع بل قام وأعطى والدي مجموعة من الأوراق وأجلس والدي على طاولة في منزل سعادة المستشار بن سودة و قال له: أكتب كل ما لديك وسأحمل هذه الأوراق للملك، وحسب روايته التي كررها أكثر من مرة على مسامعنا، كتب والدي حوالي ست عشر ورقة، كانت بداية لعلاقة طيبة مع المغرب، والحقيقة أن شهادتي في أبي قد تكون مجروحة فهو أبي الرجل الأحب إلى قلبي لكن جاءت شهادة من جلالة الملك بحق الأب الحبيب الذي غاب وما غاب، فقد أصر صاحب الجلالة أن يقابلنا في قصره في المغرب وسافرنا فعلاً، ويعلم الله كم مرة كانت الرهبة تعقد ألسنتنا فنحن لم نقابل ملكاً أو رئيساً قبل ذلك، لكن المفاجأة أن صاحب الجلالة بذكاء قرر أن يقابلنا بغرفة صغيرة لا أعرف ما هي لكن كانت وسط مساحة جميلة من الأرض الخضراء، غرفة منتهى البساطة و كان جلالته يلبس ملابس بسيطة أقرب الى ملابس الرياضة جلس معنا و حاول أن يوجه لنا بعض الكلمات التي تهدأ من روعنا و تواسينا و أجمل ما سمعته أنه لم يقرر أن يتبنانا لأننا أبناء شهيد فلسطيني فشهداء الثورة كثر لكنه اتخذ هذا القرار بعد معرفة جيدة بالوالد وما عرفه من تمسك شديد بكرامته و عزة نفسه و قد أراد أن يحفظها له برعاية أولاده .

لذا أكد علينا أنه سيغضب جداً لو علم أننا طلبنا شيء من أحد ما نريده سيقدم لنا فقط من جلالته كنت أود أن اجيب لكن الموقف كان صعبا علي تمنيت لو أتيحت لي الفرصة لأقول لجلالته أننا رضعنا العزة و الكرامة منذ الطفولة أبي و أمي كانا يحرصان بشدة بل و مبالغة على عزة النفس و الكرامة .

وأعود إلى بيروت وإلى الشقة المفروشة التي ما زلنا نُقيم فيها وتغص بالمعزين وبين هذه الأفواج من المعزين طلب منا بعض الأصدقاء أن نذهب إلى شقتنا في شارع الفردان وننظر إن كان هناك ما يستوجب أن يوزع أو يحفظ من غرفة الوالد، كان اليوم الأصعب على نفسي فتحت خزانة الوالد و الوالدة بدأنا نخرج الملابس لتوزيعها، عثرنا على مسدسان ورشاش للوالد سقطت وسقطت منا علبة صغيرة كهربائية يستخدمها الوالد لتدليك ظهره حيث كان يعاني من بعض الالام، كان جهاز صغير لا يتجاوز حجمه الذراع حاولت رفعه لكن في أسفل بطانة العلبة وجدت ورقة بخط يد الوالد قد كتبت بشكل قائمة و مرقمة من (17-1) و فيها عناوين لعمليات أيلول الأسود وقد تم وضع علامة (صح) على اثنان منها لم أعرف ماذا أفعل بهذه الورقة سألت أحد شباب المنظمة فقال سأوصلها إلى (أبي جهاد).

مرت الأيام صعبة لم نبكي كثيراً لكن كنا نشعر بالغضب أكثر كنت أجد نفسي فجأة أجري في الشارع أركب سيارة الأجرة أذهب لوحدي إلى مقبرة الشهداء ولا أجرؤ على الدخول فأعود. سمعت ذات مرة أن سيارة الوالد ستُعطى لأحد الأشخاص ركضت بسرعة إلى العم (ياسر عرفات) جلست أبكي أمامه و كأني كنت أبحث عن سبب للبكاء استمر بكاء خارج سيطرتي لفترة طويلة خجلت من نفسي وتضايقت، لكنه ما تضايق بل جلس بهدوء ينتظر ويعطيني المناديل الورقية لأمسح دموعي إلى أن هدأت وأخبرته بما يضايقني، ضحك رحمه الله و قال سيارة الوالد (فيات 132) لن يركبها أحد هي لكم. لم تكن السيارة هي القضية كان الفراغ الذي تركه هذا الرجل الذي كان خيمتنا وسفينتنا والقلب الذي يتسع لستة من الأولاد رغم أن فلسطين تحتل كيانه وقلبه ودمه .

بعد قليل من الهدوء في المنزل زارنا أبو عمار وطلب منا الانتقال إلى أي مدينة غير بيروت، لأن الأوضاع كانت تنزلق بسرعة ناحية التوتر. و قال لي أنه تشاور مع أقاربنا و قرروا أن القاهرة ستكون الأنسب.

بدأنا ترتيب أمور الانتقال، كان قراراً صعباً أن نترك المدينة التي عشنا فيها في ظل الوالدين ودفنا فيها لترتبط بيروت في أذهاننا كبداية و نهاية.

في القاهرة أيضاً وجدنا الكثير من المحبة والتعاطف والرغبة في المساعدة لا أستطيع إلا أن أؤكد حقيقة قديمة وحديثة عن الشعب المصري: ذو الطيبة والعاطفة الدافعة .

إذا بدأت بالإسكندرية فقد أدهشوني في الميناء وهم ينزلون بعض من الآثاث الذي أحضرناه معنا من بيروت، الآثاث قديم لكنه بالنسبة لنا أغلى من أي أثاث ففيه رائحة أمي وأبي أعود إلى رجال الجمارك في الاسكندرية تعاملوا معنا برجولة وطيبة لا أنساها، في القاهرة منحتنا الإقامة بكل سلاسة .

اشترينا منزلاً للإقامة من صحافي مصري قام بالتنازل عن جزء من المنزل دون أن نسأله ذلك، كذلك الجامعات والمدارس كانت تقدم لنا كل التسهيلات اللازمة، أحد أصدقاء الوالد [الدكتور كمال ناجي] رحمه الله قابلناه في القاهرة وعرفنا على الرئيس المصري السابق (محمد نجيب) رحمه الله الجميع كان يحيطنا بالاحترام و المحبة اقترح علينا الدكتور كمال ناجي أن نبعث برسالة الى الرئيس الراحل (أنور السادات) بطلب للجنسية المصرية وكان واثقاً أن الطلب لن يرد فقد أبدى احترامه وتعاطفه معنا لحظة وقوع الحدث حيث ذكر الشهداء الثلاثة وخص بالذكر والدتي وقال[أم يوسف هي أم وأخت كل واحد فينا] .

في حينها ترددت لم أقدم طلب الحصول على الجنسية لسبب لا يعرفه، إلا أنني اليوم أضحك من بساطة تفكيري ذلك الوقت فقد كنا وصلنا الى مصر، وبدأت حرب أكتوبر خطر في بالي أن الجنسية المصرية تعني أن يطبق على إخوتي التجنيد الإجباري ولم أكن أعرف أن حرب اكتوبر ستكون خاتمة الحروب بين مصر وإسرائيل فقط.

بدأنا بالدراسة في الجامعة والمدارس ساعدنا وجود بعض المخلصين حولنا من الأهل والأصدقاء كانت زيارتهم إلى القاهرة تعني زيارتنا أبا عمار، أبا مازن، أبا شاكر استطعنا قطع مشوار الدراسة بنجاح رغم وجودنا لوحدنا لم يكن هناك رقيب سوى ضمائرنا وأماني الوالد و الوالدة أن نحقق هذا النجاح حمداً لله، ورحم الله الوالدين .

سكن الأجداد فلسطين وكذلك الآباء ولكن نحن جيل ما بعد النكبة فقد سكتننا فلسطين. نعم أن تسكن في مكان تحبه ويحبك هذه من نعم الحياه أما أن يسكنك المكان أعانك الله على هذا العبء.

مئات القصص والمواقف سمعناها من الجدات عن بلدتنا يبنا وقبلها عن مدينة يافا، عشقناها قبل أن نراها وحين رأيناها ذبنا في العشق حتى الجنون .... أصبت بالجنون في عام [1996] حين سنحت الفرصة لزيارة الأراضي المحتلة من السابعة صباحاً وحتى السابعة مساءاً وصلت بنا السيارة الى بلدة يبنا كنت انظر هنا وهناك لعلي ألمح شيء يربط بين ما سمعناه من والدي والجدة (أم محمد) لكن عبثاً.

كثيراً ما حدثونا عن بيت واسع في وسط بيارة برتقال كان يرعاها جدي بنفسه يساعده الأبناء والزوجة والبنات ما بخلوا عليها بجهد وما بخلت عليهم بثمار مميزة من كل ما تشتهي النفس، كان فيها بئرا يروي الأشجار. أبي أسرته وهو طفل مد يده إلى (الماتور) الذي ابتلع أربعة من أصابع يده اليسرى. وضعت جدتي خوفها حتى اوجعتنا كيف لا و قد فقدت عدد من الاولاد قبل أن يمن عليها بأبي لكن قدر الله وما شاء فعل وعوضه الله نباهة وشجاعة أسعدت الأب وزادت من خوف الأم كانت تخاف أن يطال الحسد ابنها البكر لذا عندما جاء من يخبرها أن محمد يقف بين الرجال ويحدثهم عما يفعل الانجليز في فلسطين وخطر اليهود الزاحفين من كل حدب و صوب يتسللون كما السرطان الخبيث داخل الجسد لم تفرح غاص قلبها رعباً فقد كان لا يتجاوز الثامنة من عمره.

لفت هذا نظر أحد أبناء عمومته الجد (جدي لأبي) وكان فاضلا معروفا في منطقتنا، وهو على صلة بعبد القادر الحسيني وغيره من المناضلين في عدد من المدن، و ذكرت به بعض مراجع التاريخ الفلسطيني كان يدعى [محمد طه النجار] لفت نظره ذكاء وشجاعة أبي فاصطحبه معه أكثر من مرة علمه كيف يمسك بالسلاح و يطلق النار.

لم يكن سهلاً على شاب لم يتجاوز الخامسة عشر أن يقتل انساناً لكن في كمين على الطريق شاهدوا مجموعة من عصابات الصهاينة حدد (محمد طه) هدفاً لأبي ، تردد، كانت أوامر عمه واضحة إما أن تقتل الهدف أو أقتلك صوب سلاحه إلى رأس أبي، فقتل أول مجرم صهيوني إذا كانت كل هذه المعاناة لقتل رجل مجرم فكيف بمن يقتل وطناً ! يقتل شعبا ! يقتل حقيقة ليزرع مكانها كذبة !!

هذا الخط النضالي الذي انتهجه مبكراً لم يتعارض مع حبه للعلم أنهى دراسته في المرحلة الابتدائية ثم المتوسطة وكان لابد الذهاب إلى مدينة يبنا، لم يطل البحث وتوجه إلى يافا لقربها أولاً ولوجود أكثر من خالة لأمه هناك ويافا عروس البحر المتوسط في ذلك الوقت ومركزاً للتجارة و الثقافة. وهناك أيضاً في يافا ما بين العجمي والمنشية إختار زوجة المستقبل (أم يوسف) رفيقة الدرب أو قبل الزواج [رسمية أبو الخير] ابنة خالته الشقراء الخجولة ذات الذوق الفطري الذي صقل في يافا ملتقى الثقافات في ذلك الوقت.

اليوم وأنا أسترجع ما علق في تعاريج الذاكرة أتعجب من قدرته المذهلة على أن مقاتلاً فذاً وعاشقاً يخلط ما بين محبة أرضه وعروسه، يخلط ما بين شخصية الفلاح العاشق للأرض بكل تفاصيلها والباحث عن الثقافة والمعرفة في كل جوانب الحياة . لقد اختصر أحد رجال الصحافة اللبنانية يوماً في حديثه عن القائد (أبو يوسف) حين وصفه بأنه الرجل اللين الصعب.

على هذا المنوال سارت حياته وجاءت أحداث 1948 عاصفة، رأى بأم عينه كيف ذبحت فلسطين دون رحمة من عدو أو من صديق لم يخلو الأمر من عويل وصراخ على الضحية لكنه عويل (ندابات) يجدن الصراخ و يتضاحكن فور خروجهن من بيت العزاء وتلقي الأجرة وجد نفسه في رفح لكل عائلة خيمة لا تمنع مطراً ولا حراً ولا تتسع لكل الأجساد المنهكة فترى الأرجل وقد امتدت خارج حدودها.

ومعها أيضاً أصبح بعيداً عن عروسه التي خرجت مع أهلها من يافا على ظهر سفينة الى مصر حيث تم اسكانهم في معسكر للانجليز مما أشعرهم بالضيق فقرر اللجوء إلى غزة وهناك تزوج أبي من ابنة خالته في خيمة عام [1949] ومع ظروف الهجرة وقلة المال خاصة لمن كانت ثروته طيناً وأشجاراً مثمرة لم يستطع أبي أن يدفع كامل المهر الذي اتفق عليه فكتب المأذون في وثيقة الزواج في حينه ثلاثون جنيهاً والباقي حين العودة الى الوطن ....!!!

في رحلة البحث عن لقمة العيش وقسوة الحياة تحت خيمة وذكرى أشجار البرتقال والرمان والتين أصيب الجد بحالة من الحزن فلجأ إلى الله كان يخرج من المسجد ليعود اليه، كانت كل شجرة في بيارته مثل بناته تذكر الجدة أنه و هو خارج من بيته تحت ضغط الظلم و قسوة القوة الظالمة كان يمر بيده على جذوع الأشجار يودعها. الإيمان بالله وحده هو الذي مكنه من الصبر وتوفي فجر ذات يوم بعد أن توضأ استعداداً لصلاة الفجر رحم الله (الحج يوسف) وعوضه جنة السماء عما فقده في جنة الأرض.

أما أبي فما استكان ولا استسلم بدأ تنظيم الشباب ومناقشة ما يمكن فعله، التدريب، شراء الأسلحة، عمليات فدائية داخل الأراضي المحتلة. عرفت شيء عن هذا من قصة كانت ترويها أنني حين كان عمري أشهر أحبو على الأرض و دخلت تحت السرير سحبتني أمي ولمحت شيئاً مستديراً من المعدن كانت تقول انه يشبه قالب صنع (الكيك) حين عاد والدي سألته كان الجواب مخيفا بالنسبة لها انه لغم أرضي.

بالمناسبة حين أنجبتني أمي كانت في الخامسة عشر من عمرها. وقبلي رزقت بطفل اسمته عصام توفاه الله وعمره شهران. بعدها رزقت بفتاة اخرى اسمتها ختام ووالدي يقاوم بكل الطرق الوضع المفروض على الفلسطينين فكان يعلم الأولاد القراءة و الكلمة الأولى فلسطين.

يجمع ورفاقه الأسلحة ينشرون الوعي ينظمون أنفسهم سياسيا، فوجدوا ضالتهم بتنظيم الإخوان المسلمين الذي عرف في مصر، فكان مسؤول حركة الاخوان (فرع رفح)، رأيت له صورة ومجموعة من صحبه بلباس الجوالة وبنفس الهمة كان يتابع النشاط السياسي الذي يحاول أن يوفر الراحة والهدوء لعصابات الصهاينة عبر اقتراح توطين الفلسطينين في سيناء وقد هاجمه الوالد بشدة في كراس كتبت فيها جزء من مأساة الشعب الفلسطيني .

ما زلنا نحتفظ بهذا الكراس بخط يده. وحتى يهدأ اللاجئون قرروا أن يوفروا لهم الطعام وبعض الملابس مما يجمع في أوربا عبر وكالة غوث اللاجئين .

رفض بشدة أن تحل أخطر مأساة سياسية حلاً انسانيا فالذي اجتاح فلسطين لم يكن تسونامي ولا رياح عاصفة و لم يكن زلزالاً بل عصابات هربت من أوروبا الكارهة لهم إلى أرض فلسطين، كان حلاً جهنميا يناسب أمريكا وأوروبا واليهود وكثيرون غيرهم ربما العالم بأسره إلا نحن أصحاب الحق في أرض و سماء فلسطين. هذا الخلط بين المأساة السياسية والانسانية دفعت الوالد إلى اتخاذ قرار إحراق مراكز المؤن وإطعام اللاجئين، ما زلت أذكر الحريق الضخم في رفح عام 1954 حيث قامت السلطة الحاكمة في غزة في ذلك الوقت وهي مصر بالقبض على الوالد وعدد من أصدقاءه و سجنوا لفترة في غزة ثم تم ترحيلهم الى مصر.

و الجدة الصابرة تنظم كل يوم عملية الترحيل قرب شريط السكة الحديد في غزة علها تلمح أبي يعبر نافذة القطار فلا أحد يعلم كم سيطول الغياب. في مصر سجن وأصحابه، بقي هناك حوالي سنة و أربعة شهور بطبيعة الحال لم ير أحداً من أهله خلال تلك المدة وكم كان بحاجة لمن يشد من أزره فالمعاناة كانت كبيرة ثلاثة أشهر يتم إيقاظهم فجرا ليس للصلاة بل ليوضعوا على (العروس: عبارة عن صليب خشبي له فتحة مقابل الرأس) ويجلدوا.

وقصص المعاملة المذلة والإهانة و الشتائم بعض كان يجعلنا نبكي وقبل أن نمسح دموعنا نضحك لموقف آخر على مبدأ شر البلية ما يضحك. انتهت عذابات السجن على الجسد لكنها تركت أثرا لم يزول لا عن الجسد ولا عن الروح. عاد إلى منزله في رفح حاملاً معه نفس العزيمة قبل السجن وفكر أنضجته التجربة أكثر فقرر أن لا يظل في الإقامة الجبرية طويلا، فاستعجل أول فرصة سنحت له ليغادر سراً على مركب تجاري في عام 1956 معه زوجته حامل و طفلتان، وصلت المركب إلى صيدا ومنها انطلق إلى دمشق حيث يوجد أحد أبناء عمومته، أذكر جيدا أن قريبنا كان لديه سيارة خرجنا معه أنا و والدي سمعتهم فجأة يعبرون عن قلق و صدمة ويقولون دخل اليهود غزة كان العدوان الثلاثي قد بدأ.

روت لي جدتي فيما بعد أن الإسرائيليون حين دخلوا إلى منزلنا في رفح سألوا عن صاحب الصورة المعلقة على الجدار وكانت لأبي قالت غادر خارج البلاد يبدو أن الوقت كان قصيراً فلم تصل اليهم المعلومة و ظنوا أن جدتي تكذب فضربوا إحدى عماتي بذراع بارودة كانت مع أحدهم وكانت حامل .

بعد ايام قليلة خرج والدي من دمشق متجهاً إلى الأردن حيث عائلة أمي قد سبقتنا إلى عمان حيث استقروا.

سمعت أن والدي عن طريق أصدقاء قد عرض عليه عملاً جيداً في الإذاعة لكنه رفض للأمانة لا أعرف السبب لكن اعتقد أن خروجه هارباً من حكم بالإقامة الجبرية ومخالفته للقوانين المصرية خلق عنده قناعة بالابتعاد أكثر من الاردن.

قرر الذهاب إلى منطقة الخليج فكانت المحطة الأولى الكويت حاول لمدة شهرين الحصول على عمل لكن لم يوفق فتابع المسيرإلى قطر حيث استقر هناك من عام 1957 وحتى 1967.

وفق في الحصول على عمل في دار المعارف، استقر و بدأ يحاول تنظيم حياة كريمة لأسرته في هذا الوقت كان قد ولد يوسف.

لم تكن الحياة سهلة في قطر عانى الوالد كثيرا من حرارة الجو وعدم وجود وسائل التبريد، كما هو الآن، لكن احتمل بكل صلابة وعمل على توفير سكن لنا هناك وصلنا إلى الدفعة لم تكن الأمور سهلة كانت الوالدة تمضي نصف السنة ثم نعود إلى عمان ثم نعيد الكرة نسافر إلى أبي ثم لانكمل العام الدراسي ونعود بمنتصفه إلى الأردن .

و لكن للحق أقول أن والدي كان يبذل جهداً لتوفير وسائل الراحة لنا كل مرة كما نعود كان هناك تحسن في البيت الذي يستأجره لنا امتلك سيارة صغيرة بدأت تتحسن الأمور المادية بسرعة وزاد عددنا فأصبحنا ثلاثة أولاد وانتقل والدي للعمل في دائرة المعارف (وزارة التربية و التعليم فيما بعد) وتعرف على مجموعة من الأصدقاء كانوا أخوة بحق، محمود عباس، رفيق النتشة، كمال عدوان، الدكتور كمال ناجي، و كثيرون ممن جمعهم الفكر المستنير والأمل بغد أفضل .

التحسن المطرد في ظروفه المادية ونعمة الأمان والاستقرار مسئولية رعاية ستة من الأولاد والبنات من المنطقي والمتوقع أن ينسى عشقه القديم، و يبتعد قدر الإمكان عن العودة إلى التشرد والسجون لكن خاب المنطق وضاعت آمال كل من راهن على رغبة التمتع بالمال وميل البشر الطبيعي للحرص على نجاحات مادية عديدة. يبدو أن دمه كان يتكون من كريات دم حمراء وبيضاء وحب فلسطين.

بطبيعة الحال أن صغر أعمارنا وطبيعة والدي المتكتمة على شؤون عمله لم تتح الفرصة لنعرف كل ما كان يدور حولنا و لن أسرد دقائق الأحداث والتواريخ فهناك من هو أعلم في بذلك وهم شهود على قيد الحياة يمكن أن يدلو بدلوهم لكني هنا أتحدث عن أب كنا نفاجأ حين نعلم أن لديه الوقت ليهتم بشيء غيرنا الى جانب عمله لكن هذا الوالد رحمه الله استطاع أن يقنعنا نحن الستة –عفواً يجب أن أضيف أمي لنصبح سبعة – كل واحد فينا اعتقد أن الأفضل بالنسبة لوالدي والمقرب أكثر، عبقرية الحنان والقدرة على العطاء مذهلة، و كان يمازحنا ويضحك معنا وكأن قلبه خالص من كل هم وفكره خال من كل ما يمكن أن يشغله كان يجد الوقت ليقرأ الصحف والمجلات والكتب.

كنت أنتظر نهاية الأسبوع على أحر من الجمر لنشاركه قراءة مجلة الحوادث، العربي وغيرها من المجلات، مكتبته كانت متنوعة شاركته بقراءة ما سمح به عمري في ذلك الوقت .

أذكر مجموعة (مصطفى صادق الرافعي) من وحي عدة كتب من تاريخ فلسطين، (في ظلال القران) و غيرها الكثير.

كان يجد الوقت لنشاط اجتماعي تشاركه فيه والدتي بشكل زيارات لبعض الأقارب، الأصدقاء، كان يجد الوقت ليعمل بجد وإخلاص فأحبه المرحوم الشيخ (جاسم بن حمد آل ثان) ووثق به أيما ثقة.

أخبرنا الشيخ جاسم -رحمة الله عليه- حين قابلناه بعد استشهاد الوالدين: أن والدي لم يعطي الفرصة ليقدم له هدية أو لنقل مكافأة لم يقبل سوى مرتبه ولذا أحبه كثيرا وحاول جاهداً أن يقنعنا بالعودة إلى قطر بعد عام [1973] ليوفر الرعاية والحماية لأبناء رجل نال كل الاحترام والتقدير من الجميع

لكن كما أسلفت مرض أخي منعنا من ذلك، لكن لا أنكر أن عمله في قطر مكنه من دخول مصر التي كان ممنوعا من دخولها منذ خروجه عام 1956 زرنا مصر عام 1964 وذهبنا إلى غزة إلى بيت الجدة التي كادت تطير من الفرحة لرؤية ابنها وأحفادها. كانت حياتنا تسير على أحسن ما يكون، أم حنون متفانية في خدمة أسرتها وأب يعرف كيف يتحمل المسؤلية و شعور بالإستقرار يملأ قلوبنا كنا نسافر صيفاً إلى عمان فنشتاق إلى الدوحة، في الدوحة ننتظر رحلة الصيف .

ظلت الأمور تسير على هذا المنوال حتى فوجئنا بحرب 1967 حزمنا الحقائب استعداداً لإجازة الصيف لكن كانت إجازة مختلفة جداً عندما علمنا أن إسرائيل هاجمت ثلاث دول عربية إعتقدنا أن الأمر لن يدوم كثيراً حتى نسمع خبر تحرير فلسطين ثلاثة لواحد النتيجة واضحة خاصة أنا كنا نستقي المعلومات من الإذاعات العربية فقط فلم يكن هناك محطات إخبارية و لا فضائيات، إنما تنتقل أمي بين إذاعة صوت العرب من القاهرة و إذاعة المملكة الأردنية من عمان و نشعر أن كل ساعة تمر هي خطوة نحو يافا و يبنا. في اليوم الثاني للحرب كان والدي قد غادر لا نعرف إلى أين سمعت همسا بأنه غادر الى الكويت وحاول الوصول الى الاردن لكن يبدو أن الأمر كان مستحيلاً فحركة المواصلات تعطلت و كذلك محاولات الفهم أذكر أن الوالدة رحمها الله كانت سعيدة وزادت من جرعة حديثها عن يافا فقد اقترب اللقاء حسب ظنها بعد يومين أو ربما ثلاثة عاد والدي ليخبرنا حقيقة الأمر، انتهت الحرب، ضاعت بقية فلسطين ومعها سيناء و الجولان.

بالنسبة لنا هذا يعني لا سفر ولا إجازة لقد كنا أصغر من إدراك حجم الكارثة، مرت فترة أظن أنها لا تتجاوز الأسبوعين وسمع والدي أن حركة الطيران بدأت بشكل محدود فكان مطار حلب في سورية أول ما بدأ العمل فسافرنا إلى هناك برفقة الشهيد(عبد الفتاح الحمود) وعائلته ومن حلب توجهنا بالسيارة إلى عمان.

دراسة أمنية

بقلم / د . سمير محمود قديح :باحث في الشئون الامنية والاستراتيجية

في مقر مبنى الموساد كان النقاش حاداً بين رئيس الجهاز وأعضائه وكان السؤال الذي لم تحدد إجابته حتى هذه اللحظة : كيف يُمكن الانتقام لمقتل عميل الموساد "باروخ كوهين" الذي كان يعمل متخفياً كعميل للموساد في أسبانيا تحت اسم حانان بيشاي، وتم اغتياله أو تصفيته بمعنى أصح في أحد شوارع مدريد قادماً من مدينة براسيلز في مهمة خاصة بالموساد .
لم يكن باروخ كوهين عميلاً عادياً للموساد بل كان تاريخه الطويل في قتل العرب الفلسطينيين في الارض المحتلة يجعله واحداً من أهم الأهداف التي يعمل الفدائيون على تعقبهم واصطيادهم في أي مكان بالعالم .
كان باروخ أحد الذين طاردوا ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية في أعقاب حرب 1967 وكاد يمسك به إلا أن عرفات نجا من هذه المحاولة ولذا فإن باروخ كان هدفاً دائماً لواحدة من أقوى المنظمات الفدائية التي عملت لفترة طويلة في تصفية العملاء والخونة من الجانبين الإسرائيلي والعربي، لذا فقد نجحت منظمة أيلول الأسود أخيراً وفي 26 يناير 1973 من اغتيال باروخ كوهين الذي لعب دوراً مهماً ومؤثراً في تصفية الفدائيين قبل أن يستقر في أوروبا كقائد لعملاء الموساد في أوروبا .
عندما نشرت صحف تل أبيب والصحف العربية الصادرة في الارض المحتلة خبر مقتل كوهين انتبه

الموساد إلى أن هذه الصحف العربية نشرت أيضاً قبل مقتل كوهين خبراً يقول أن منظمة أيلول الأسود أصدرت حكمها بإعدام أحد عملاء الموساد في أوروبا .. وكان المقصود باروخ كوهين. كان مقتل كوهين يُشكل بالنسبة للإسرائيليين إشارة تحذيرية خطيرة، إذ أن معناها أن منظمة أيلول الأسود قد استطاعت اختراق شبكة الموساد في أوروبا وهو أكثر ما أقلق الموساد الذي اجتمع في فبراير 1973 ليقرر كيف سيكون الانتقام !!
انقسم أعضاء الموساد في هذه الجلسة إلى قسمين قسم يرى ضرورة قتل ياسر عرفات وقسم يرى أن الأهم هو قتل جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبدأت فرق الموساد تُخطط لاغتيال عرفات أو جورج حبش.
فشلت كل المحاولات لاغتيال هذين القائدين حتى تلك المحاولة التي تم خلالها تغيير مسار طائرة لبنانية وتوجيهها إلى قاعدة عسكرية إسرائيلية ظناً أن جورج حبش على متنها باءت أيضاً بالفشل إذ لم يكن عليها ونجا الزعيم الفلسطيني المتشدد.

شارع الخرطوم
كانت الساعة وصلت الحادية عشرة صباحاً يوم 3 إبريل من عام 1973 كما تشير إلى ذلك ساعة الحائط المثبتة خلف موظفي استقبال فندق سندس في قلب العاصمة الحية المرحة بيروت عندما دخل سائح انجليزي أبيض البشرة، أزرق العينين وشعره يميل إلى الاحمرار وتوجه من فوره إلى موظف الاستقبال وحياه ثم طلب منه حجز غرفة له.
سأله الموظف ليملأ استمارة الدخول عن اسمه قال ..
ـ ديتور التور
ـ المهنة ـ رجل أعمال
ـ المدة التي سيقضيها في الفندق ..ثلاث ليال ..وربما ثلاثون!
ثم طلب موظف الفندق جواز سفره ليستكمل بقية إجراءاته وناوله السائح الجواز وصعد مع أحد خدم الفندق إلى غرفته وترك الجواز مع الموظف الذي نادى عليه لكي يوقع على استمارة الدخول، رد عليه السائح، ليس مهماً ربما في المساء.
وفي المساء وقف السائح الانجليزي التور يسأل الموظف: هل هناك محلات قريبة تبيع أدوات صيد؟
ـ نعم ياسيدي ..لماذا؟
ـ أنا هاوٍ للصيد ولكني أهواه ليلاً فقط .
ـ غريبةٌ ..اتصطاد ليلاً فقط؟
ـ نعم إنها هواية غريبة ولكني أجد متعتي في ذلك دائماً، ظل التور يخرج مساء كل ليلة من الفندق حاملاً سنارته ويسير على الشاطيء في الظلام حتى منطقة تسمى مغارة الحمام حيث يمارس هوايته ويعود في آخر الليل وكأنه صياد عائد من رحلة صيد حقيقية.
وبعد ثلاثة أيام من وصول هذا السائح الغريب وصل إلى نفس الفندق ثلاثة سائحين كل منهم على حدة وفي توقيت يختلف عن توقيت الآخر بفارق ساعتين بين كل سائح وآخر، ولكن كان السائح الانجليزي آندرو هو أول من وصل وكان يبدو كرجل انجليزي تقليدي، كلاسيكي المظهر، متأنق ومتحفظ في كلامه لكنه كان على كل الاحوال يتحدث، وأملى بياناته للموظف وسلّمه جواز سفره أيضاً.
بعد وصول اندرو بساعتين وصل سائح آخر لكنه كما قال لموظف الاستقبال بلجيكي وقال أن اسمه شارل بوسار ولكنه كان قادماً من روما .. وكان يبدو في الأربعين من عمره وعندما بلغت الساعة التاسعة مساء كان قد وصل سائح انجليزي ثالث اسمه جورج ألوار لم يتحدث بأية كلمة مع أي من العاملين بالفندق وعندما أراد موظف الاستقبال أن يسأله عن اسمه القى له بجواز سفره ثم طلب مفتاح غرفته وصعد إليها دون كلمة ولا مع الخادم الذي قاده إلى الغرفة وكان يبدو في الثلاثين من عمره.
لم يكن أي من السياح الثلاثة يعرف أحدهم الآخر بشكل مباشر ولم يسبق أن التقوا معاً من قبل لكنهم كانوا جميعاً يعملون لحساب جهة واحدة !!

دقت الساعة الثانية عشرة منتصف ليل بيروت عندما فوجيء موظف استقبال فندق "سندس" بالسائح الغامض يقف أمامه ويسأله .
كيف يمكنني أن أذهب إلى شاطيء البحر؟
ـ الآن ياسيدي؟
ـ هل هناك خطر يمنع ذلك؟
ـ لا ولكن الوقت متأخر وعموماً إليك الطريق، وصف موظف الاستقبال الطريق للسائح الانجليزي جورج الذي خرج من الفندق متجهاً إلى شاطيء البحر.
في فندق أطلانطيك "أتلانتيك" تكرر المشهد نفسه أيضاً من سائح انجليزي اسمه اندروميسي الذي اختار هذا الفندق الواقع على شاطيء البياضة ومنذ لحظة وصوله وحتى مغادرته الفندق ظل يسأل عن حالة الطقس وكلما أجابه عامل من الفندق عن الطقس أعطاه مبلغاً من المال .
لم يلاحظ أحد من عمال الفندق وموظفوه وجود أية علاقة بين هؤلاء السياح إطلاقاً، فهم لم يلتقوا مع بعضهم بعضاً في صالة الفندق وكان كل منهم يخرج بمفرده ليتجول في شوارع بيروت سيراً على الأقدام ولكنهم جميعاً كانوا يسيرون يومياً وبانتظام في شارع الخرطوم ببيروت أكثر من مرة في اليوم الواحد.
كان شارع الخرطوم هو هدف جميع هؤلاء السياح، وفي الحقيقة أنهم لم يكونوا أيضاً سياحاً .. ولكن المؤكد أنهم لم يكونوا على معرفة مباشرة ببعضهم لكنهم جميعاً يعملون لصالح الموساد وقد تلقى كل منهم على حده تعليمات محددة بالسفر إلى بيروت والوصول بالطريقة التي وصلوا بها وألا يتحدث كل منهم للآخر أبداً داخل الفندق وأن يدرسوا جيداً شارع الخرطوم .. أهم شارع بالنسبة لهم في لبنان كله .. ولكن لماذا؟
لسبب بسيط وهو أن مكاتب قيادة الجبهة الشعبية الديمقراطية الفلسطينية تقع جميعها في هذا الشارع، والأهم أن الشارع أيضاً يسكنه بعض فدائيي منظمة ايلول الأسود وقادة فتح .. كان شارع الخرطوم طويلاً ممتداً لمسافة بعيدة تنتهي بملعب وناد رياضي مقام على أحدث طراز لذا فإنهم كانوا يلتقون في نهاية كل جولة يقومون بها لشارع الخرطوم في هذا الملعب ليس للعب الكرة أو البولينج بل لمراقبة مبنى قيادة الجبهة الشعبية.
كان هناك أيضاً شارع آخر لابد لهؤلاء الجواسيس من مراقبته غير شارع الخرطوم، كان اسمه شارع فردان وهذا الشارع بالتحديد كان يسكن فيه الأعضاء المطلوبون من فتح ومنظمة أيلول الأسود .. كان المطلوبون هم علي حسن سلامة، كمال عدوان وكمال ناصر وأبو يوسف النجار وكانوا جميعهم يقيمون بشارع فردان الا أن الذي لم يكن العملاء متأكدين من إقامته في هذا الشارع هو علي حسن سلامة ولكن ربما يكون موجوداً وتكلل العملية بالنجاح ويقضى على الأربعة خاصة علي حسن سلامة .
كان علي حسن سلامة بالذات مشكلة المشاكل للموساد فقد كانت إسرائيل تعتبره مسئولاً عن عملية ميونيخ وأنه هو الذي خطط لاغتيال فريق رياضي إسرائيلي خلال دورة ميونيخ للألعاب الاولمبية التي أقيمت في ألمانيا وفي يناير الماضي قتل أحد أهم ضباط الموساد النقيب باروخ كوهين المشرف على الفرع الخارجي في أوروبا، وهو في الوقت نفسه ابن أحد كبار رجال المقاومة الفلسطينية في حرب 1948وكانت وظيفته الحقيقية قائد المجموعة 17 التي تقوم بحماية عرفات شخصياً، لذا فإن قتله كان من أهم العمليات التي يخطط لها الموساد وعندما وصل جواسيس إسرائيل إلى بيروت يوم 3 ابريل الماضي كان للتمهيد لعملية اغتيال علي حسن سلامة الذي لم يكن عنوانه مؤكداً لدى الموساد الذي كان يطلق عليه اسم الأمير الأحمر، ولكن ما كانت الموساد متأكدة منه بالفعل هو مكان كمال عدوان وكمال ناصر وأبو يوسف النجار والغريب أن الذي توصل إلى هذه المعلومة وأبلغها للموساد كان الجاسوسة أمينة المفتى وكانت آنذاك في بيروت تدير مصحة لعلاج الحالات المعاقة جسدياً ونفسياً .
كان المطلوب علي حسن سلامة إذن وهذه المرة لابد من النيل منه فتكفي مرة فشل واحدة للموساد في مطاردة هذا الفدائي العنيد.

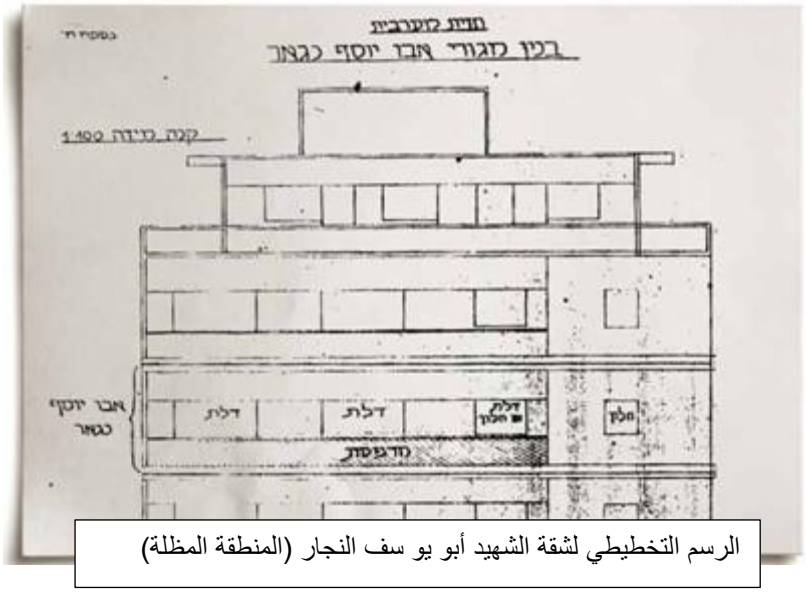

الرسم التخطيطي لشقة الشهيد أبو يو سف النجار (المنطقة المظلة)

التنفيذ

قام الجاسوس ديتور التور والجاسوس اندروتيسلاو والبلجيكي شارل بوسار والجاسوس الغامض جورج آلوار باستئجار اربع سيارات بويك وسيارة رينو وسيارة بلايموث وسيارة فاليانت من مكتبي تأجير مشهورين هما آفيس »وليناكار «وهما وكالتان كانتا تؤجران السيارات الفخمة للسياح فقط ولكنهم اختاروا استئجار سيارات قوية ذات دفع رباعي ولما سألهم موظفو الوكالتين لماذا؟ قال كل منهم على حدة :للنزهة بها في المناطق الجبلية وارتياد لبنان من جنوبه الى شماله.

سجل الموظفون اسم كل سائح من واقع جوازات السفر الانجليزية والبلجيكية وكانت بالطبع جميعها مزورة في مطابع الموساد الخاصة بتل ابيب حيث كانوا جميعاً من عملاء الموساد الاسرائيليين .

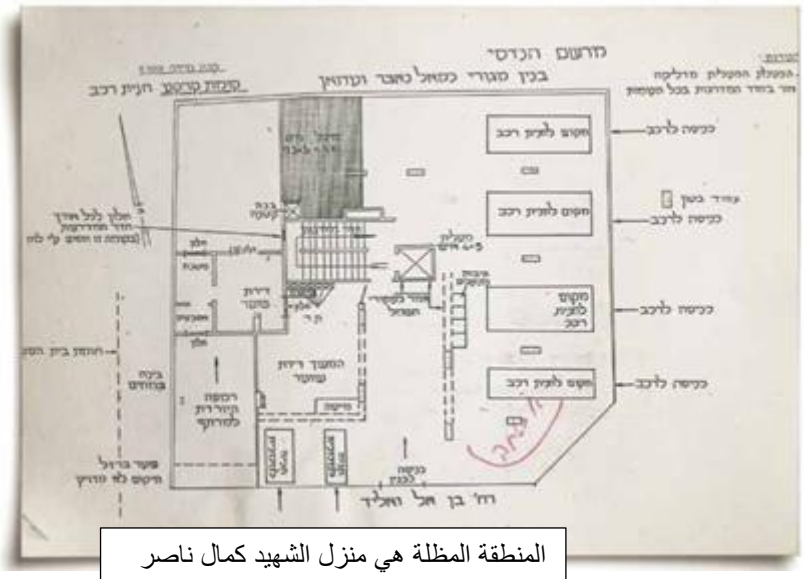

المنطقة المظلة هي منزل الشهيد كمال ناصر

طلب الموظف المسئول من كل فرد منهم عند استئجار سيارة مبلغ 200دولار تأميناً للسيارة فدفع كل منهم مبلغ التأمين بسهولة وتجمعت السيارات الأربع بحوزتهم حيث بدأوا التحرك بها وفق الخطة والتدريب على المناطق التي ستستخدم فيها هذه السيارات فيما بعد ..خاصة المناطق الساحلية المؤدية الى منطقة برج الحمام التي كان الجاسوس الاول ديتور التور قد اختارها لصيد السمك فيها ليلاً !!

في الساعة السادسة من صباح 9 ابريل 1973 كانت قافلة بحرية اسرائيلية قد تحركت في اتجاه المياه الاقليمية اللبنانية من ضمنها حاملة صواريخ وسفينة اغراض اخرى والتحمت هذه السفن في طريقها الى لبنان مع السفن التجارية الاخرى العابرة في الخطوط البحرية الدولية .

كانت حاملة الصواريخ تحمل ايضاً في بطنها عدداً من جنود المظلات وكانت هذه المجموعة مكلفة بمهاجمة مبنى قيادة الجبهة الديمقراطية .

اما السفينة الثانية فكانت مهمتها تفريغ مظلييها لمهاجمة واغتيال قادة المقاومة الفلسطينية في شارع فردان كل جندي من الجنود في السفينة الثانية كانت معه 4 صور وكانت هذه الصور للضابط علي حسن سلامة وابو يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر !!..

كما اعطيت لكل فرد من مجموعات الاغتيال صور اخرى للمناطق التي سيمرون بها اثناء تنفيذ العملية وخرائط دقيقة ومجسمات لمناطق العمليات في احياء وشوارع بيروت، واماكن الانتظار وطرق

الانسحاب ومكان التجمع بعد تنفيذ العمليات واقتضت خطة الهجوم ان تتم بموجب عمليتي انزال بحري الاولى على شاطئ البياضة والثانية على شاطئ مغارة الحمام .
وصلت الساعة التاسعة والنصف ..اصبح الليل مخيماً على كل بيروت الهادئة المسالمة والغارقة في اضوائها وفي هذه اللحظة القت السفينتان الاسرائيليتان مراسيهما في المياه وكان الجنود في جوفي السفينتين يرتدون جميعهم ملابس رياضية او مدنية وجميعهم مسلحون ببنادق سريعة الطلقات واخرى متوسطة ومدافع رشاشة ثقيلة ومدفع هاون ومورتر بينما كان الضباط مسلحين بمسدسات بريتا سريعة الطلقات .
كان الجميع حتى هذه اللحظة ينتظرون اشارة قائد هذه العملية وكان القائد المقدم ايهود باراك !!
نعم هو نفسه ايهود باراك رئيس وزراء العدو الاسرائيلي السابق، كان وقتها لايزال مقدماً في الجيش ولكنه كان من اكثر ضباط هذا الكيان الذي قام بعمليات خاصة للموساد وكانت هذه العملية من العمليات الكبيرة التي قادها، فالذي سيغتال في هذه الليلة اربع من اهم قيادات الفلسطينيين .
ظل باراك ينظر كل فترة واخرى في ساعة يده الى ان وصلت الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، عندها اعطى الاشارة ببدء العملية .في هذه اللحظة انزلت القوارب المطاطية من السفينتين الراسيتين في عرض البحر قبالة شاطئ بيروت واحداً في البياضه والاخرى في مغارة الحمام .
لم يكن هناك اي انسان على الشاطئ في هذه الساعة ظلت القوارب المطاطية تقترب من الشاطئ بجنودها الى ان تلقت اشارات من اليابسة بمصابيح بطاريات كان متفقاً عليها مع الجواسيس الذين نزلوا فندق سندس على هيئة سياح بريطانيين واستأجروا السيارات قبل ايام، وبعد ان تلقت القوارب المطاطية الاشارات المتفق عليها نزل الجنود الى الشاطئ بينما هرع الجواسيس الى السيارات التي كانت تقف في الشارع اعلى رصيف الشاطئ وخلف كل مقود سيارة جلس السائق في هدوء بينما كانت اضواء السيارة مطفأة .
في لحظات كان المظليون قد دخلوا بأسلحتهم الى السيارات الواقفة حيث انطلق السائقون الذين كان من الواضح جداً انهم يعرفون طرق بيروت جيداً وخاصة الطريق المؤدي الى شارع الخرطوم وشارع فردان .
وفي شارع فردان نزلت مجموعة من سيارتين واختبأت في بيت مظلم بالقرب من المبنى المطلوب، بينما افراد المجموعة الأخرى اتجهوا الى شارع غانا حيث نزلوا هناك ثم تسللوا في الظلام باتجاه شارع الخرطوم حيث يقع مبنى الجبهة الشعبية الديمقراطية.
التصفية
في مساء الليلة التي وصلت فيها سفن الاغتيالات الى شاطئ بيروت كانت محادثات المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية قد انتهت لتوها والساعة تشير الى الواحدة بعد منتصف الليل .
وبعد ان انتهى الاجتماع قال ابو يوسف النجار لابو اياد) صلاح خلف ..(يا ابا اياد انا مكلف من كمال ناصر وكمال عدوان بدعوتك على عشاء سمك الليلة وقبل ان يجيب ابو اياد قال له النجار هل تعرف اين؟ في مطعم السلطان ابراهيم على شاطئ الاوزاعي .
قال ابو اياد :اعذرني يا ابو يوسف ..فأنت تعرف اني لا اجلس في الاماكن العامة، انا مستهدف كما تعلم وامني لا يسمح لي بقبول مثل هذه الدعوات .
رد كمال عدوان، الا يعجبك السمك؟
لا ليست المسألة كذلك ولكنها ليست خافية عليكم .
سنؤمن المكان تماماً ..لا تخشى شيئاً .
قبل ابو اياد في النهاية الدعوة وتوجه معهم الى المطعم في التاسعة مساء 9 ابريل، انتهت اجتماعات المجلس المركزي الفلسطيني وغادر اعضاء المجلس الى بيوتهم او المكان الذي يبيت فيه كل منهم، عندما اقترب ابو اياد من كمال ناصر وقال له هل لي ان ابيت عندك الليلة، هذه الليلة بالذات لست متفرغاً لك ..لدي مقال عن الشاعر عيسى نخلة اريد ان اكتبه رحمه الله كان صديقي ..وطبعاً اذا نمت عندي فلن اكتب المقال وغداً ورائي اعمال كثيرة .
هكذا يا بو ناصر ..انت الخاسر .

ومضى ابو اياد وترك كمال ناصر يعود الى بيته وقرر ان يزور مجموعة من الفدائيين الذين نفذوا عملية ميونيخ والذين كان قد افرج عنهم مؤخراً.

لحظة الصفر

اصدر ايهود باراك اوامره ببدء التنفيذ للملازم اول ابيدع شور وضابط الصف حجاي معيين وطلب منهما اطلاق النار من مسدساتهما كاتمة الصوت على الحارسين امام مبنى الجبهة، وبالفعل تقدم الضابط وزميله من حراس المبنى حتى صارا على بعد خمسة امتار فقط من الحارسين ثم توقف الاثنان فجأة بينما اختبأ باراك ومجموعة جنوده والمقدم لفكين وجنوده في منطقة يستطيعون منها ان يشاهدوا ما يجري وعندما توقف ابيدع وحجاي فجأة، حبس باراك ولفكين انفاسهما رعباً حيث كانت الاشارة بالهجوم ستأتيهم عندما يفرغ الملازم وزميله الرصاص في الحارسين ..عندما توقف ابيدع كان ليتظاهر باشعال سيجارة لنفسه ثم اشعال سيجارة لزميله وذلك بالقرب من الحارسين الفلسطينيين لكنهما لم يهتما .

تابع ابيدع وزميله السير في اتجاه الحارسين حتى صارت المسافة الفاصلة بينهم متراً واحداً وفجأة قال للحارسين مساء الخير وقبل ان يردا قال لهما مرة اخرى I sorry ..ثم اطلق الرصاص وزميله عليهما، وبعد ان دوى صوت الرصاص من مسدسات ابيدع وزميله قفز مقاتلان فلسطينيان من سيارة كانت تقف بالقرب من المبنى واطلقا وابلاً من الرصاص على الملازم وزميله فارداهما قتيلين .

عندما سمع كمال ناصر صوت الرصاص كان لايزال يكتب مقاله عن الشاعر فقفز من مكانه نحو سلاحه يبحث عنه في نفس اللحظة التي كسر فيها باب شقته فجأة وافرغ المهاجمون في جسده ثلاثين طلقة ليستشهد على الفور قبل حتى ان ينطق كلمة واحدة .

وفي الوقت نفسه كان ابو يوسف النجار يستعد للنوم بينما كان اولاده الخمسة يدرسون واجباتهم او يحضرون ليوم الدراسة التالي عندما انفجرت قنبلة دمرت باب شقته ودخل مجموعة من الاسرائيليين يغطون وجوههم بجوارب نسائية الشقة واتجهوا الى غرفة نومه بينما اسرعت زوجته بالبحث عن مسدسه وعندما دخلوا الغرفة وقبل ان يطلقوا النار عليه القت زوجته مها بنفسها عليه لحمايته فاخترقت الرصاصات جسدها وجسده ليموتا في لحظة واحدة .عندما سمع كمال عدوان صوت الانفجار والرصاص في شقة ابو يوسف النجار ادخل زوجته واطفالها الى غرفة داخلية وحمل بندقيته الكلاشينكوف لمواجهة ما سيحدث الا ان باب الشقة كسر بالطريقة نفسها ودخل ثمانية اسرائيليين بأسلحتهم حيث افرغوا رشاشاتهم في صدره وسرقوا اوراقه ومستنداته .بينما زوجته واولاده في حالة ذعر شديد.

رام الله -معا -يروي ياسر النجار سفير دولة فلسطين في النرويج ابن الشهيد ابو يوسف النجار حقائق وتفاصيل حول عملية الفردان في الذكرى الـ 39للعملية وذلك على صفحة حركة فتح على الفيس بوك .

ليلة الاغتيال

في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل من فجر العاشر من نيسان عام 1973استيقظ يوسف أكبر أبناء الشهيد أبو يوسف على صوت إطلاق نار خفيف في الشارع الذي يقطنون فيه .هرع يوسف 16)عاما (إلى غرفة والديه ليوقظ والده الذي قال له أن إطلاق النار ربما كان من أحد الأعراس في الجوار .وقبل أن يعود يوسف إلى غرفته دوى إنفجار شديد اثر عبوة ناسفة لباب شقة أبو يوسف واقتحم 8إلى 10 من رجال الكوماندوز الإسرائيلي الشقة .كان بعضهم ملثم وبعضهم بدون غطاء للوجه يتحدثون بالعبرية والإنجليزية والعربية.

وأسرع أبو يوسف واغلق الباب الفاصل بين غرف النوم وغرفة الجلوس في الشقة وقال ليوسف احضر مسدسي بسرعة .إلا أن رجال الموساد كانوا خلف ذلك الباب وقد بدأوا بإطلاق النار من اسلحتهم الرشاشة على الباب.

وأصيب أبو يوسف بعدة رصاصات في أنحاء مختلفة في جسده ولكنه لم يسقط .اقتحم القتلة المكان بوابل من الرصاص على أبو يوسف الذي ظل واقفاً يتلقى الرصاص في جسده بينما كان يتفقد بعينيه

ابناءه وبناته من حوله وصرخ في وجه ابنه البكر يوسف قائلاً له "أهرب . "كانت شقتنا في الطابق السادس ولم يدري يوسف أين يذهب فاتجه صوب غرف نوم والديه والرصاص يلاحقه فأصابت إحدى الرصاصات كتفه الأيسر .إستخدم يوسف سلك الهاتف فربطه في درابزين الشرفة وحاول النزول إلى الشارع ولكنه فوجئ برجل وامرأة في الشارع يطلقون النار عليه فدخل إلى شقة في الطابق الخامس حيث استقبله بعض القساوسة الايطاليين الذين سقوه بعض العصير الذي إتضح فيما بعد أن به مخدراً وتم اكتشاف أنهم من عملاء الموساد المزروعين في لبنان منذ عام تقريباً للمشاركة في العمليه.

في هذه الأثناء خرجت أم يوسف خلف زوجها وابن خالتها لتصد عنه بعض الرصاص بيديها .فكانت تدفع بهم للخلف بينما أبو يوسف ظل واقفاً وقد امتلأ صدره وجسمه بالرصاص .حاول القتلة ابعادها بضربها بكعب البندقية على وجنتها لكنها استماتت في محاولاتها اليائسة للدفاع عن زوجها وأبنائها.

وأصبحت أم يوسف عائقاً في وجه فريق الإغتيال -هذا ما قاله إيهود باراك في مذكراته -فأطلق عليها ثلاث رصاصات استقرت احداها في وجنتها والثانية في رقبتها والثالثة في صدرها فسقطت. وصرخ أبو يوسف فيهم "قتلتوها يا كلاب "ثم سقط إلى جوارها مضرجاً بالدماء أمام غرفة نومي أنا واخواني يوسف وخالد.

بعد دقائق قليلة انتهى كل شيء غادر القتلة بيتنا بعد أن اطلقوا مئات الرصاصات في كل اتجاه .على الجدران والأثاث والنوافذ فكانت الأرض

مليئة بشظايا الخشب والاسمنت والزجاج .كنت أنظر إلى باب غرفتي لأرى ساقي والدي الممدة على الأرض حين امسكت أختي ختام

كفي أنا وأخي خالد لتخرجنا من الغرفة .فخرجنا مسرعين إلى المطبخ إلا أني تزحلقت في دماء ابي واختلست نظرة سريعة على وجه ابي كانت الأخيرة.وكانت كبرى اخوتي حكمت 20)عاما (تحضن أمي بين ذراعيها ولم تكن فارقت الحياة بعد ولكنها كانت تنزف بشدة من رأسها ثم توفيت بعد ذلك بساعتين أو ثلاثة على الأكثر .

قرار الاغتيال

كانت حركة فتح في تلك الفترة قد وصلت الى ذروة الصراع مع إسرائيل من خلال العمليات النوعية التي كان يخطط لها الشهيد كمال عدوان في الداخل المحتل وفي الخارج من خلال عمليات أيلول الأسود التي كان يقودها أبو يوسف .كما أصبحت القضية الفلسطينية تكتسب تعاطف العديد من الدول في كافة أنحاء العالم من خلال التحرك الدبلوماسي الذي لازم الكفاح المسلح .وفي خريف 1972ظهرت جولدا مائير رئيسة الوزراء آنذاك في الكنيست بخطابها المشهور تتوعد بالقصاص ممن خططوا لعملية ميونيخ .وأخذ القرار باغتيال أبو يوسف ، كمال عدوان وابو إياد ثم أضيف كمال ناصر إلى القائمة كونه أصبح يحرج إسرائيل في زيارته إلى دول أوروبا من خلال تعرية دولة إسرائيل بالحقائق بلغات يتقن منها الفرنسية والإنجليزية .وسميت هذه العملية من قبل الموساد "غضب الرب "أحيانا وأحيانا سميت "ربيع الشباب"

تمت العملية بنجاح بالنسبة لإسرائيل ليس لأنهم أكثر قدرة من أجهزة الثورة الفلسطينينه وكادرها ولكن لأن هؤلاء القادة رفضوا مبدأ الاختباء من العدو بل آثروا مواجهته كبقية الشعب الفلسطيني ومقاتليه .
أذكر أن جدتي أم محمد والدة ابي وقبل أشهر قليلة من اغتياله كانت تجلس إلى جوار ابي وتقول له يا محمد احرص على نفسك فالناس تقول أنك مطلوب لإسرائيل .فأجابها أبو يوسف وهو يمسك بكفها "يمة أنا طول عمري حامل روحي على كفي ، بدك ابنك يتخبى خلف حراسه .أنا زي باقي الناس "

هذا جزء من هذه الملحمة العظيمة التي عاش شعبنا الفلسطيني فصولاً منها لتبقى لنا وللاجيال القادمة درساً في الكفاح والصمود من أجل ارضنا حق شعبنا وكرامته.

ليلة العاشر من نيسان عام 1973، كانت ساعة الصفر المقررة لدى جهاز "الموساد" لتنفيذ عملية تصفية لثلاثة قادة فلسطينيين، هم محمد يوسف النجار" أبو يوسف النجار"، وكمال ناصر وكمال عدوان، لنشاطهم في المقاومة الفلسطينية، وبدعوى مشاركتهم في التخطيط لعملية ميونخ في العام الذي سبقه، وخطف اللاعبين الإسرائيليين.

في تلك الليلة؛ وصلت سفن اغتيال قادة المقاومة الفلسطينية إلى شاطئ بيروت، على متنها الجنود الذين سينفذون عملية الاغتيال وقائدهم، المقدم إيهود باراك، وزير جيش الاحتلال الحالي، كل جندي كانت لديه 4 صور، للقادة علي حسن سلامة و"أبو يوسف النجار" وكمال عدوان وكمال ناصر، كانت محادثات المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية قد انتهت لتوها، والساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل، أخذت الوحدة المكلفة بالاغتيال مواقعها، في شارع فردان، وهو الشارع الذي يسكن فيه الأعضاء المطلوبون من حركة "فتح" ومنظمة أيلول الأسود، كان المطلوبون هم علي حسن سلامة، وكمال عدوان وكمال ناصر و"أبو يوسف النجار".

دوى صوت الرصاص في شارع فردان، معلنا بدء عملية "ربيع فردان" كما أسماها الموساد، حارسان فلسطينيان، يحرسان مبنى قيادة الجبهة الشعبية، قتلا توا برصاص عنصرين من عناصر وحدة باراك، إلا أن القاتلين لم ينعما بلحظة الفرح على قتل الحارسين، هاجمهما عنصران من عناصر المقاومة مباشرة، كانا في سيارة قرب المبنى فأرداهما قتيلين.

سمع كمال ناصر دوي الرصاص، فهرع إلى سلاحه، حيث كان يكتب مقالا عن صديقه الشاعر المرحوم عيسى نخلة، لكن الموت كان أسرع إليه باغته أفراد من وحدة الاغتيال وأفرغوا في جسده ثلاثين رصاصة، قتلته على الفور.

على الجانب الآخر، كان "أبو يوسف النجار" يستعد للنوم بينما أولاده الخمسة يحضرون أغراضهم ليوم دراسي جديد، عندما انفجرت قنبلة دمرت باب شقته، دخلت مجموعة الاغتيال تغطي وجوهها بجوارب نسائية، أسرعت زوجته بالبحث عن مسدسه، لكنهم كانوا قد سبقوها لغرفة النوم، أطلقوا الرصاص فتصدت لهم بجسدها تحاول الدفاع عن زوجها، لكن الرصاصات اخترقت جسدها وجسد أبو يوسف ليرتقيا شهيدين.

عندما سمع كمال عدوان صوت الانفجار والرصاص في شقة "أبو يوسف النجار"؛ أدخل زوجته وأطفاله إلى غرفة داخلية، وحمل بندقيته "الكلاشينكوف" لمواجهة أي احتمال لاستهدافه، لكنه واجه ما واجهه أخواه وبنفس الطريقة، فُجر باب المنزل، ودخل ثمانية من وحدة الاغتيال أفرغوا رشاشاتهم في صدره، وسرقوا أوراقه ومستنداته، بينما زوجته وأولاده في ذعر شديد.

كتب هشام ساق الله:

وابويوسف النجار كان الهدف الاول لعملية الاغتيال

التي قامت بها وحدات الكيان الصهيوني بقيادة الارهابي الكبير ايهود براك والذي كان يقصد بيت ابويوسف شخصيا لمعرفته بانه بيت القياده الفلسطينيه لذلك تم استهدافه هو وزوجته وكمال عدوان وكمال ناصر في الفردان يوم العاشر من نيسان ابريل عام 1973

بتاريخ 10/4/1973نفذ جهاز المخابرات الاسرائيلى مجزرة فردان ببيروت بحق القادة الشهداء كمال عدوان وكمال ناصر وأبو يوسف النجار واشرف على هذه العملية أيهود بارك رئيس الوزراء الاسرائيلى السابق ومعه أمنون شاحاك وزير السياحة السابق وسميت بعملية ربيع فردان ويعتبرها الإسرائيليون أشهر عملية اغتيال نفذت في عهد غولدا مئير رئيسة مجلس الوزراء الاسرائيلى في ذلك الوقت .

و نشرت وكالة الصحافة الفرنسية تقريراً لها من بيروت ضمنته مقابلة مع المواطن اللبناني منعم عبد المنى و كان عمره وقت تحرير التقرير ستين عاماً ، و الذي كان يقيم في المبنى الذي حدث فيه الاغتيال في شارع فردان في بيروت .

تذكر عبد المنى ما حدث في ليلة التاسع من نيسان 1973، و في تلك الليلة كان منعم و زوجته و ولداه الصغيران نائمون في غرفة صغيرة في طابق أرضي في البناية التي استهدفها باراك و من معه ,و استيقظ منعم و ذهب إلى النافذة ليرى امرأة شقراء تضع رشاشاً على خاصرتها و تطلق النار على الغرفة .

عاد منعم إلى ابنه الصغير و خبأه تحت السرير و رمت زوجته نفسها على ابنهما الثاني ، و فيما بعد وجدا أكثر من 40من فوارغ الرصاص في الموقع .

بسبب الأزياء التي تنكّر فيها باراك و رفاقه أطلق على العملية اسم)عملية هيبي . (و أعطت العملية باراك سمعة كبيرة ، و أدّت إلى استقالة رئيس الوزراء اللبناني صائب سلام احتجاجاً على عجز الجيش اللبناني عن تحقيق الأمن و إيقاف فرقة الكوماندوز التي قادها باراك متنكراً بثياب امرأة شقراء ، التي نزل أفرادها على أحد شواطئ بيروت و استقلوا سيارات أعدها عملاء لـ)إسرائيل. (

و انطلقت الفرقة إلى أحد المباني في فردان و تم تصفية أبو يوسف النجار أحد قادة فتح البارزين وقتذاك و زوجته التي حاولت حمايته ، و كمال عدوان المسؤول العسكري لفتح في الأراضي المحتلة و كمال ناصر المتحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، و قتل في العملية شرطيان لبنانيان و حارس و عجوز إيطالية تبلغ من العمر (70)عاماً .

ترك الكوماندوز الإسرائيلي السيارات التي استخدموها في عدوانهم في أماكن متفرقة على الشاطئ اللبناني وغادروا بالطريقة التي دخلوها، وأكد الفلسطينيون أن حواجز لقوى الأمن الداخلي اللبناني منعت مجموعات فلسطينية مسلحة من الوصول إلى شارع فردان للتصدي للإسرائيليين

من ذاكرتهم

الأخ صلاح خلف بدايات حركة فتح :

... ثم أننا تبعثرنا خلال الأشهر الأولى من عام 1957, فياسر عرفات وأبو جهاد ذهبا للعمل في الكويت، ولن يلبث فاروق القدومي (أبو اللطف) الرئيس الحالي للدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية وعضو اللجنة المركزية في فتح، أن يلحق بهما بعد ذلك. وأما محمد يوسف النجار وكمال عدوان وأبو مازن، فقد أقاموا في قطر. وأما أنا فقد قررت من جهتي أن أناضل في غزة..

يذكر الأخ صلاح خلف:

... وثمة حدثان ساهما في توسيع صفوف الحركة. كان الأول هو نجاحنا في توحيد معظمة الخمس وثلاثين أو الأربعين منظمة فلسطينية من تلك التي كانت قد نشأت بصورة عفوية في الكويت. صحيح أنه لم يكن لكثير منها سوى وجود كسيح ولا تضم الواحدة سوى مجموعة أو مجموعتين من الشباب المتحمس. إلا أنه يظل صحيحاً كذلك إن دخولها إلى فتح وضع حدا لتبعثر الإرادات الطيبة، كما كان يحمل إلينا في بعض الحالات عناصر ديناميكية وكفؤة..

... أما ما كان أهم من ذلك فهو الاندماج الذي تفاوضنا عليه مع المنظمة التي كان يذكيها في قطر وفي العربية السعودية، ثلاثة رجال سيلعبون بعد ذلك أدوارا من المقام الأول: هم أبو يوسف النجار وكمال عدوان «اللذين استشهدا على يد مجموعة مغاوير إسرائيلية في بيروت في شهر نيسان . إبريل . 1973» وأبو مازن، وهو حاليا عضو اللجنة المركزية في فتح. كانت أفكارهم متقاربة جداً مع أفكارنا، فكان أن تم اتفاق الوحدة بيننا دون صعوبات. كما كان بينهم الشهيد الأول للجنة المركزية المهندس عبد الفتاح حمود (أبو صلاح)..

... والحقيقة هي أن انفراط الجمهورية العربية المتحدة في أيلول . سبتمبر 1961، سجل بداية استمالتنا إلى حركة جماهيرية. فالخيبة التي أثارها فشل الوحدة المصرية السورية، التي كانت بحجم الأمل الشاسع الذي ثار لدى إعلانها تحت كنف عبد الناصر قبل ذلك بثلاث سنوات، حثت العديد من الفلسطينيين على

الفرار من تنظيماتهم الخاصة والالتحاق بفتح، وسيسوء حكم القارئ على تعجل الفلسطينيين وبميلان صبرهم إزاء استعادة وطنهم، إذا لم يقدر مدى ضنكم. فالمنفى بحد ذاته، هو الم لا يستطيع فهمه سوى أولئك الذين عانوه. ثم إن الشقاء والتعاسة يكونان أعظم عندما يلي فقدان الدار، الانفصال عمن نحبهم. فقليلة هي العائلات الفلسطينية التي لم تذهب أشلاء بتبعثرها بسبب الحاجة في مختلف البلدان، العربية ويغر العربية، وفي أجزاء تبلغ في البعد مبلغ الولايات المتحدة أو أميركا الجنوبية..

يذكر الأخ صلاح خلف:

... وقد دعي أول مؤتمر وطني فلسطيني إلى الانعقاد في 28 أيار (مايو) 1964. فكانت المسألة المطروحة علينا حينذاك هي مسألة ما إذا كان ينبغي لنا أن نقاطعه أم لا. فطبيعة رعايته، وتركيبه والهدف الذي ينزع إليه وغير ذلك من العوامل، كانت تدفعنا إلى التغيب عنه9. غير أن أسبابا أخرى كانت على العكس من ذلك، تحث على اشتراكنا فيه: منها ضرورة عدم الانقطاع عن الحياة السياسية الفلسطينية، ومنها الضرورة الأخرى الأكثر إلحاحا، إلا وهي ضرورة التسرب إلى داخل منظمة غنية وقوية للإفادة من الوسائل التي تتمتع بها. فقد كان يسعها فعلاً أن تستخدم استخداما مفيداً كواجهة لنشاطاتنا السرية. وهكذا فإن عددا من رفاقنا (منهم أبو جهاد ومحمد النجار وكمال عدوان وخالد الحسن) شاركوا في المؤتمر واستغلوا مشاركتهم للدفاع عن أطروحات فتح الرئيسية، ولا سيما أطروحة الكفاح المسلح. كنا نحاول أن نفتح طريق حرب العصابات التي كنا نعد لها إعداداً محموما بحسب وسائلنا المتواضعة...

الأخ صلاح خلف تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية :

... وما أن سحب عبد الناصر استقالته حتى انعقد مؤتمر لفتح في دمشق في 12 حزايرن . يونيه، لمناقشة جدوى وملائمة استئناف الكفاح المسلح. وانقسم المجتمعون . شأنهم في خريف عام 1964 يوم كان علينا أن نقرر الشروع بحرب العصابات . إلى معسكرين بين أنصار ومناوئي العمل الفوري. وكنا نحاول يوما بعد يوم واجتماعاً بعد اجتماع، أن نجيب على المسائل الملحة المطروحة: فهل سنواجه المنتصرين بالسلاح. وهل لدينا أدنى حظ أو فرصة في إحباط قدرة إسرائيلي العسكرية. أو لا نخاطر باستثارة انتقامات رهيبة توقع على أهالي الضفة الغربية. وإذا كنا سنمتنع عن القيام بأي عمل، أفلا تلحقنا الجماهير الفلسطينية بالمهزومين وتحتقرنا احتقارها لهم. كان كلا التيارين الماثلين أمامنا، يشتملان على مخاطر جسيمة بالنسبة لمستقبلنا. وقد أفضت مناقشاتنا التي دارت في جو محمود شبيه بذلك الذي كان سائدا في خريف عام 1964، إلى سلسلة من الإجراءات الرئيسية:

1. جرى تعيين عدد من الأطر والكوادر العليا منهم محمد النجار وعبد الفتاح حمود وأنا، ليصبحوا «متفرغين» ويوقفوا أنفسهم على تنظيم الحركة في المرحلة الجديدة التي بدأت.
2. جرى توجيه نداء إلى كافة المناضلين لجمع السلاح الذي تركته الجيوش العربية في ساحات المعركة أو في مخازن السلاح. وبموازاة ذلكن فإنه سيباشر بشراء السلاح وبكافة الوسائل من الأسواق المحلية أو الدولية بواسطة المتاجرين به والمهربين الخ.
3. جرى شن حملة جمع تبرعات وخاصة بين الأثرياء من فلسطيني المنفى. وتلقى محمد النجار وكمال عدوان وأبو مازن وخالد الحسن الإشارة بدق النفير لأصدقائنا والمتعاطفين معنا. كما تم تكليف آخرين بالتماس المعونة من البلدان النفطية. فالواقع هو أننا لم نعد نخشى من توريط استقلاليتنا المالية الذاتية، التي دافعنا عنها حتى الآن دفاعاً حريصاً. فقد كان تقديرنا هو أن الوضع المأسوي الذي يجد عدد من الأنظمة العربية نفسه فيه، لا يسمح لهذه المنظمة بأن تضع شروطاً سياسية على المعونة التي تقدمها لنا.
4. أجيز لعدد من الأطر، على رأسهم ياسر عرفات، بأن يذهبوا إلى الأراضي المحتلة . في الضفة الغربية وغزة . خلسة لتدعيم وتوسيع جهاز فتح السري بهدف استئناف الأعمال الفدائية. على أن المناضلين الذين اختيروا لهذه المهمة التي تفوق كافة المهمات في دقتها، كانوا من أبناء الأراضي المحتلة بحيث يتمكنوا من التنقل هناك تنقل «السمك في الماء».
5. اتخذ عدد من التدابير لإقامة قواعد فدائية على طول خطوط وقف إطلاق النار وعلى طول نهر الأردن في جنوب لبنان خاصة.
6. أرسلت وفود إلى أربعة عربية هي مصر وسوريا والعراق والجزائر بهدف إجراء مشاورات معها حول ملائمة استئناف الأعمال الفدائية الفلسطينية.

وحدد المشتركون بمؤتمر 12 حزيران (يونيه) لأنفسهم مهلة شهرين لإنجاز هذه المهمات الست، ثم تتم الدعوة بعد ذلك لمؤتمر جديد بهدف اتخاذ قرار نهائي بصدد البدء في العمليات. وقد تم بلوغ الأهداف التي رسمناها لأنفسنا تماماً، كما أنها تجاوزت بعض الأحيان ما كنا نأمل به. فتراخي سلطة الدولة في «بلدان المواجهة» سهل علينا الاستيلاء على مخزونات هامة من السلاح راكمناها في ترساناتنا. والتبرعات النقدية التي جمعناها من الأثرياء الفلسطينيين كانت عديدة وسخية وإن ظلت غير كافية بالنظر إلى حاجاتنا التي ما كان إلا للدول أن تستطيع تلبيتها.

الأخ صلاح خلف ومنظمة أيلول الأسود:

... وفي هذه الاندفاعية، قتلت «أيلول الأسود» في أذار . مارس، 1973، عميلا إسرائيلياً آخر هو سمحا غير لتزر في نيقوسيا، وبعد ذلك بشهر تقريباً أي في 9 نيسان . أبريل –جرت محاولتان في

הפשיטה בלב ביירות

מכת מות ראשי המחבלים

יהושע מלמיש וגיל סדן

שלושת המנהיגים – כמאל נאסר, „אבו־יוסוף" וכמאל עדוואן – שנהרגו בפשיטת כוחות־צה"ל, נימנו על עוזריו הראשיים של יאסר ערפאת

ג'אבר (אבו־יוסוף) פעילות מדינית

„האנשים האלה ידעו בדיוק לאן הם הולכים", סיפר שכנם של מנהיגי־המחבלים שחוסלו

במשך שעתיים וחצי עשה כוח־הפשיטה של צה"ל בביירות כבתוך שלו □ הכתבים הזרים בבירת־לבנון התחרו בהברקת סיפורי־נפלאות, העולים על כל דימיון: „סוכנים מקומיים עזרו לישראלים" □ הרמטכ"ל דוד אלעזר, במסיבת עתונאים (בתמונה למעלה): „יתכן שנצטרך להמשיך בפעולות דומות"

— מאת איתן הבר —

שש מבניות „ברצים" — סיפור מקורות לבנונים — שנמצאו נטושות, אתמול בסוקר, על חוף־הים המפנטנג, היו קודות אילמת לדראמה, שהתרחשה בלילי־שלשום בחצות־ביירות: מי חבריא את המכוניות אל החוף לפני הפעולה ומי נשא אותן בסיוד מה? מי נשן בהן? האשכם ירחרו בהן — כפי שטענו בלבנון — הצנחנים ואנשי הקומאנדו הימי של ראשי־המחבלים בלב ביירות?

...אינני מתכוון לפרש את מהלכי הפעולה..." אמר אתמול הרמטכ"ל לי־ עתונאים הזרים והמקומיים, שקיוו לשמ־ מוע כפיר פרטים על הפעולה. רבי־ אלוף דוד אלעזר נצר את פיו. אבל, נחשול הסיפורים, שזרם מן השלפוחיו־ תרים של מכונויות־הדיבות בבירות אל אמצעי־התקשורת ברחבי־תבל, הקף חלק מסיפורם של כוחות־צה"ל, אשר עשו שעתיים וחצי בלתי־קצרי, מן הסיפורים, המתפרסמים בחוץ־לארץ, מתברר, מהמביאות עולה על כל הדמיון.

שלולית דם

אילו יכול היה אתמול לפעות את פיו, היה מן־הסתם כמאל עדוואן פא־ שר את הדברים הללו: יושב לו מנהיג מחבלים ליד שולחן־הכתיבה, בקומתו השנייה של בניין־דירות גדול, ברחוב

الأخطاء المرتكبة, وكم من مرة لعبنا دور الوسطاء أو دور الساعين بالمصالحة. وقبيل الغارة الإسرائيلية التي أودت بحياة كمال ناصر ويوسف النجار وكمال عدوان بنحو من عشرة أيام، كنا بضعة أشخاص ؟. بينهم هؤلاء الثلاثة وياسر عرفات . مجتمعين في شقة كمال. وكان الشهداء العتيدون الثالثة يقطنون نفس المبنى: كمال عدوان في الطابق الثاني وكمال ناصر في الثالث ويوسف النجار في السادس. فعل تراني توجست يوم ذاك غيابهم المأساوي. يبقى أني حين لاحظت لدى وصولي عدم وجود حرس أو أي تشكيل امني، ولن تلبث أن تحط طائرة عمودية (هيليوكوبتر) إسرائيلية في الأرض البور المواجهة لمبناكم ثم تختطفكم ثلاثتكم!» وانقلب قولي إلى ممازحة قبل أن يعود مع عرفات إلى الموضوع ليطلب إليهم أن يسهروا بصورة أكثر جدية على أمنهم. فأجابوا بأنهم لا يريدون إزعاج الجيران بإقامة حماية ملفتة للنظر كثيراً في المبنى.

<u>صلاح خلف يوم عملية فرادن:</u>

وتشاء الصدف أن يقرر مجلس منظمة التحرير المركزي، الذي كنا ننتمي إليه خمستنا، أن ينعقد بصورة استثنائية في بيروت . وليس في دمشق كالعادة . في يومي 9 و 10 نيسان . ابريل (تاريخ الغارة الإسرائيلية) وطال اجتماع يوم 9 إلى ساعة متأخرة من الليل نمت بعدها، كما كان يحدث لي كثيرا . لدى كما ناصر . وعلى أثر جلسة صباح اليوم التالي، عرض النجار وعدوان وناصر على أن آتي فأتغذى معهم في مطعن على شاطئ البحر اشتهر بطيب السمك فيه. والحال هو أنني كقاعدة عامة، أتلافي، لأسباب أمنية، ارتياد المحلات العامة. ولا أدري أية نزوة دفعتني ذلك اليوم إلى قبول الدعوة: وعلى كل، فقد أحسست بحاجة إلى أن لا أنفصل عن رفاقي الثلاثة ولو لساعتين. وبعد أن تناولنا وجبة كانت لذيذة

على نحو خاص، وسادها طيب المزاج، ذهبنا معاً إلى المجلس المركزي الذي تنتهي مداولاته في الساعة التاسعة مساء.

وعاد يوسف النجار وكمال عدوان إلى منزلهما. فعرضت على كمال ناصر أن ننهي السهرة في شقته. إلا أنه أجابني، أمام عظيم دهشتي، بلهجة مزاح: « أفضل أن أموت على أن استقبلك عندي!» ثم راح يوضح لي بعد ذلك بجدية أن عليه أن ينظم مرثاة في الشاعر عيسى نخلة الذي مات لتوه، وأنه متيقن من أن وجودي سيمنعه من أن وجودي سيمنعه من العمل. وإذا فقد تركته آسفا. ثم تذكرت أن على أن أزور الناخبين الثلاثة من عملية ميونيخ، فقررت أن أذهب لأسمع حكاية مغامرتهم. وحين وصلت إلى مقصدى ، لاحظت وجود هرج قتال في الشارع حول المبنى الذي تحتله الجبهة الشعبية الديمقراطية التي يرأسها نايف حواتمه، والذي يقع على مبعدة نحو عشرة أمتر من المبنى الذي ينزل فيه الفدائيون الثلاثة. وحين سألت بعض مناضلي الديمقراطية عن سر الهرج قالوا لي أن مغاويرهم مستنفرون بسبب الهجوم الوشيك الذي ستشنه الجبهة الشعبية التي يرأسها الدكتور جورج حبش على مكاتبهم. واستشطت غضباً، وعبرت لهم عن رأيي في هذا الحلاف الأخرق بين منظمتين من منظمات المقاومة، ممن تقضي طبيعة الأمور عليهما بأن يكرسا جهودهما لمحاربة العدو.

الشهيد القائد كمال ناصر

وبطبيعة الحال فإني لم أكن أعلم في تلك اللحظة كم أن الأحداث ستصوب قولي. فقد كانت الساعة التاسعة والنصف، ولم يكن في تخيل أحد، أن المغاوير الإسرائيليين وليس مغاوير الجبهة الشعبية، سيقومون بعد ثلاثة ساعات بمهاجمة مبنى الجبهة الديمقراطية. غير أن أنصار نايف حواتمه كانوا قد وضعوا في هذا المبنى المؤلف من تسعة طوابق، دوائرهم الإدارية والمالية والإعلامية وجزءاً هاماً من محفوظاتهم، منتهكين بذلك أدنى القواعد الأمنية الأولية.

ثم أن المحادثة التي أجريتها بعيد ذلك مع الناخبين الثلاثة من عملية ميونيخ، أبعدتني عن مشاغلي الآتية المباشرة. فالتفاصيل التي زودوني بها عن سير العملية شغفتي. كما أن السرد الذي سردوه لي عن التعذيب الذي لا قوه في السجون الألمانية بلبل خاطري. وذلك أن التنكيل الذي نزل بأحدهم، أورثه عاهة جنسية دائمة. ثم أن الثلاثة راحوا بدورهم يسائلونني عن الأوضاع السياسية. وفجأة سمعت صوت عيارات نارية. فنظرت إلى ساعتي فوجدتها تشير إلى الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل. ووجدتني غضب مرة ثانية وأنا أفسر لصحابتي أن المعركة الجارية هي على الأرجح معركة بين أنصار حبش وحواتمه.

وتكاتفت الطلقات، ثم جاءت أصوات انفجارات قوية لتزرع الريبة في رأسي. فقد كان ثمة مطر منهمر من القذائف التي تتساقط على مبنى الجبهة الديمقراطية. وقلت في نفسي أنه غير المحتمل بل من المستبعد أن يلجأ المهاجمون إلى مدافع الهاون، وبدأت أخمن الحقيقة عندما برز بواب المبنى الذي كنا فيه، فجأة من رأسه إلى أخمص قدميه بحيث أنه لم يستطيع أن يضيف على هذه الكلمات شيئاً.

وإذا، فإن التنبوء الذي تنبأت به لعشرة أيام خلت، بدون أن أكون كثير الإيمان به، قد تحقق. فالإسرائيليون قائمون على أبوابنا بالمعنى الحرفي للكلمة. وقلت في نفسي أنهم إذا كانوا عرفوا أن يحددوا مقر الجبهة الديمقراطية، أفلا يعرفون كذلك أن فدائيي ميونيخ الثلاثة يقطنون المبنى المجاور لمقر الديمقراطية؟ وأن ياسر عرفات يقطن هو الآخر في منزل يقع على بعد أمتار من مبنى الجبهة الديمقراطية. ولما، كنا مسلحين بمسدسات جيب بسيطة، فإنه لم يكن في وسعنا صحابتي الثلاثة وأنا . أن نفعل شيئاً يذكر، اللهم إلا أن نلجأ إلى قفص أو بئر سلم المبنى على موازاة الطابق الرابع. وأوصل أحدنا المصعد إلى الطابق الخامس ثم جمده هناك بأن فتح بابه.وهكذا يصبح المهاجمون مضطرين للصعود على أقدامهم والتعرض لنيراننا. فقد كنا عازمين المقاومة حتى آخر طلقة نملكها.

ثم أن حريقاً قوياً تبعته سلسلة من أصوات القصف والتحطم جعلتنا نفترض أن مبنى الجبهة الديمقراطية قد تعرض للنسف. ثم تباطأت أصوات تبادل العيارات النارية. ونزل صحابتي إلى الشارع يتجسسون على المغاوير الإسرائيليين بينما كانوا ينسحبون مغطين انسحابهم بإطلاق نار متقطع., كان أعداؤنا يرتدون لباس الفدائيين ولكنهم كانوا يتبادلون الكلام بالعبرية. ثم نزلت بدوري إلى الشارع فتعرفت على الجثث الممددة على أرض المبنى واليت تعود إلى المناضلين الثلاثة الذين ينتمون إلى الجبهة الديمقراطية والذين وبختهم قبل ذلك ساعات عندما علمت أنهم يتأهبون لقتال مغاويير الجبهة الشعبية. أما رفاقهم الذين كانوا في المبنى لحظة الهجوم فإنهم سلموا في غالبيتهم ذلك أنهم لحسن الحظ، غادروا المبنى قبل تدميره ليردوا على المهاجمين.

واجتزت الشارع وذهبت إلى منزل عرفات الذي كان سليما هو الآخر. وعلمت أن الإسرائيليين قصفوا المبنى الذي يقيم فيه، غير أنهم، بالنظر إلى عدم تيقنهم من وجوده به، فإنهم لم يلجوا في القصف خاصة وأن حرسه قاوموا مقاومة صريحة. وأفرج عن بعض الفدائيين الذين كانوا مسجونين في الطابق الذي يقع تحت أرض المبنى لارتكابهم بعض المخالفات، وسلحوا في بداية المعركة فأسهموا في رد الجنود الإسرائيليين. أما عرفات فتابع المعركة من سطح المبنى وهو يصدر تعليماته للمقاتلين.

ولما كان قد بلغ عرفات أني كنت إبان المعركة موجودا في مبنى مجاور، فإنه كان مقتنعاً بأني قتلت. ولهذا فإنه حين تلقاني احتضني طويلاً بين ذراعيه. كان بادئ الانفعال، وأطلعني على الأخبار التي وصلته: فالمغاوير الإسرائيليون الذين نزلوا في الجنوب قرب صيدا وفي بيروت شنوا هجماتهم على عدة أهداف فلسطينية في آن معاً. وأضاف عرفات: على أن أجسم ما في الأمر، هو أنهم دخلوا شقة يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر، ولكنه لا يدري ما إذا كان هؤلاء قد اختطفوا أم قتلوا وبعيد ذلك بدقائق بلغنا النبأ الصاعق: فرفاقنا الثلاثة قتلوا حقا وصدقا.

وقررت لفوري أن أذهب إلى شارع فردان حيث يقع مبنى الشهداء الثلاثة. وبالنظر إلى المخاطر التي كانت لا تزال قائمة بالنسبة للتنقل في المدينة فإن عرفات حاول أن يردعني عن ذلك ولكن دون جدوى. وكان أن أصابني المشهد الذي كان ينتظرني في مسكن كمال ناصر الهلع. فقد رأيت صديقي . عبر غيمة من الدخان المتولد عن صاروخ أطلقه الإسرائيليون قبل اقتحامهم المنزل بلحظات . ممددا في وضعية المصلوب. وكان وجهه يبدو وكأنه مخرم بخمس عشرة رصاصة على الأقل. فقاتلوه لم يهملوا الرموز، في عجالة مهمتهم المشؤومة. ولم ينسوا أن كمال مسيحي الطائفة وناطقا باسم منظمة التحرير الفلسطينية. وبخلاف ذلك فإن المهاجمين رشوا بالرصاص سريره والسرير الموضوع في غرفة الجلوس الذي كنت آوي إليه عادة، وذلك لاستخراج كل من يمكن أن يكون قد التجأ تحتهما.

كان كمال يلبس (بيجاما)، مما يشير في الظاهر إلى أن الهجوم فاجأه في نعاسه في اللحظة التي كان يهم فيها بالرقاد. وكان شباك نافذته مفتوحاً والستائر البندقية اللون منتزعة، كما لو أنه كان حاول الفرار في البداية. ثم أنه رد بعد ذلك بواسطة مسدس جيب وجدناه إلى جانبه. إلا أن مقاومته لم تطل لأن

المسدس كان ينقص رصاصتين فقط. وعندها تذكرت أني كنت كثيراً ما أنا كده وأقول له: «أن أنت إلا شاعر ولن تستخدم السلاح في حياتك مطلقاً!» ولعلي لم أخطئ كثيراً في ذلك.. أفلم يمت في اللحظة التي كان ينظم فيها مرثاة؟!

ونحن نعرف ظروف اغتيال رفيقينا الآخرين معرفة أوفى، بفضل شهادات أفراد أسرتهم. فقد قتل المغاوير الإسرائيليون الفدائي الوحيد الذي كان يحرس مدخل البناية بواسطة مسدس كاتم للصوت، قبل أن يصعدوا بالمصعد إلى الطابق السادس. ونسفوا بوابة مدخل بيت النجار بواسطة قنبلة بلاستيكية. وكان رفيقنا، وهو الذي يحب التبكير في الرقاد، قد نام، في حين أن أبناءه وهم صبي عمره ست عشرة سنة اسمه

يوسف، وأربع بنات، يذاكرون دروسهم في غرفهم. وركض يوسف إلى مدخل البيت وواجه المغاوير الإسرائيليين الذين صرخوا بالعربية: «قل لنا أين أبوك؟» فاستبد الرعب بالصبي وأسرع إلى غرفته ثم خرج من النافذة وهبط إلى الطابق الخامس متسلقاً على قسطل، والتجأ هناك. خلال ذلك استيقظ النجار على الهرج وأقفل على نفسه باب الصالون الذي يفصل غرفته عن المدخل. وبينما كان بعض المغاوير يحاولون اقتحام الباب طلب إلى زوجته أن تناوله مسدسه. ودوت بعض الطلقات خلف الباب فانتهى به الأمر إلى أن انفتح. وأصيب النجار إصابة خطرة فراح يترنح وهو يشتم المعتدين عليه صائحاً: «جبناء خونة» وحاولت امرأته أن تحميه بأن وضعت نفسها بين زوجها وبين الإسرائيليين. لكن هؤلاء واصلوا إطلاق النار ببرود وقتلوا الزوجين معاً.

خلال هذا الوقت، احتلت شقة كمال عدوان الواقعة في الطابق الثاني. وكان كمال عدوان لا يزال يعمل، فتنبه إلى وجود ضجيج مشبوه على السلم. ولم يكد يمسك ببندقيته الرشاشة حتى بدأ المهاجمون باقتحام باب الدخول. وحتى قبل أن يتمكن من الرد تلقى عدة رصاصات في رقبته، ذلك أن مجموعة ثانية من المغاوير الإسرائيليين تسللت إليه من نافذة المطبخ متسلقة على المجارير الخارجية، وأطلقت

النار في ظهره. أما زوجته وولده اللذان كانا يشاهدان المشهد البشع عاجزين عن اتيان أي أمر. فإن الإسرائيليين أبقيا عليهما، ثم توجهوا نحو الطابق الثالث ليقتلوا ضحيتهم الثالثة، كمال ناصر.

ومن البديهي أن مغاوير الجنرال دايان . الذي كان حينذاك وزيرا للدفاع . ما كانوا سيستطيعون القيام بعملية استغرقت قرابة ثلاث ساعات في قلب بيروت، بدون أن يعترضهم رقيب ولا حسيب، لولا تمتعهم بتواطؤ شركاء محليين هامين. فجيش الدولة اللبنانية ويدركها وأمنها العام لم يحاولوا التدخل مجرد محاولة. وقبيل الهجوم على مبنى فردان ببضع دقائق، حدث انقطاع غريب تماما في التيار الكهربائي، غمر الحي كله بالظلام. وكان المهاجمون يتنقلون، أن في بيروت أو في الجنوب، بسهولة لا يوازيها قدراً، إلا معرفتهم التفصيلية بالأمكنة. ولم نكن نملك في ذلك الحين أي برهان نؤيد به شكوكنا. إلا أن التعاون الوثيق بين الأحزاب اليمينية اللبنانية وبين إسرائيل كما ظهر، إبان الحرب الأهلية، بعد ذلك بسنتين، قد بدد آخر أوهامنا بصدد التواطؤ الذي سهل عملية 10 نيسان . إبريل 1973.
وعامة القول، هو أن إسرائيل تتمتع في صراعها ضد الشعب الفلسطيني، بوسائل هامة لا سبيل إلى مقارنة اتساعها بوسائلنا نحن.. فقد كان في وسعها أن تعتمد في «حرب الظلمات» على ملاكات هامة حسنة التنظيم، جيدة التجهيز، وعلى تكنولوجيا متقدمة، وعلى عدد من السفارات في الخارج تستخدمها كمحطات لوجستيكية، بدون أن ننسى المساعدات المطلقة التي يؤديها لها أفراد الطائفة اليهودية المنتشرة في العالم. غير أن الفلسطينيين المحرومين من أية دولة وحتى من ملاذ أمين، والذين يواجهون ليس عداوة إسرائيل وحسب، وإنما عداوة مختلف القوى الأجنبية بما في ذلك بعض البلدان العربية، تمكنوا بالرغم من هذا كله أن يسجلوا بعض الانتصارات الباهرة في هذه المعركة غير المتكافئة.

ولا ريب في أن الإسرائيليين لم يتراجعوا عن مشروعهم القاضي بتصفية قادة الفدائيين لاعتقادهم أنهم يستطيعون بذلك تدمير الحركة الوطنية الفلسطينية. ولا ريب في أنني أظل أحد أهدافهم الأولية. فطوال سنوات، غذت المخابرات الإسرائيلية . وشريكتاها الأردنية والأميركية . حملة صحفية تهدف إلى إظهار ليس كرئيس «أيلول الأسود» وحسب، وإنما كمدبر نعدد من العمليات الإرهابية، مع أن عدة منظمات أخرى قد أدعت القيام بها. وقد أحبطت عدة محاولات لاغتيالي في السنوات الأخيرة في بيروت ودمشق. غير أنني أعترف بأن محاولة أكثر أرابة وبالتالي جدية أوشكت أن تكلفني حياتي وحياة أفراد عائلتي في آب . أغسطس 1973.

يذكر الأخ صلاح خلف: كانت المرة الأولى التي سمعنا فيها كلاماً عن الحرب الوشيكة التي لم ينفك السادات يعلن عنها منذ شهور. ففي شهر آذار . مارس، أي قبل غارة المغاوير الإسرائيليين على بيروت

بحوالي شهر. كنا أربعة حين استقبلنا رئيس الدولة المصري: ياسر عرفات ويوسف النجار وأبو جهاد وأنا. وقبل المحادثة، أفضى لنا ضباط من كبار ضباط الجيش، أن موعد المعارك قد تحدد في شهر أيار . مايو. غير أن السادات تحدث إلينا بلغة أخرى تماما.

صلاح خلف ومتابعة ردود الفعل اللبنانية:

ولم نفهم لعبة شمعون إلا بالتدريج. والواقع هو أن إستراتيجيته كما تظهر بوضوح في سيرته الذاتية على ثلاثة أهداف متتالية. الهدف الأول (وهو الهدف الذي كان يصبو إليه حين التقيناه في حزيران . يونيه 1975) هو أن يؤمن القبول به كزعيم وطني متحسس لمطالب المسلمين اللبنانيين والفلسطينيين، والثاني أن يحتل مركزاً ممتازاً داخل الحكومة يتيح له المناورة من أجل بلوغ مطمحه الأقصى: الحلول محل سليمان فرنجية على رأس الدولة.

ولم أكن أعرف رئيس الجمهورية اللبنانية في ربيع عام 1975 إلا لما ما، ذلك أني قابلته عرضاً في القاهرة في شهر آب . أغسطس من عام 1970 بعيد انتخابه لرئاسة الدولة. وكنا في تلك الفترة في غمرة النزاع مع الملك حسين، فعرضت له مصاعبنا في الأردن فأصغى إلي ثم أعلن علي بأنه مقتنع بأن شيئاً من هذا لن يحدث في لبنان في عهده لأنه سيسمح للمقاومة الفلسطينية، كما قال، بأن، تواصل عملها في إطار اتفاقية القاهرة. وينبغي لي القول أنني كنت أعرف حسن استعداداته من رفيقنا يوسف النجار ومن الزعيم الاشتراكي كمال جنبلاط الذي التقاه قبل انتخابه. ذلك أن منافسة الياس سركيس بدا، حين سئل حول موضوعنا، أكثر تحفظاً بكثير. وعلى هذا فإن منظمة التحرير الفلسطينية دعمت معنوياً ترشيح سليمان فرنجية، ولعلها ساهمت في انتصاره ثم أن تأثير اللبنانيين الفلسطيني الأصل ليس بالتأثير الحاسم عموماً ولكنه أبعد من أن يكون كما مهملاً كذلك.

وفي 17 أيار . مايو استقبل فرنجية ياسر عرفات لوضع حد للمعارك العنيفة التي اجتاحت البلاد أثر مذبحة عين الرمانة، لكن المداولة لم تفض إلى أية نتيجة بالنظر إلى أزمة الثقة التي كانت تواجه ما بين الرجلين. ثم أن الوضع راح يزداد سوءاً، فكان أن استدعانا رئيس الجمهورية . عرفات وأنا . إلى القصر الرئاسي في 23 حزيران . يونيه. واعترتنا الدهشة على الفور حين وجدنا سفيري مصر والعربية والسعودية إلى جانب الرئيس فرنجية، إذا كانت تلك واقعة لا سابقة لها، ومخالفة لقواعد البروتوكول في مثل هذه اللقاءات.

آخر فنجان قهوة مع كمال عدوان
بقلم الأخ القائد نبيل شعث

زارني كمال عدوان كالعادة في صباح العاشر من نيسان (إبريل) للحديث عن جدول أعمالنا في ذلك أعمالنا في ذلك اليوم. نظر لي بعد وصوله واحتسائه فنجان القهوة وقال: ما رأيك في الخروج من هنا إلى الروشة على الساحل القريب من المكتب، نتحدث بحرية دون مقاطعة أو احتملات التنصت. نزلنا من المكتب وقضينا قرابة الساعة "نتمشى" ونتحدث. كان الجو بديعاً وصافياً بدون أتربة الخماسين المعتادة في نيسان. في طريق عودتنا التقينا بالدكتور حنا ميخائيل (أبو عمر) الذي نبهنا إلى أخطار المكان ونحن نتحرك دون حراسة، وبالأخص بعد صدور التقرير الأسبوعي وإنذاره الواضح للقيادة. ضحكنا معترفين بالخطأ وعدنا سوياً للمركز.

تركنا كمال وعاد في المساء مع الأخ يوسف النجار وكمال ناصر لحضور اجتماع الجبهة العربية المشاركة. كان اللقاء طويلاً بعد يوم طويل ومتعب، توجهنا للعودة لمنازلنا بعد منتصف الليل فاعتذر كمال عن اتصالنا "الهاتفي الليلي" المعتاد وأجله لصباح الغد. اتجه القادة الثلاثة إلى بنايتهم المشتركة في "ساقية الجنزير"، بالقرب من الفردان بغرب بيروت، وعدت لبيتي في محلة المزرعة، وتوجهت للنوم. ما أن غفوت حتى انطلق رنين الهاتف دون انقطاع، كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل. قفزت من سريري لأسمع الحاج طلال "سمير أبو غزالة" يقول: "البقية في حياتك أخوتك كمال عدوان وأبو يوسف النجار وكمال ناصر، وأعتقد أن الأخت أم يوسف قد استشهدت أيضاً. هناك هجمات في منطقة الفاكهاني. أترك بيتك يا دكتور نبيل فوراً فقد يكونون في طريقهم إليك".

قامت صفاء مذعورة تتساءل عما حدث. قالت لي: "ارتد ملابسك وغادر البيت فوراً يا نبيل". قلت لها: وكيف أتركك والأولاد وحدكم؟ قالت: هم لا يريدوننا بل يريدونك أنت.. أرجوك غادر فوراً. أنا والأولاد باقون هنا. اتصل في تلك اللحظة أخي طلال مراد وقال: "عندنا بيت مواجه لبيتك تقريباً لصديق عزيز وأنا قادم لاصطحابك إليه". بعد مناقشة طويلة انتقلت إلى بيت الجار حيث قضيت أصعب ليلة في حياتي أراقب بيتنا والشارع عن كثب، والمتطوعون من جيراننا من أبناء فتح ينزلون تدريجياً إليه. نزلنا إلى الشارع وبقينا إلى أن أشرقت الشمس، فعدت إلى المنزل. حضر خالي محمود وخالي المختار أبو رفيق، وبيوتهم ليست بعيدة عن بيتنا، بعد أن عرفوا بما جرى وأصروا على انتقالنا إلى بيوتهم.

تحركنا إلى موقع المذبحة في الصباح. لم أستطع رؤية الشهداء ولم أستطع البكاء إلا في جنازتهم. حضرت اجتماعات في مكتب الأخ أبو عمار مع أعضاء القيادة الفلسطينية، توجهت بعدها إلى قيادة الإقليم والميليشيا للإعداد الجنازة-التظاهرة. كنّا ندرك أن الجيش اللبناني والحكومة اللبنانية يعدان لهجوم على المخيمات الفلسطينية لا ستعادة سيطرة الجيش اللبناني ومنع وجود المسلحين الفلسطينيين والقواعد العسكرية في مخيمات بيروت والشمال. كان تقديرنا هو أن حماية الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان لن توفره إلا حشود الشعب اللبناني التي يمكن أن تعبر عن دعمها وتضامنها معنا من خلال جنازة حاشدة للشهداء. عملنا ليل نهار لتحقيق ذلك، ونجحنا بفضل الشعب اللبناني ووقوفه إلى جانبنا، وإدانته للعملية الإرهابية الإسرائيلية وللتقصير الحكومي اللبناني، في التصدي لها، بالرغم من استقالة صائب سلام رئيس الوزراء.

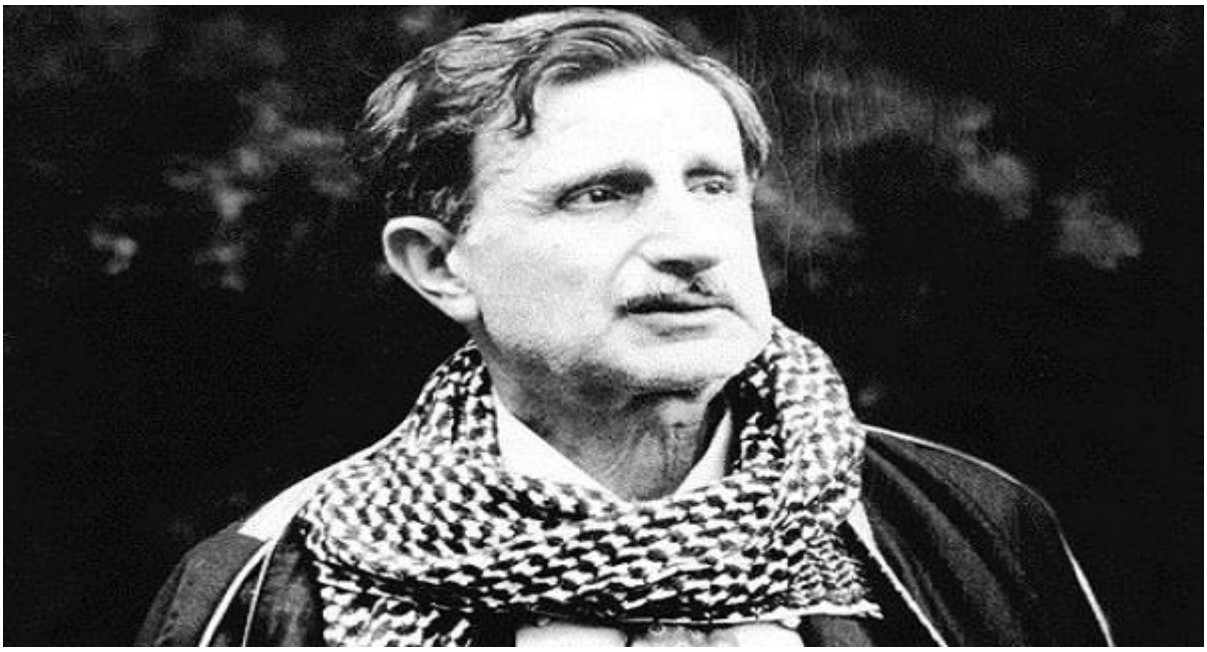

في ربيع 1973 شهد لبنان أحداثاً غدت تحذيراً رهيباً من الحرب الأهلية الآتية. ففي فجر العاشر من نيسان قام فريق من كوماندوس إسرائيلي من 30 شخصاً بإنزال من جهة البحر في أحد البلاجات الخالية في منطقة الرملة البيضاء ببيروت. وكان ينتظرهم مخبرون محليون في ست سيارات أستؤجرت مسبقاً من وكالة "لينا كار". توجه عدد من النسافين إلى محلة الفاكهاني وفجروا هناك مقر الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين. ومضت جماعة أخرى في اتجاه شارع فردان حيث تقع قبالة ثكنة لقوات الأمن الأمن الداخلي بناية تستأجرها منظمة التحرير الفلسطينية لمسؤوليها القياديين. فأطلق القتلة النار على الحراس واقتحموا البناية صاعدين السلم. وفي ذلك الصباح استشهدوا في شققهم محمد يوسف النجار رئيس الجنة السياسية العليا لشؤون اللاجئين في لبنان، وكمال ناصر الممثل الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكمال عدوان عضو اللجنة المركزية لفتح. ووقع ضحية هذه الجريمة أيضاً زوجة النجار وضابطان من قوى الأمن اللبنانية سارعا إلى مكان الحادث فور سماعهما إطلاق النار. (اتضح في ما بعد أن الكوماندوس الإسرائيلي لم ينجحوا في تنفيذ مخطط "الموساد" بالكامل، فأبو أياد نجا بأعجوبة حيث كان استدعي إلى مقر منظمة التحرير الفلسطينية قبل ساعة من الغارة). وبعدما نفّذ رجال الكوماندوس عمليتهم الخاطفة ببرود أعصاب، استقلوا سياراتهم من جديد. ثم غادروا لبنان بحراً دون عائق.

وكان اللبنانيون تعرضوا خلال السنوات الأخيرة لهزات موجعة كثيرة، إلا أنهم اعتبروا ما حدث في 10 نيسان إهانة للكرامة الوطنية. وهذا الشعور الطاغي حتى عند الفئات المعارضة للوجود الفلسطيني في لبنان. فقد اتصل رئيس الوزراء صائب سلام حالاً بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وحمّل قائد الجيش اللبناني مسؤولية الحادث، لأنه لم ينفذ أمر الحكومة بإبادة فريق الكوماندوس، ووعد بعزله. بلغ نبأ المكالمة مسامع رئيس الجمهورية، فاعتبر وعد رئيس الوزراء تطاولاً على صلاحياته السلطوية. وتقول إحدى الروايات أن الرئيس فرنجية بادر صائب سلام بسؤال مفاجئ ما إن اجتاز عتبة مكتبه: إمتى راح تصدر أوامرك بعزل قائد الجيش؟ – استغفر الله يا سليمان بك، أنت صاحب الأمر – أجابه رئيس الوزراء مرتبكاً. فهو لا يتمتع بمثل هذه الصلاحيات.

وقال صائب بك في ما بعد إنه حاول في ذلك اليوم إقناع الرئيس فرنجية بضرورة تنحية العماد اسكندر غانم معللاً رأيه بتعذر تفادي الاشتباكات بين الفلسطينيين والجيش اللبناني إن لم يتم عزل قائده. ورداً على رفض رئيس الجمهورية القاطع سلمه كتاب استقالته.

لم يبدر من كمال جنبلاط رد فعل سلبي على إستقالة وزارة صائب سلام التي قبلها رئيس الجمهورية في 13 نيسان 1973. ففي التصريحات التي أدلى بها إلى الصحف آنذاك انتقد بشدة شكاوى

رئيس الحكومة من سكوت الجيش وقال إن رئيس الوزراء، وهو وزير الداخلية في الوقت عينه، مبزم قبل كل شيء باستخدام قوى الأمن التي في عهدته، وإن اتهاماته لقائد الجيش ما هي إلا محاولة لإلقاء تبعة أخطائه الشخصية على كاهل الغير. وإلى ذلك، استنكر جنبلاط موقف العماد اسكندر غانم الذي صرّح أن الدستور لا يجيز لرئيس الوزراء أن يصدر أوامر إلى الجيش، فهو خاضع لرئيس الجمهورية مباشرة. وألقى جنبلاط المسؤولية الكاملة على العهد متهماً إياه بالعجز عن حماية لبنان من التطاولات الخارجية، وعن ضمان أمن فصائل المقاومة الفلسطينية الموجودة في أراضيه. وفي إطار الهجمة الواسعة التي أعلنها الحزب التقدمي الاشتراكي وحلفاؤه على السلطات، اعتبر زاهر الخطيب النائب عن الحزب، ما حدث آنذاك محاولة ل "ضرب الثورة العربية". وافترض أنور الفطايري أن ثمة تواطؤاً بين السلطات اللبنانية وإسرائيل. وأعلن كمال جنبلاط وزعماء الأحزاب والمنظمات الوطنية والتقدمية أن المخرج الوحيد، في ظل عجز السلطات المطبق، هو إطلاق حرية الكفاح المسلح لحركة المقاومة الفلسطينية ومنحها حق الدفاع عن النفس. ودعوا اللبنانيين إلى التأهب لحماية الوطن والمقاومة الفلسطينية.

وفي 12 نيسان احتشد في ساحة النجمة أكثر من 250 ألف شخث لتشييع الزعماء الفلسطينيين الشهداء. وبمحض المصادفة وصل كمال جنبلاط إلى الساحة في الوقت الذي وصل فيه الشيخ بيار الجميل الذي كان يتصور أن حضوره مراسم التشييع يخفف من توتر الموقف نوعاً ما. تصافح الرجلان ومضيا معاً إلى المسجد وسط عاصفة من تصفيق الجماهير. آنذاك كان جنبلاط ينوي إلقاء كبمة في الجموع أعد لها مسبقاً، لكنه لم يفعل لشدّة الزحام.

عجلت أحداث 10 نيسان المأسوية عملية الاستقطاب في البلاد. ففي المعسكر المسيحي تعالت أصوات تطالب بوضع حد للوجود الفلسطيني المسلح. وكانت اتجاهات مماثلة تستولي على كبار ضباط الجيش الساعين إلى الثأر مما تعرضت له القوات المسلحة. وشعرت قيادة منظمة التحرير بالقلق الشديد من احتمال تطور الأحداث بحسب السيناريو الأردني. إلا أن الفلسطينيين في لبنان، خلافاً للأردن، يتمتعون بتأييد الكثير من السكان ولديهم قدرة عسكرية كبيرة، فما كانوا ينوون الرضوخ للتهديد والوعيد. وفي 14 نيسان دمرت انفجارات قوية مستودعات مصفاة الزهراني التابعة لشركة التابلاين قرب صيدا، والحقت الضرر بقسم من أنبوب النفط في منطقة النبطية. ومع أن منظمة التحرير الفلسطينية نفت قطعاً مسؤوليتها عن العمل الإرهابي وأكدت أنه من فعل الإسرائيليين، فإن مخابرات الجبش اللبناني شككت في هذه الرواية ولمحت إلى أصابع فلسطينية مدّعية أنها عثرت على آثارها في الحادث. وفي 30 نيسان قبض في مطار بيروت على فلسطينيين حاولوا تهريب متفجرات في حقائب بطائرة تتأهب للإقلاع إلى إحدى الدول الأوروبية. وفي 1 أيار اعتقلت دوائر الأمن خمسة فلسطينيين مسلحين بتهمة محاولة شن

هجوم على السفارة الأميريكية. ورداً على ذلك خطف مقاتلو الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين ثلاثة من أفراد الجيش في منطقة الحرج وأعلنوا أنهم لن بفرجوا عن الرهائن إلا بعد أن تطلق السلطات المعتقلين الفلسطينيين لديها.

تأزم الموقف إلى أقصى حد. فوجّهت السلطات إنذاراً إلى الفلسطينيين تنتهي مدته ظهر الثاني من أيار، وبذلك أكدت استعدادها لاستخدام القوة في حل الخلاف معهم. وفرض الجيش حصاراً على منطقة الطريق الجديدة ومخيمي صبرا وشاتيلا. وصباح 2 أيار التقى كمال جنبلاط رئيس الجمهورية وناشده التحلي بالصبر والتروي، ووعد بإلقاء ثقله للإفراج عن الرهائن. ووفى جنبلاط بوعده، إلا أن ذلك لم يخفف من حدة الموقف. ففي الوقت الذي أفرج فيه الفلسطينيون عن الجنود اللبنانيين المخطوفين ونقلوهم إلى منزل كمال جنبلاط اندلعت معارك ضارية في منطقة المخيمين التي يطوقها الجيش.

كانت تلك أول اشتباكات طاحنة على هذا المقدار من الاتساع. وفي 3 أيار 1973 قصف الفلسطينيون المطار الدولي بالصواريخ من معسكر برج البراجنة. فردّ الجيش بقصف المعسكر من الجو. وكالنار في الهشيم اجتاحت البلاد كلها العمليات الحربية التي استخدمت فيها الأسلحة الثقيلة. وشرعت قوات الأمن الداخلي في حملة اعتقالات واسعة للفلسطينيين من خارج المخيمات. وكانت مخاوف زعماء منظمة التحرير الفلسطينية من نية النظام الحاكم تكرار " أيلول الأسود" الأردني، قد تأكدت فجأة لسان الرئيس سليمان فرنجية. فقد أعلن في جلسة لحكومة أمين الحافظ الجديدة أنه مستعد للتفاوض مع الفلسطينيين لكنه أضاف:"لكننا لن نرضى أن يكون في لبنان جيش احتلال".

في بداية أيار وصل لبنان وسطاء عرب هم محمود رياض الأمين العام لجامعة الدول العربية، عبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري، عبد الخالق السامرائي المبعوث الشخصي للرئيس العراقي. إلا أن المعارك في بيروت اندلعت من جديد مساء السابع من أيار عندما أحيل اتفاق وقف إطلاق النار على مجلس الوزراء لاقراره، فقررت الحكومة اللبنانية إعلان حالة الطوارئ في البلاد.

طالب كمال جنبلاط فوراً برفع حال الطوارئ التي تخول الجيش اللبناني الإمعان في التضييق على الفلسطينيين. كما طالب باستقالة وزارة أمين الحافظ وتأليف حكومة وطنية قوية تضع حداً لإراقة الدماء، كما دعا إلى عقد قمة عربية عاجلة لبحث الموقف بلبنان. في تلك الأيام كان كمال جنبلاط على اتصال دائم بزعماء المقاومة الفلسطينية والوسطاء العرب. وقابل المفتي والبطريرك الماروني وشيخ عقل الدروز. كما بذل، من جهة أخرى، قصارى جهده لمساعدة الفلسطينيين المحاصرين في المخيمات. وتلبية لطلب عرفات كلف جنبلاط زاهر الخطيب وداود حامد إيصال السلاح والذخيرة إليهم.

في صبيحة الثامن عشر من أيار نزل الرئيس سليمان فرنجية عند الضغوط العربية المكثفة وأمر الجيش بوقف القتال. وفي اليوم عينه وقع في فندق ملكارت ببيروت برتوكول لتسوية العلاقات بين السلطات اللبنانية والفلسطينيين على أساس اتفاق القاهرة. وبموجب هذا البرتوكول تعهدت منظمة التحرير الفلسطينية تجميد العمليات الفدائية على الحدود وعدم استخدام لبنان قاعدة لتنفيذ أعمال إرهابية في الخارج. وتألفت لجنة من ممثلي الجيش والقيادة الموحدة للتشكيلات الفلسطينية المسلحة من أجل تنفيذ الاتفاقات والحل العاجل للمشاكل الطارئة.

وبنتيجة أزمة أيار 1973 طرأ على الوضع في لبنان تبدلات قادا البلاد تدريجياً إلى مزالق الحرب الأهلية. فمن جهة نشأ لدى المسيحيين الذين تأكدوا من عجز العهد عن إرغام الفلسطينيين بالقوة على احترام السيادة اللبنانية، "مركب الخوف" من تصاعد قدرات التحالف بين المسلمين والفلسطينيين. ودفعهم مركب الخوف هذا إلى الالتفاف حول السياسيين اليمينيين الأكثر تشدداً، والذين دعوهم إلى حمل السلاح لحماية لبنان المسيحي دون الاعتماد على الحكومة. ومن جهة أخرى أقنعت أحداث أيار الفلسطينيين الذين لا يمكن أن ينسوا المأساة الأردنية، بأن الضمان الكفيل باستمرارهم في لبنان هي تقوية العلاقات مع حلفائهم السياسيين المحليين ومواصلة تعزيز قدراتهم العسكرية.

ومع أن اتفاقات ملكارت خففت من حدة التوترة الداخلي، إلا أن أحداً لك يكن يصدق أنها وفرت مستلزمات السلام والاستقرار في البلاد لأمد طويل. واعتباراً من صيف 1973 أخذ المسيحيون يتسلحون بكل السبل. فأعلنت في المناطق المارونية جملات التبرعات لاقتناء السلاح. وفي الجبال بوشرت اقامة معسكرات التدريب والرماية. وراح شبان في بزات عسكرية يتدربون على القتال في إشراف ضباط الجيش. ومن خلال مرفأ بيروت ونادي جونيه لليخوت وصلت إلى الميلشيات المسيحية علناً أسلحة وذخيرة من الأردن والسعودية وبلجيكا وعدد من أقطار أوروبا الشرقية. ومن طريق قنوات الجيش اللبناني تسلمت التشكيلات المسيحية اليمينية عام 1974 أول دفعة كبيرة من بنادق كلاشنيكوف الرشاشة ومدافع الهاون عيار 60 ملم من تشيكوسلوفاكيا. وعندما بدأت العمليات الحربية ربيع 1975 تسلمت مدافع من عيار 120 ملم.

وفي أواخر 1973 باشر الفلسطينيون هم أيضاً تسليح حلفائهم المسلمين واليساريين وتدريبهم. تجنب هؤلاء، خلافاً للمسيحيين، الإعلان عن استعدادانهم الحربية، إلا أنهم تمكنوا في أشهر معدودة من تشكيل ميلشيات عدة غير كبيرة، لكنها مؤهلة تماماً للقتال.

ذكرت ياسمين قعيق:

الاستخبارات الإسرائيلية في لبنان خلال سبعينيات القرن العشرين:

فيما كانت وتيرة عمليات المقاومة الفلسطينية ترتفع ضد مراكز الجيش الإسرائيلي ومواقعه، كثفت المخابرات الإسرائيلية بدورها نشاطها في ملاحقة كوادر المقاومة، وذلك بالتعاون مع المخابرات المركزية الأميريكية بهدف تصفية هذه المقاومة عسكرياً، الأمر الذي اضطر قيادة المقاومة التي كانت تأخذ من الأردن مركزاً أساسياً لتواجدها إلى نقل مراكزها وكل ما يتعلق بوضعها إلى لبنان. كان ذلك في بداية السبعينيات من القرن العشرين.

بعد انتقالها إلى سوريا ولبنان، نجحت المقاومة في توجيه ضربات مؤثرة للعدو الإسرائيلي في الداخل والخارج على السواء. إزاء هذا الواقع، قررت المخابرات الإسرلئيلية الرد على عمليات المقاومة ضد كبار المسؤولين في استخبارات العدو، بهدف إعادة الثقة إلى عملائها الذين غرقوا في الخوف والقلق على مصيرهم بعد ان قضت عمليات المقاومة على الكثير من رفاقهم.

الرد الإسرائيلي – وقتها– تمثل في عملية أطلق عليها الجنرال "موشي دايان" اسم "لؤلؤة ديش الدفاع الإسرائيلي". شنّت قوّات إسرائيلية خاصة بقيادة "إيهود باراك" عملية واسعة في بيروت، استهدفت ثلاثة من كبار قادة المقاومة الفلسطينية في "فردان" في قلب مدينة "بيروت" في شهر نيسان 1973. أما هؤلاء القادة فهم: كمال ناصر، كمال عدوان، أبو يوسف محمد النجار.

في العام 1973، تمّ تعيين "ديفيد كميحي" في منصب نائب المدير العام "للموساد" وعندما اندلعت الحرب الأهلية في لبنان عام 1975، كُلّف "كميحي" بإدارة الملف اللبناني في جهاز الموساد، والذي استطاع، بفضل نشاطات الاستخبارات الإسرائيلية في لبنان، تزويد الموساد بالمعلومات السرية عن معاقل منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان. وذلك بالإضافة إلى أن "كميحي"، وتحت غطاء الحرب اللبنانية، قد شنّ حرب عصابات ضدّ المنظمة والمقاومة.

ومما لا شكّ فيه أن المخابرات الإسرائيلية لم توفرّ جواسيسها وعملاءها الذين أسهموا في عملية تفجير الوضع الأمني في لبنان.

ففي معرض تحليله للحرب اللبنانية لفت "كمال جنبلاط" – أحد كبار السياسيين في لبنان في ذلك الوقت – إلى أن " ... الإسرائيليون كانوا مهتمين أقصى الاهتمام بتدمير لبنان وبتشويه صورته. ذلك أن بلادنا كانت تمثل في عيون العالم ضرباً من المرآة المضادة للنموذج الصهيوني. فالدولة اللبنانية هي البرهان الذي يثبت أن في وسع عدة طوائف أن تحيا وتعمل معاً بسلام. ولهذا، فإن الإسرائيليين يجدون

في تدمير لبنان تبريراً لتعصبهم الطائفي وللعوائق التي يقيمونها في وجه عودة الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين إلى بلادهم التي طردوهم منها. وأطروحة الدولة المتجانسة عرقياً وعنصرياً، والقائمة على انعزالية الطائفة اليهودية. هي الأطروحة التي يجب أن تظهر على ما سواها بالنسبة لإسرائيل.

أما شرارة الحرب الأهلية اللبنانية، فقد تمثلت بقيام مجهول بإطلاق الرصاص على سيارة "باص" كانت تمر بمنطقة "عين الرمانة" ناقلة بعض الفدائيين الفلسطينيين. على أثرها، توالت الاتهامات بين القوى الفلسطينية وحزب الكتائب التابع ل " بيار الجميل" حول المحزرة.

والملفت أنه وبعد مرور 12 يوماً على حادثة "عين الرمانة" أصدر المحقق العسكري فجر يوم 25 نيسان، مذكرات تقضي باعتقال سبعة أشخاص، بينهم فرنسي يدعى "هنري جان بير دي غول" وعمره 25 سنة، بتهمة التخطيط لأعمال تخريبية في لبنان.

وقد قرأ "كمال جنبلاط" أبعاد هذه الحرب والدور الإسرائيلي فيها، كما يلي:" ... الإسرائيليون لم يكونوا بريئين من كل علاقة بهذا القضية، إذ يقوم مخططهم على تشجيع قيام دويلات طائفية وطنية متناقضة الاستقلال، حول دولتهم اليهودية في إسرائيل، دولة درزية وأخرى علوية وثالثة مارونية، وكردية ... وقد وُضع المخطط قبل قيام إسرائيل، ولكنه لم يعلن إلا بعد ذلك .. إن المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية أكد مؤخراً بمناسبة الأزمة اللبنانية هذه الرغبة في قيام كيان ماروني. وهكذا لا تعود إسرائيل محاطة بدول عربية وبها وحدها .. فإن الإسرايليين كانوا جزء لا يتجزأ من الحرب اللبنانية.

ومع اندلاع الحرب اللبنانية في العام 1975 وانحسار سلطة الدولة اللبنانية، عمدت "إسرائيل" إلى التدخل المباشر في الشؤون اللبنانية. وفي هذا السياق أتى (بعد أشهر) تشكيلها ميليشيا محلية سيطرت في ما بعد على المنطقة التي عرفت ب " المنطقة الحدودية". كما عززت في العام 1977 علاقتها بميليشيا تشكلت في الجنوب، فتم تأليف لجنة فرعية لقضايا لبنان الجنوبي من قبل لجنة الشؤون الخارجية والأمن في "الكنيست"، وذلك بعد أن كانت "إسرائيل" قد باشرت تطبيق سياسة "الجدار العازل".

تجدر الإشارة إلى أنه، وبعد حرب تشرين الأول 1973، فإن المخابرات الإسرائيلية تفرّغت، بمساعدة المخابرات الأميريكية المركزية وجلفائها، لملاحقة المقاومة الفلسطينية، وخصوصاً بعد انتقالها إلى الساحة اللبنانية التي شكّلت الثقل الأساسي لعملياتها.

وقد بلغ التنسيق الاستخباراتي بين "الموساد" CIA"" مرحلة مهمة ظهرت في الدور الأساسي الذي لعبه "ستانزفيلد تيريز" – مدير "CIA" آنذاك– إلى جانب الموساد في عملية اجتياح لبنان في 15 آذار 1978.

عملية الموساد "فردان" ... ربيع الشباب

حملت عملية "فردان" اسم "أفيف نعوريم" –أي ربيع الشباب– في الموساد. وقد خطّط للعملية رئيس جهاز الموساد آنذاك "مايك هاراري"، وقادها "إيهود باراك"، رئيس الوزراء السابق، والذي تنكر أثناء تنفيذه العملية بزي امرأة.

في أيلول عام 1970، انتقلت المقاومة الفلسطينية إلى لبنان، بعد أن قامت القوات الأردنية بتصفيتها عبر مذابح دموية بأمر من الملك الأردني حسين، آنذاك. بعدها – انتقلت المقاومة الفلسطينية إلى لبنان وتمركزت في منطقة العرقوب على الحدود اللبنانية – السورية والأراضي المحتلة. وقد كثّفت المخابرات الإسرائيلية نشاطها في ملاحقة كوادر المقاومة الفلسطينية، إلى الحدّ الذي برز دورها واضحاً بالتعاون مع المخابرات المركزية الأميركية.

في "حي الفاكهاني" في بيروت، تمركزت القيادة الفلسطينية، وتأسست جبهة "أيلول الأسود" التي انبثقت عنها حركة فتح عام 1971. وأعلن "صلاح خلف"، أبو أياد، عن تأسيس الجبهة كردّ فعل على وحشية القوات الأردنية. وضمّت الجبهو الفدائي "علي سلامة"، رئيس عمليات أيلول الأسود وقائد القوة المسلحة المكلفة بحراسة ياسر عرفات، و"محمد داوود عودة"، و "فخري العمري"، و "يوسف النجار" (أبو يوسف)، "فؤاد الشمالي"، و" غازي الحسيني"، و "كمال عدوان".

وبعدما استطاعت جبهة " أيلول الأسود"، بفعل عملياتها، أن تقض مضاجع العدو أينما وجد، وبعدما شكلت الجبهة كابوساً محيفاً للقادة الصهاينة بفعل ضرباتها النوعية، قررت المخابرات الإسرائيلية بالتنسيق مع نظيرتها الأميركية، توجيه ضربة لقادة المقاومة الفلسطينية في محاولة لإعادة الثقة إلى عملائها الذين أصبحوا يعيشون هاجس الخوف والقلق على مصيرهم. وتولت المخابرات الإسرائيلية بالتنسيق مع المخابرات الأميركية في بيروت، عملية التحري والاستقصاء عن قادة المقاومة هناك. ولقد كان أحد عملاء المخابرات المركزية الأميركية في بيروت الدور الأساسي في إمداد الاستخبارات الإسرائيلية بالمعلومات الهامة وغمليات الاستطلاع، وإشراك شبكة العملاء الداخلية ونقل معدات وأسلحة تنفيذ العملية التي قام بها الكوماندوس الإسرائيلي في "فردان". وهذا المسؤول الأميركي هو "جون سيدال" الذي كان يشغل منصب رئيس جهاز الاستخبارات المركزية الأميركية في بيروت عام 1973، وقد قام عملاؤه، وبتوجيه منه، تغطية انسحاب القوة البحرية الإسرائيلية بعد مشاركتهم الشخصية في العملية أيضاً. وارتبط "جون سيدال" مباشرة بأحد كبار المخططين في جهاز الاستخبارات الأميركية ، "أرمان ماير"، الذي كان سفيراً للولايات المتحدة الأميركية في بيروت.

وقد أصدر "زئيفي زامير"، رئيس الموساد (1968–1973)، قراراً يقضي بتعيين "مايك هاراري" مسؤولاً عن فرق القتل في الجهاز، وهو الذي قتل عن طريق الخطأ "الغرسون" المغربي "أحمد بوشيقي" عام 1973، ظناً منه أنه الفدائي "على حسن سلامة". واستهل "مايك هاراري" عمله بجمع قائمة تضم زعماء منظمة "أيلول الأسود" الذين كانوا وراء عملية "ميونخ" .. ومل يهمنا هنا تسليط الضوء على عملية فردان في بيروت التي أدت إلى استشهاد ثلاثة من قادة المنظمة. والقادة هم:

- كمال عدوان (1935–1973)، عضو هيئة الأركان، ومسؤول العمليات داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.
- محمد يوسف النجار (أبو يوسف 1924–1973)، رئيس جهاز المخابرات الفلسطينية (رصد)، والمسؤول العسكري عن الأنشطة السرية، ورئيس اللجنة العليا لشؤون الفلسطينية في لبنان.
- كمال ناصر (1930–1973)، المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية، ورئيس الإعلام الفلسطني الموحد.

وضع هاراري الخطوط الرئيسية للعملية التي ما كان ليكتب لها النجاح لولا استعانة الموساد بعملاء ميدانيين له في بيروت آنذاك، الذين تمثلت مهمتهم بالتأكد من عناوين قادة أيلول الأسود الأربعة (كمال عدوان، محمد يوسف النجار، كمال ناصر، وعلي حسن سلامة). ولما كان من المستحيل التوصل ل سلامة، فقد استبعد عن العملية. وبعدما تأكد هاراري من إقامة القادة الثلاثة بمبنى واحد، أرسل ستة جواسيس من الموساد للتعرف على شوارع بيروت بشكل دقيق، ومنطقة برج الحمام بشكل خاص، وهي المنطقة التي يقع فيها شارع فردان حيث نفذت العملية.

كانت هناك أوامر صارمة ومشددة للغاية، أصدرتها القيادة الإسرائيلية العليا، وتمثلت بالآتي:

–قتل الزعماء الفلسطينيين الثلاثة (أبو يوسف، ناصر وعدوان) قتلاً مؤكداً.

– إخلاء جثث القتلى أو الجرحى من أفراد الفرق في ساحة العملية.

– جلب كل ما يكون بحوزة الزعماء من أوراق وملفات.

تفاصيل العملية:

في 3 نيسان من العام 1973، تمكن جواسيس الموساد الستة من دخول لبنان عبر جوازات سفر مزورة بجنسيات مختلفة: بلجيكيان، وألماني، وثلاثة إنكليز، وأسماؤهم على التوالي: شارل بوساد، وغلبرت

ريمباود، وبيتر أتاندر، وأندرو تيسلاو ماكي، وجورج إدلر، وتتراوح أعمارهم ما بين الثلاثين والسابعة والثلاثين. نزل بعضهم بفندق (ساندس)، والبعض الآخر بفندق (أتلانتك) الواقع على شاطئ "الرملو البيضاء". قام الجواسيس الستة بجولات استطلاعية عدة أمام مكاتب الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين في شارع حاطوم، حيث لاحظوا أن ملعباً رياضياً يقع فيه، استطاع الجواسيس أن يعرفوا تفاصيل الحراسات الأمنية ومواعيد تغييرها، وعدد أفرادها، إضافة إلى تسليحهم ونوبات المرور عليهم.

وكانت المعلومات تنقل إلى الموساد بواسطة جهازي لاسلكي بشكل مباشر. كما تنقل الجواسيس الستة في شوارع بيروت ليلاً نهاراً، عبر سيارات أميركية حديدة:(بويك) سكايلارك وواحدة (بلايموث)، وأخرى (رينو 16) فرنسية استأجروها من وكالتي "أفيس" و"لينا كار".

وفي السادسة من صباح يوم الثلاثاء 10 نيسان 1973، غادرت ميناء حيفا قافلة بحرية في طريقها إلى بيروت، وتتكون من سفينتي استطلاع وسفينة اعتراض، ونسعة زوارق صواريخ فرنسية الصنع من طراز ساعر، نقلاً عن تصميم الزوارق الألمانية غاغورا. كان يجوف الزورق جاعاس جنود مظليين بقيادة إيهود باراك، مهمتهم اغتيال قادة أيلول الأسود في بيروت.

عند الساعة التاسعة من مساء 10 نيسان 1973، رست القوة البحرية الإسرائيلية في عرض البحر مقابل مدينة بيروت، بانتظار لحظة الصفر وإشارة الأمان من الجواسيس الستة الذين كانوا على علم بتفاصيل التحرك البحري، لتبدأ عملية فردان في اللحظة المناسبة، حيث يقود باراك فريق القتل، بينما يقود الرائد أمنون ليبكين فريق النسف، ينسق معهما مايك هاراري ويتابع أولاً بأول عرفة العمليات بعرض البحر.

رست الحملة البحرية الإسرائيلية في عرض البحر أمام بيروت. وقد أوقفت المحركات وأجهزة الرادار وأجهزة الاتصال العادية. وكانت سفينة مبطاح ترسو بالقرب من شاطئ البيّاضة وبداخلها فريق النسف بقيادة أمنون ليبكين شاحاك. أما جاعاس، فقد رست بالقرب من شاطئ المغارة وبجوفها فريق القتل المؤلف من عشرين رجلاً، بخلاف قائده إيهود باراك.

في العاشرة إلا ربعاً، تناول بارك – الذي تنكر بزي النساء عشية العملية، حتى قال عنه رجاله إنه كان يرتدي ملابس نسائية حليعة وباروكة صفراء، جمالها يفتح شهية الرجال – ورجاله وجبة عشاء سريعة، وفي العاشرة والنصف تماماً، بدأ باراك بتوزيع الأدوار.

تشكلت مجموعات ثلاث، تضم كل منها أربعة رجال، ومهة كل مجموعة اقتحام إحدى الشقق الثلاث التي يقطنها القادة الفلسطينيون، ورجلان مهمتهما تسلق مواسير الصرف الصحي في المنور، للمساعدة

في قتب كمال عدوان من الخلف في الطابق الثاني، والسبعة الباقون لحماية ظهورهم وقت التنفيذ والانسحاب.

عند الساعة الحادية عشرة والنصف، انطلقت ساعة الصفر للبدء بتنفيذ عملية فردان. فقد تم إنزال قوة الكوماندوس الإسرائيلي على الشواطئ اللبنانية في منطقة الأوزاعي في بيروت، ونزل أعضاء فريقي القتل والنسف وهم يحملون أسلحتهم وحقائب المتفجرات. ومن ثم خرجت ثلاث سيارات لكل فريق، وبكل سيارة سبع أفراد، بينهم من يجيد اللغة العربية بطلاقة، لتبدأ عملية فردان.

كان كمال عدوان يقيم بالطابق الثاني مع زوجته وأولاده الأربعة الصغار. أما كمال ناصر فكان يقييم في الطابق الثالث بمفرده. أما محمد يوسف النجار(أبو يوسف)، فقد كانت شقته بالطابق السادس، حيث تقيم معه زوجته وأولاده الخمسة.

<u>يذكر شفيق الغبرا:</u>

ستقع في مدينة ميونخ في سبتمبر 1972 عملية فدائية تستهدف الفريق الرياضي الإسرائيلي المشارك في الألعاب الأولمبية. وستُحدث تلك العملية دوياً كبيراً لأنها ستنقل عبر الأقمار الصناعية إلى كل مكان في العالم. وستقرر إسرائيل الانتقام للعملية في لبنان، لكنها ستخبئ انتقامها الأكبر إلى مرحلة لاحقة. ففي الثالث عشر من أبريل 1973 سيدخل إيهود باراك (الذي سيصبح رئيس وزراء إسرائيل عام 1999) إلى بيروت قائداً لقوة إسرائيلية متخفية بهدف اغتيال ثلاثة من كبار قادة حركة فتح ومنظمة التحرير: أبو يوسف النجار المسؤول عن الفلسطينيين في لبنان، وكمال عدوان المسؤول عن ملف العمل الفدائي في الأراضي المحتلة، وكمال ناصر الشاعر المعروف وهو من مسيحيي فلسطين والناطق الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية. لقد جمعت كمال ناصر ووالدي علاقة صداقة مستمرة تعود إلى زمالة الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت.

باغتيال القادة الثلاثة لمنظمة التحرير الفلسطينية عمّ الغضب لبنان والعالم العربي. ففي جنازتهم في بيروت خرج ما يزيد على نصف مليون مُشيّع. وقد انضمّت حشود ضخمة من طلبة وطالبات الجامعات إلى الجنازة التي تحوّلت إلى رسالة سياسية من المعارضة اللبنانية والمقاومة إلى النظام اللبناني. ولم تغب عن الجنازة وما تلاها الاتهامات الموجهة من المشيّعين إلى قوات الأمن اللبنانية بالتواطؤ في عملية الاغتيال. أدّى هذا الحادث إلى توتير الأجواء بين النظام والمقاومة وأنصارها في لبنان.

في أيارمايو 1973، عند خروجي من آخر امتحان في جورج تاون، دارت اشتباكات عنيفة في لبنان. حاول الجيش اللبناني اقتحام المخيمات وإنهاء ظاهرة العمل الفدائي المنطلق من لبنان، فما كان من الحركات الطلابية اليسارية والوطنية اللبنانية والفلسطينية إلا أن دافعت عن المقاومة.

إن حمل طلبة الجامعات في بيروت السلاح في منطقة بيروت الغربية/ الفاكهاني للدفاع عن المخيمات الملاصقة لتلك المنطقة تحوّل إلى حدث مفصلي أثّر على جيل من الشباب والشابات. لذا ركبت الطائرة متوجّهاً إلى بيروت في اليوم التالي، حيث منع التجوّل والتوتر على أشده.

وقد وقعت معارك 1973 في زمن الرئيس سليمان فرنجية. في تلك الأحداث، استقال رئيس الوزراء اللبناني صائب سلام احتجاجاً على ضرب الجيش اللبناني للفدائيين بإيعاز من الرئاسة اللبنانية. والجدير بالذكر أن سوريا في مواجهات أيار/ مايو 1973 ساندت المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية من خلال إغلاق حدودها مع لبنان طيلة فترة المواجهة العسكرية والسياسية إلى أن وجدت الأزمة حلاً سياسياً لها.

إن من رأى المواقع العسكرية الميطة بمنطقة الجامعة العربية (الطريق الجديدة) وقرب دوّار الكولا عند وصولي إلى بيروت في مايو 1973 حيث متاريس ممتدة يحرسها طلاب الجامعات، رأى عالماً مختلفاً وكأنه ربيع سلام لا يوم قتال. لم تتجاوز أعمار الطلبة والطالبات الذين انضممت إليهم التاسعة عشرة والعشرين من العمر، لبنانيون وفلسطينيون وعرب اعتمروا الكوفيات، ولبسوا بناطيل الجينز وحملوا أسلحة قدّمتها المقاومة، وتحديداً حركة فتح.

قاد تلك المنطقة العسكرية التي أطلق عليها اسم "منطقة الطلبة" أبو حسن قاسم (محمد بحيص) من قرية يطا المحتلة قرب الخليل. يصعب أن تعرف عندما ترى أبو حسن قاسم أنه المسؤول العسكري للمنطقة، فهو يتفادى لفت النظر إليه في تحركاته.

في الليل يتحرك أبو حسن قاسم مع أبو عمر حنّا المسؤول السياسي عن تلك المنطقة. أبو عمر حنّا (د. حنّا ميخائيل) فلسطيني مسيحي من رام الله المحتلة، درس الكيمياء في الولايات المتحدة في الستينيات عندما كانت تلك المدينة تحت الحكم الأردني، لكنه غيّر دراسته بسبب حرب 1967 باتجاه الدراسات الإسلامية. أراد أبو عمر حنّا أن يفهم تلك الأبعاد التاريخية والإنسانية التي أسهمت في ضعف العرب وتراجعهم. ونال الدكتوراه من جامعة هارفارد، ثم بدأ بالتدريس في جامعة واشنطن في سياتل. لكن بروز العمل الفدائي وشعوره بنداء الواجب لتحرير أرضه دفعاه إلى ترك الحياة والالتحاق بالعمل الفدائي.

المفكر الكبير إدوار سعيد تحدث عن ظاهرة حنّا مخائيل في مقدمة لكتاب من إصدار دار الطليعة حيث كتب: " وأثار إعجابي زهده اللامتناهي في الملبس ونمط الحياة .. ولم يقد سيارة قط، ولم يستخدم في سلوكه إلا أسلوب الحديث البسيط البعيد عن التكلّف تماماً. كان دائما يحرص على الإنصات، وحده بين رفاقي الفلسطينيين كان عندما يسألني عن التطورات في الولايات المتحدة ينتظر فعلاً أن أجيب".

ويقول سعيد:"سألت أبو عمر: هل تشعر بأي كره إزاءهم (أي الإسرائيليين)؟ لم أُصَب قط بمثل ذلك الذهول .. عندما قال كلا، لا أعتقد أن في إمكاني ذلك. رأيت في لحظة واحدة أمرين: رقته في الجوهر كإنسان ومدى تفوّق حنكته السياسية عليّ".

كان لقائي ب "أبو عمر" مدعاة لتعميق فكرة تلهب تفكيري كل يوم. فأنا منذ زياراتي الأولى إلى جنوب لبنان مع صديقي مارون أهيّئ نفسي للانضمام إلى العمل الفدائي وعيش حياة زاهدة لأجل القيم التي أؤمن بها.

في منطقة الجامعة العربية، أثناء الحراسة النهارية والليلية، التقيت عشرات الشبان والشابات من الطلبة الحالمين مثلي بتحرير الأرض وتغيير العالم العربي. عرفت إحدى الفتيات – في الموقع تسلّمت الفتيات مسؤوليته الكاملة – بالقناص لمهارتها في القنص بواسطة السيمينوف (سلاح روسي). لقد حرس تلك المواقع عشرات الشبان والشابات من تنظيم فتح في الجامعات. مثّلت معارك دوار الكولا وكمائن تلك المنطقة قرب الملعب البلدي والجامعة العربية انطلاقة جديدة للحركة الطلابية الفلسطينية/اللبنانية التي تؤمن بالقضية الفلسطينية ونهج المقاومة والتغيير والكفاح المسلح.

أثناء وجودي في بيروت، وفي منطقة متاريس الجامعة العربية/ الطريق الجديدة، تعرّفت إلى ابن القائد الكبير عبد القادر الحسيني الذي تحوّل في حرب 1948 إلى أقدر القادة العسكريين العرب. لقد أحب جدي الشهيد عبد القادر الحسيني وظلّ يردّد أمامي قصصاً عن لقاءاته به.

غازي ابن الشهيد، وحدّه الشيخ موسى كاظم الحسيني قاد الحركة الوطنية الفلسطينية بامتياز منذ أن بدأ الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1918 حتى سقوط هـ متأثراً بإصابة أثناء قيادته تظاهرة في مواجهة بريطانيا في ثلاثينيات القرن العشرين. بل كان جدّه إحدى الشخصيات المؤثرة في الدولة العثمانية، وبعد االستشهاده قاد قريبه الحاج أمين الحسيني الحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام 1948. زكما حال غازي، فعلي حسن سلامة المسؤول الأول لجهاز الأمن الفلسطيني أيضاً ابن شهيد، وسألتقي بكثيرين من أبناء الشهداء في بيروت، ما يعكس كيف تستمر قضية فلسطين.

لكن غازي رجل أمن فتح يغلب الغموض والصمت على تحركاته وأحاديثه. لم أكن أميل إلى هذا النمط من العمل. بعد سنوات سيسطع نجم أخيه فيصل عبد القادر الحسيني الذي سيتحول إلى رمز للقضية الفلسطينية وللقدس، وصمودها تحديداً.

رواية معين الطاهر:

استشهد فايز .. هكذا تطاير الخبر إلينا. كان فايز صديقاً لنا، لم ينتم إلى أي من التنظيمات أو الفصائل. كان طالباً مجتهداً من غزة في جامعة بيروت العربية. كرّس وقته للدراسة، وعاش حياته طالباً فيها بما لها وما عليها.

في بيروت أقام عند عجوز لبنانية أطلقنا عليها اسم "الحاجة"، في بناية الدارمرجي، تلك البناية التي أصبحت في ما بعد مقراً للرئيس ياسر عرفات. لم يهتم فايز يوماً بالسياسة، فقد كانت مشاغله واهتماماته مختلفة عنّا وعن جيلنا. كان يهتم بملابسه وتسريحة شعره ونظافة حذائه ورائحة عطره. وتحسبه كل مرة تراه فيها ذاهباً للقاء حبيبته. لكن اختلافه هذا لم يمنع أن تنمو بيننا صداقة عميقة.

غادر فايز ساحة الجامعة مهرولاً إلى منزله الذي يبعد أمتاراً عن الجامعة، بعد أن سمع وزملاؤه أصوات طلقات الرصاص منطلقة من مستديرة الكولا والمدينة الرياضية باتجاه الطريق الجديدة والفاكهاني، وكان يحمل كتبه بين يديه حين عاجلته رصاصة عابرة من إحدى مدرعات الجيش اللبناني، فسقط مخصباً بدمائه على باب الجامعة.

الرصاص لا يستوقفك. إنّه لا يسألك عن هوية، أو يدقق في انتمائك وميولك. ولا يميّز ملابسك أو رائحة عطرك. إنّه لا يحيد عنك إذا كنت ذاهباً إلى البيت، أو متمترساً في خندق. هو لا يفعل ذلك أكنت جباناً أم شجاعاً، رجلاً أم امرأة أم طفلاً. هو لا يحاورك. لا يستمع إليك. بل يسعى لأن يخترقك محاولاً أن يستقر في بقعة من جسدك، لتكتمل طلقة بندقية أخرى، أو صلية رشاش آخر أو قذيفة مدفع آخر، ما بدأته رفيقتها مع سواك.

قبل ذلك بشهر، كنت مع فايز جنباً إلى جنب، ومع نحو نصف مليون مواطن لبناني وفلسطيني، نسير في تشييع جنازة الشهداء القادة كمال عدوان وكمال ناصر وأبو يوسف النجارالذين قتلتهم القوات الإسرائيلية في عملية كوماندوز في حي فردان في بيروت، وقد خرج لبنان يومها في جنازتهم بجميع أحزابه وقادته وطوائفه. لم يتخلف أحد عن الحضور، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

لقد كان ذلك اليوم عرساً لبنانياً فلسطينياً بحق. ولأن البعض لم يرُق له هذا العرس، وخشي من تأثيراته، وخاف من اتساع الثورة ونموها وامتدادها، فقد تحركت وحدات من الجيش اللبناني لحصار المخيمات ومحاولة اقتحامها والسيطرة عليها. وكان فايز الحسيني أول الشهداء.

تقدّمت آليات الجيش اللبناني من مستديرة الكولا باتجاه جامعة بيروت العربية وهي تطلق نيراناً غزيرة على كل ما يتحرّك. وفجأة دوى صوت انفجار كبير، هدأ بعده كل شيء. وتوقف التقدم. وتراجعت آليات الجيش باتجاه المدينة الرياضية واليونسكو. من أين جاء غيفارا (ضابط فلسطيني عمل مدرباً في القطاع الغربي لجنة 77، من أصول إيرانية) وأبو حسن قاسم في تلك اللحظة؟ من أي سماء هبطا؟ لقد حسمت قذيفة آر بي جي واحدة أطلقها غيفارا بحماية أبو حسن الاشتباك. وتوقف كل شيء.

حوار أندريه فيرساي مع شمعون بيريز وبطرس غالي:

أندريه فيرساي: في أثناء الأعاب الأولمبية في ميونخ عام 1972م، قام عدد من الكوماندوز الفلسطينيين باحتجاز الرياضيين الإسرائيليين وطلبوا الإفراج عن 200 سجين فلسطيني في السجون الإسرائيلية مقابل إطلاق سراح الرهائن. ورفض الإسرائيليون التفاوض. وقامت وحدة كوماندوز من الشرطة الألمانية بالهجوم في محاولة لإنقاذ الرهائن، ولكن المحاولة فشلت: فقد قتل الإرهابيون الرياضيين الإسرائيليين قبل سقوطهم بنيران قوات الأمن.

شمعون بيريز: في ميونخ. يجب أن تقر أن المكان لم يكن قد اختير بذكاء. هذا الهجوم تحول ليكون رمزاً للإرهاب الفلسطيني. إنه أكثر الأمثلة وضوحاً على محاولة استغلال الإعلام لصالح القضية الفلسطينية. ولكن اختطاف الرهائن هذا تم إدانته بشدة من قبل الرأي العام العالمي، وساهم بالتأكيد في ربط حركات الفدائيين بالإرهاب.

بطرس غالي: لقد قمنا بإدانة هذا العمل الإرهابي بسبب الجريمة الدموية التي اقترفها، وأيضاً لأنه أضر بالقضية الفلسطينية ودعم الصورة التي تظهر الإسرائيليين بأنهم هم الضحايا، بينما الضحيا هم الفلسطينيون.

أندريه فيرساي: وفيما يبدو، في ذلك الوقت، أعطت جولدا مائير، رئيسة الوزراء الإسرائيلية، الأمر إلى الموساد لتصفية عدد كبير من المسئولين الفلسطينيين. في أي مكان كانوا.

شمعون بيريز: جولدا لم تعط مثل هذا الأمر أبداً. الحقيقة هي أنه تم تكليف من الموساد بتصفية المسئولين عن مذبحة ميونخ، ولكن ليس كل القادة الفلسطينيين. لم يكن هناك قرار بتصفية عامة.

بطرس غالي: حسب معلوماتي، جولدا مائير ولجنة الدفاع التابعة للحكومة قرروا سراً إعطاء الموساد الأمر بقتل زعماء سبتمبر الأسود والجبهة الشعبية، وفي المكان الذي يوجدون فيه. وتلقت فرقة كوماندوز خاصة، شكلتها الموساد، مهمة العثور على الإرهابيين وقتلهم. "فليضعوا قائمة سوداء ويبدأوا العمل". فتم إرسال خطابات مفخخة إلى زعماء منظمة التحرير في الجزائر وفي ليبيا وإلى زعيم الهلال الأحمر في كوبنهاجن. يمكنني سرد أمثلة على هذه الاغتيالات: 8 ديسمبر 1972 ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس محمد الهمشري، 9 أبريل عام 1973م، في بيروت، أبو يوسف، وكمال عدوان، وكمال ناصر المتحدث باسم منظمة التحرير، ويوم 28 يونية 1973م، محمد بو ضياء، الزعيم المفترض لعمليات سبتمبر الأسود في أوروبا. كما ترى، إن إرهاب الدولة الإسرائيلية في نفس قسوة إرهاب منظمة التحرير.

شمعون بيريز: لا، لأن كل الأشخاص الذين ذكرتهم كانوا إرهابيين ومسئولين بصورة أو بأخرى عن مختلف التجاوزات. هذه الاغتيالات كانت موجهة إلى أشخاص بعينهم، وعملاؤنا لم يمارسوا أبداً الإرهاب الأعمى الذي يضرب المدنيين والنساء والأطفال، إلخ

مصادر:

الكتب

1- فلسطيني بلا هوية حوار إريك رولو للقائد الرمز أبو أياد صلاح خلف- دار الجليل-عمان- 1996

2- حركة فتح بقلم د.عصام عدوان- مكتبة مدبولي – القاهرة – 2010

3- فلسطين من القدس إلى ميونخ حوار جيل دو جونشيه مع القائد الرمز أبو داود- دار النهار بيروت-1999

4- السيرة والمسيرة مذكرات سليم الزعنون أبو الأديب- الأهلية للنشر والتوزيع – عمان – 2013

5- أنيس صايغ عن أنيس صايغ-رياض الريس للكتاب والنشر-بيروت-2006

6- حياتي من النكبة إلى الثورة سيرة ذاتية الأخ القائد نبيل شعث-دار الشروق-القاهرة-2016

7- حياة غير آمنة بقلم شفيق الغبرا، دار الساقي – بيروت -2012

8- تبغ وزيتون بقلم معين الطاهر- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات – بيروت – 2017

9- الحركة الوطنية الفلسطينية بقلم صقر أبو فخر-المؤسسة العربية للدراسات-بيروت-2003

10- صفحات من تاريخ الكفاح الفلسطيني بقلم علي بدوان-صفحات للدراسات والنشر- دمشق-2008

11- فتح 50 عاماً قراءة نقدية في مآلات حركة وطنية بلقم ماجد كيّالي – المؤسسة العربية للدراسات-بيروت-2016

12- كمال جنبلاط الرجل والأسطورة تأليف إيغور تيموفييف-دار النهار – بيروت – 2009

13- الألسن والأيدي المقطوعة جواسيس إسرلئيل في لبنان تأليف ياسمين قعيق، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية – بيروت – 2013

14- كارلوس..قنبلة موقوتة في سجون باريس بقلم مجدي كامل-دار الكتاب العربي-دمشق- 1994

15- سيدة الموساد بقلم ويلهام ديتل-المؤسسة الجامعية للدراسات-بيروت-1993

16- الاغتيال حرب الظلال والعنف المقدس تأليف د.خليل أحمد خليل-دار الفارابي-بيروت- 2012

17- الإرهاب الدولي تأليف د.أحمد رفعت ود.صالح الطيار-مركز الدراسات العربي-الأوروبي-القاهرة-1998
18- اغتيالات غيّرت مجرى التاريخ تأليف سانشيتا سينها ومفضّل خُمري-الدار العربية للعلوم-بيروت-2007
19- أسرار المحاكمات السياسية تأليف علي العيساوي-المكتبة الثقافية-بيروت-1994
20- الخيار الأخير 1967-1991 بقلم دافيد كمحي-مكتبة بيسان-بيروت-1992
21- أسرار حرب لبنان بقلم آلان ميناغ-المكتبة الدولية-بيروت-1991
22- مذكرات قبل أوانها بقلم شكري نصر الله-شركة المطبوعات-بيروت-2001
23- الكيان خمسة قرون من جاسوسية الفاتيكان السرية بقلم إريك فراتّيني، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت – 2010
24- علاقات إسرائيل مع دول العالم (1967-1970) بقلم شحاة موسى – مركز الأبحاث/منظمة التحرير الفلسطينية-بيروت-1971
25- ستون عاماً من الصراع في الشرق الأوسط حواررات أندريه فيرساي مع بطرس غالي وشمعون بيريز، دار الشروق – القاهرة – 2007

UNITED NATIONS

S

رسالة احتجاجية قدمت من سفير لبنان بالأمم المتحدة لمطالبة مجلس الأمن باتخاذ اللازمة بعد عملية فردان

Security Council

S/10911
11 April 1973

LETTER DATED 11 APRIL 1973 FROM THE PERMANENT REPRESENTATIVE OF LEBANON TO THE UNITED NATIONS ADDRESSED TO THE PRESIDENT OF THE SECURITY COUNCIL

On instructions from my Government, I have the honour to bring to *your* attention the following:

At 1 a.m., 10 April 1973, Israeli naval units landed on the shores of El-Ouzai in the southern outskirts of Beirut, capital of Lebanon, a squad of Israeli terrorists numbering about 35 persons.

Israel has clearly admitted and widely publicized the fact that units of her armed forces mounted that operation in Lebanon. The raiders were disguised in' civilian clothing. It has become evident that agents, hitherto unknown, have parked civilian cars bearing Lebanese registration plates in the vicinity of the landing area, to be used by the invading party.

The Israeli marauders drove away in the cars towards predetermined objectives. One group went to Rue Verdun, a peaceful residential area in Beirut. They burst into one apartment building with their guns blazing and murdered in gangsters' style Mr. Yussef El-Najjar, known as Abou-Yussef, and his wife who attempted to shield him from the attackers. Mr. El-Najjar was a member of the executive committee of the Palestinian Liberation Organization. In the same building, they attacked the apartment of Mr. Kanial Nasser, a poet and

intellectual who acted as the spokesman for the Palestinian Liberation Organization, and assassinated him, also in a cold-blooded fashion.

The raiders attacked another apartment in the vicinity where they murdered likewise Mr. Kaanal Adwan, another Palestinian leader. An Italian lady living in that area was killed. A force of the Lebanese police rushed to the scene Ead was immediately met with a hail of fire from the attackers. Two of the
policemen were killed and 9 were wounded. An army officer living in the vicinity who came out to find out what was happening was also shot by the attackers and wounded.

Another group of Israelis attacked and blew up a building in the street of El-Fikany, while another attacked and blew up a garage belonging to a Palestinian and situated in the northern district of Beirut, called Al-Dawrah.

In the area of El-Ouzai, they blew up a building where two Lebanese civilians and three Syrian labourers were killed. Another Israeli murder-squad landed near Sidon, south of Beirut, and attacked a garage which the Israelis later claimed belonged to the Palestinian Organization of Al-Fatah.

As a result of all these criminal operations, 12 people were killed:
2 Lebanese policemen, 2 Lebanese civilians, 3 Syrian labourers, 4 Palestinians and an Italian woman; 29 persons, all Lebanese, were wounded.

In my letter to the President of the Security Council, dated 21 February 1973 (5/10885), I brought to the attention of the Council a similar attack conducted by terrorist groups belonging to the Israeli armed forces, on the Palestinian refugee camps situated in northern Lebanon at Badawi and Nahr El-Bared, where scores of people were killed and wounded, and many houses destroyed. The Lebanese Government strongly protested against those barbaric acts carried out by the Israeli armed forces under direct Government orders, in violation of the Charter of the United Nations, the Universal

Declaration of Human Rights and the Lebanese/Israeli Armistice Agreement.

On this occasion, the Lebanese Government reiterates its strongest protest against and condemnation of the repetitions of those acts by Israel.

The Lebanese Government calls the attention of the Council to the following:

1. The repeated criminal operations undertaken by units of the Israeli allied led forces in Lebanon are in pursuance of a policy of intimidation and State terrorism, planned and conducted with premeditation and without any provocation from Lebanon, against Lebanese civilian areas, centres and population.

2. The numerous acts of aggression conducted during the last five years by Israel against Lebanon and the civilian population have been denounced by the whole civilized world and condemned by the Security Council. Israel was solemnly warned by the Council against their repetition. However, the Israeli Government in its traditional defiance of Security Council resolutions and of international law, has persisted in her campaign of aggression and terror against Lebanon.

3 The Israeli Government has escalated its insolent policy of terror by publicly declaring, on many occasions, that it will attack the Palestinian people, wherever they may be, at any time, and by all measures without having to invoke the slightest pretext. This condemnable and ruthless policy which stems from Israel's arrogance of power has as an objective either to exterminate the Palestinian people, or to force them to surrender their legitimate rights.

4. It is a fact, known by all, that Lebanon which is traditionally a land of refuge and has always pursued a humanist policy, has harboured since 1948 about 300,000 Palestinians, driven out of their homeland by Zionist terrorists. Twenty-five years later, the majority of those refugees continue to live in misery and despair in refugee camps, supported by the United Nations. An end to their agony does not appear to be in sight.

All efforts by the United Nations to find a solution to their problem as well as to the conflict of the Middle East have been deliberately and systematically scuttled by the Israeli Government, which assumes the prime responsibility for the continuation of unsettled conditions and tension in the Middle East.

5. The fact that these Palestinians live in such conditions in Lebanon and maintain their determination to recuperate their rights cannot impute to the Lebanese Government any responsibility for any act undertaken by individual Palestinians outside of Lebanon. The cycle of violence which is gripping the Middle East is but a result of Israel's stubborn refusal to recognize the legitimate rights of the Palestinian people and to engage in an earnest effort to solve their problem, on the basis of justice and of United Nations resolutions.

6. The Israeli Government pretends that in conducting its operations against Lebanon, it is engaged in war acts.

(a) Acts of warfare, aggression and terrorism undertaken by Israel against Lebanon are in flagrant violation of United Nations resolutions and decisions and of the Lebanese/Israeli Armistice Agreement of 1949, sanctioned by a decision of the Security Council. Israel has unilaterally denounced this Armistice Agreement. The United Nations has maintained that the Agreement remains valid and in force and could not be denounced unilaterally by any one of the parties to it.

(b) Even the pretexts Israel invokes in justification of her operations against Lebanon are in flagrant violation of international law and particularly The Hague Convention" of 1907, which forbids the armed forces of any nation . to resort to perfidious methods.

It is therefore apparent that the operations conducted in Beirut and Sidon in the early hours of 10 April 1973 by units belonging to the Israeli armed forces are nothing but perfidious criminal acts organized by a State Government, Member

of the United Nations against another State Member, in flagrant violation of international law and of all norms of international behaviour and morality.

It is cynical that Mrs. Golda Meir, the Prime Minister of Israel, attempts to gloss these gangster-like operations as "very marvellous'' about which "shining pages will be written'".

As a matter for the record, those acts should be inscribed in the dark pages of Israel's history of aggressions in the Middle East. They should for ever be reminders of the King David and Deir Yassine massacres and of the countless tragedies Israel visited upon the Arab people of Palestine.

They should seriously remind members of the Security Council that Israel's unbridled behaviour cannot but heighten the tension in the Middle East and gravely endanger peace and security in the area and the world.

The Lebanese Government has ever been mindful of its obligations under the Charter and persistently pursued a policy to promote and to help in the promote of conditions of peace in the area as everywhere else. It has therefore brought to the attention of the Council the repeated breaches by Israel of Lebanon's territorial integrity and sovereignty, and her acts of aggression against the peaceful population of Lebanon. It has been the hope of the Lebanese Government.;: and people that the Security Council, entrusted by the Charter with the prime responsibility for maintaining peace and security, will take the necessary steps and measures to put an end to Israel's actions undertaken in defiance of the Council's decisions and warnings.

By bringing once more to the attention of the Council the new Israeli blatant act of aggression against Lebanon, we reiterate once more our hope that the Council will take it into serious consideration.I have the honour to request that this letter be circulated as an official document of the Security Council.

Edouard GHORRA/Ambassador/Permanent reprehensive.

فلنشدد ضرباتنا	3
طوبي لشيء لم يصل	6
المقدمة	10
الشهيد القائد الرمز كمال عدوان	14
نواة فتح والعمل الفدائي (1954-1956)	16
رواية الأخ المنتصر بالله	19
يقول المقاتل فؤاد البلبيسي – موريس	20
الإعلام الخارجي لحركة فتح	22
كتبت الأخت الماجدة الأستاذة (مها الجيوسي أم رامي)	24
كتب الأخ رامي كمال عدوان	26
الموت على الطريقة الفلسطينية	27
قصة العدد رقم 17 من مجلة شؤون فلسطينية	28
كمال عدوان مسؤوليات متعددة	29
كمال عدوان فيلسوف وروائي الثورة	30
كمال عدوان هدف إسرائيل	34
حول كتابات الشهيد كمال عدوان	43
الرئيس محمود عباس يسلم عائلة الشهيد وسام نجمة الشرف	57
الشهيد القائد كمال ناصر	58
كمال ناصر - حياته وشعره	60

ذكر أنيس الصايغ	63
المسيحي الذي أوصى بدفنه في مقبرة الشهداءالإسلامية..	64
كتاب جديد يروي سيرة "شهيد فردان"	68
ذاكرة الشعر... ذاكرة الوطن..	70
الشهيد القائد الرمز أبو يوسف النجار	76
سيرة مقاتل شجاع	76
لم لا يعرفون أبو يوسف النجار	78
أبو يوسف: حياته، مسؤلياته، ومعتقداته السياسية	79
تفاصيل الإعداد للانطلاقة	89
حسم قرار الانطلاقة كما يرويها الأخ صلاح خلف	92
فتح والإعداد لانطلاقة الكفاح المسلح	95
فتح ثانية والأجهزة الأمنية المتعددة الأغراض	97
تعليق الأخ فاروق القدومي على مذكرات الأخ أبو داود	102
الرئيس يمنح الشهيد 'أبو يوسف النجار' وسام نجمة الشرف	104
عندما حاول "أبو يوسف النجار" اغتيال جولدا	105
البابا بولس السادس والقدس	107
بولس السادس.. أول من سافر بالطائرة خارج الفاتيكان	107
رحلة حج إلى الأرض المقدسة، ١٩٦٤	109
علاقات إسرائيل مع الفاتيكان	110
المقاومة المبدعة في الفكر المسيحي الفلسطيني المعاصر	113

تاريخ العلاقة بين الفاتيكان وفلسطين	117
إريك فراتّيني: عملية لا أحد ينام	122
مقال بعنوان: تعرية الإرهاب	134
كارلوس هل هو صناعة فلسطينية	136
نشأة منظمة أيلول الأسود	138
كارلوس والحرب وديع حداد السرية	141
نفذّ الموساد أكثر من خمسين عملية	144
أمريكا تطلق عضواً في منظمة "أيلول الأسود"	146
عميلة الموساد ياعيل	147
حوار مع أمنية المفتي؟	148
عملية فردان	152
ابنة الشهيد القائد ابو يوسف النجار تكتب لكم	153
دراسة أمنية بقلم / د . سمير محمود قديح	162
يروي ياسر النجار	167
وابويوسف النجار كان الهدف الاول لعملية الاغتيال	170
من ذاكرتهم	171
الأخ صلاح خلف بدايات حركة فتح	171
الأخ صلاح خلف ومنظمة أيلول الأسود:	173
صلاح خلف يوم عملية فرادن	175
صلاح خلف ومتابعة ردود الفعل اللبنانية	181

آخر فنجان قهوة مع كمال عدوان	182
رواية الرفيق إيغور تيموفييف	183
الاستخبارات الإسرائيلية في لبنان	188
يذكر شفيق الغبرا	193
رواية معين الطاهر:	196
حوار أندريه فيرساي مع شمعون بيريز وبطرس غالي	197
مصادر	199
رسالة احتجاجية قدمت	201
الفهرس	